الدكتور عامر النجار

في تاريخ الطب في الدولة الإسلامية



دار المعارف


PDF
مكتبة نرجس
HTTP://WWW.NARJES-LIBRARY.COM

فى تاريخ الطب فى الدولة الإسلامية

تأليف

الدكتور عامر النجار

الطبعة الثالثة

١٩٩٤





دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

إهـــداء

إلى روح ابن عمى اللغوى المحقق الكبير
الشيخ محمد على النجار «رحمه الله»
أهدى عملى هذا
راجيًا من المولى تعالى أن يجعل هذا العمل
متقبلاً عنده إنه سميع قريب

عامر النجار



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة

تعوّد بعض الباحثين الأجلاء حين تناول تاريخ الطب في دولة الإسلام تسمية «الطب: في الدولة الإسلامية» بـالطب الإسلامي أو «الطب العربي».

وقد يعني هذا المفهوم من علمائنا الأجلاء أن هناك طبًا غير إسلامي أو طبًا غير عربي.

والحقيقة أننا لا نميل إلى التعميمات، ذلك أن الإسلام العظيم هو الذي صنع عقول أبناء دولة الإسلام وصبغهم بصبغة العلم الصحيح.. وفي العصر الذهبي للإسلام، نجد أن المسلمين فتحوا قلوبهم وعقولهم للثقافات والحضارات المختلفة واستطاعوا أن يصهروها في بوتقة الفكر الإسلامي الصحيح ليقدموا للإنسانية حضارة إسلامية فريدة رائعة قبلت كل فكر يتناسب مع عقيدتها ورفضت كل فكر يتعارض مع مبادئ العقيدة العظيمة. ولهذا كان هناك تقدم في العلم والطب في دولة الإسلام الزاهرة نسميه «الطب في الدولة الإسلامية» لا «الطب الإسلامي» فالطب أساسه واحد، والعلم مبادئه واحدة فليس هناك طب يهودي أو طب مسيحي أو طب مجوسي. وإنما هو علم واحد.

وإذا كان «لوكلير» يقول في كتابه تاريخ الطب العربي «الطب العربي هو: كل ما كتب في الطب والعلوم الملحقة باللغة العربية إبّان الحضارة العربية الإسلامية. فإن من يقول «بالطب الإسلامي» عنده الرد على «لوكلير» وهو أن بعض علماء الطب العربي من أصل غير عربي مثل الرازي وابن سينا وعلي بن عباس المجوسي.

ثم إنه ما كان للعرب من دور يذكر فى صنع الحضارة الإنسانية قبل الإسلام وقبل دولة الإسلام.. ولهذا فإننى أؤكد على أهمية التسمية الموضوعية : «الطب فى الدولة الإسلامية».

وكل ما أرجوه من الله تعالى أن يجعل هذا العمل قربة من القرب إليه. وأن يكون من العلم الذى يُنْتَفَعُ به، والعمل الباقى بعد أن تنقطع الأعمال بالموت، فقد أخرج مسلم عن أبى هريرة قول الحبيب المصطفى ﷺ : «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : علم ينتفع به، أو صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له».

اللهم اجعل هذا العمل خالصًا لوجهك الكريم.. اللهم آمين.

عامر النجار

المبحث الأول
مدخل إلى الطب

.. تعد مهنة الطب من أشرف المهن وأعظمها منذ الخليقة وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها لأنها تقوم على تخفيف آلام المتألمين والمكروبين والمرضى فى كل حين ومكان.

والطِّبَابُ لغةً العلاجُ، والطِّبابةُ: حرفة الطبيب، وَطَابَّهُ: أى دَاوَاه وعالجه، والطِّب: الحذق والمهارة، والطِّبُ: علاج الجسم والنفس. ومنه علم الطِّب وكلمة طب فى أبسط معانيها تعنى فن معالجة المرضى والمتألمين والمصابين. ومن هنا كانت مهنة الطب مهنة إنسانية بالدرجة الأولى ولهذا فإن بعض من امتهنها كان يريد بها وجه الله تعالى والإحسان إلى عبيده بعلاجهم من غير أجر.

.. يقول ابن خلدون فى مقدمته.[1] «صناعة الطب تنظر فى بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح، فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية، بعد أن يتبين المرض الذى يخص كل عضو من أعضاء البدن، وأسباب تلك الأمراض التى تنشأ عنها، وما لكل مرض من الأدوية مستدلين على ذلك بأمزجة الأدوية وقواها، وعلى المرض بالعلامات المؤذنة بنضجه وقبوله الدواء أولا فى السجية (الطبيعة) والفضلات والنبض، محاذين لذلك قوة الطبيعة، فإنها المدبرة فى حالتى الصحة والمرض، وإنما الطبيب يحاذيها ويعينها بعض الشىء بحسب ما تقتضيه طبيعة المادة والفصل والسّن ويسمى العلم الجامع لهذا كله علم الطب».

---

(١) المقدمة طبعة الشعب ص ٤٦٤.

.. أما حاجي خليفة فى كتاب كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون فيستعرض آراء ابن أبى أصيبعة فى طبقات الأطباء وينقل عنه فيقول[١] : «اعلم أن تحقيق أول حدوث الطب عسير لبعد العهد واختلاف آراء القدماء فيه وعدم المرجح فقوم يقولون بقدمه. والذين يقولون بحدوث الأجسام يقولون بحدوثه أيضا وهم فريقان. الأول يقول إنه خلق مع الإنسان. والثانى وهو الأكثر يقول إنه مستخرج بعده إما بإلهام من الله سبحانه وتعالى كما هو مذهب بقراط وجالينوس وجميع أصحاب القياس وشعراء اليونان[٢].

.. وإما بتجربة من الناس كما ذهب إليه أصحاب التجربة[٣]. وثاسلس المغالط وفيلن[٤].

---

(١) المجلد الثانى ص ١٠٩٢، ١٠٩٣. طبعة مكتبة المثنى.

(٢) يقول د. جلال موسى نقلا عن جورج سارتون فى كتابه مقدمة لتاريخ العلوم ج ١ ص ١٥٩ وسانتلانا : المذاهب الفلسفية ج ٢ ص ٤٦ - «كان أصحاب القياس فى الإسكندرية على عهد البطالة قبل المسيح بثلاثة قرون وهم شيعة «هيرافيلوس» «وارازمستراتوس» ذهبوا إلى القول بأن علاج الأمراض متوقفا على معرفة العلة. وبذلك يسهل الوقوف على ما يناسبها من الدواء لما يوجد بين الطبيعة والمزاج الإنسانى من المشاكلة والمجانسة يقول سانتلانا وذلك يتم الوصل إليه بأمرين».

١ - الاعتقاد بأنه لا شىء فى الطبيعة ولا فى بدن الإنسان إلا وله غاية ومنفعة يجب الفحص عنها ليستدل بها على علة الأمراض وكيفية علاجها.

٢ - ان لعلم التشريح نصيبا وافرًا فى إعانة الطبيب على معرفة الداء والدواء.

.. نقلا عن بحث للدكتور جلال محمد موسى عن الطب والأطباء ص ٤٥ مجلة عالم الفكر الكويتية المجلد التاسع - العدد الأول ١٩٧٨ م.

(٣) وهم شيعة فيلنوس المتوفى سنة ٢٨٠ ق م وجدت فى مدرسة التجريبيين بالإسكندرية أيضا ويرون أن القياس أحد أقسام التجربة الثلاثة وهى الملاحظات الشخصية وملاحظات الغير والقياس ويقولون إن سبب المرض وباعثه ليس ما يهم الطبيب إنما العقار الشافى هو الذى يعنيه، ليس كيف يهضم الطعام إنما ما الشىء الذى يسهل هضمه وتحققه (سانتلانا المذاهب الفلسفية جـ ٢ ص ٤٦.

(٤) ما ذكره حاجى خليفه عن علم الطب مرجعه كتاب عيون الأنبياء لابن أبى أصيبعة ص ١٢ وص ١٣ طبعة المثنى - بيروت.

.. والمقصود بأمر الحيلة أن تـرد أشـخاص العلل ومـولداتها إلى الأصول الحاضرة الجامعة لها[١].

.. وقد جمع أصحاب الحيل بين الطب وأقوال أصـحاب الاتجـاه الطبيعى ويذكر الدكتور جلال موسى أن أصـحاب الحيـل ويعـنى بهـم أصحاب الطريقة أو أصحاب الأصول الواضع لها اسـقلبياس الـطبيب اليونانى الذى انتقل إلى روما حوالى ١٢٤ ق. م.

.. وقد ترك أصحاب هذه المدرسة القول بالأخلاط، وجمعوا بـين الطب وأقوال الطبيعيين من أمثال ديموقريطس[٢]. ولوقيبوس[٣]. فى الجـزء الذى لا يتجزأ، قالوا إن من اجتماع الأجزاء يتركب البدن والنفس ومـن حركتها تنشأ الحياة لدخولها وخروجها من البدن عن طريق المسام ففى حالة اتساعها يلزم تضييقها وبالعكس[٤].

.. يقول ابن أبى أصيبعة[٥]. فالذين قالوا إن الطب مـن الله تعـالى قال بعضهم : هو إلهام بالرؤيا. واحتجوا بأن جماعة رأوا فى الأحلام أدوية استعملوها فى اليقظة فشفتهم من أمـراض صـعبة، وشـفت كل مـن استعملها[٦].

---

(١) مروج الذهب للمسعودى ص ١٧٦.

(٢) ديموقريطس عاش فى القرن الخامس ق. م. ولد فى « أبـديرا » بـاليونان حيـث ولـد « لوقيبوس » أيضا وهو الذى يرتبط اسمه بديموقريطس بوصفه مؤسسا للنظرية الذرية، ولعل لوقيبوس قد عرض النظرية فى بادىء الأمر، ثم أحكم صياغتها بعد ديمقريطس وكتب ديمقريطس فى النظرية الذرية العامة وعلم الحياة والموسيقى وبقى من تأليفه شذرات لكن لم يبق لنا منه مؤلفات كاملة.

(٣) لوقيبوس : يقال أنه أول من وضع النظرية الذرية ومع ذلك فإن كل ما قيـل عنـه مـن قبيل الخرافات. وتذكر أقدم المصادر التاريخية لوقيبوس دائما حين الإشارة إلى ديمقريطس.

.. ويقال إنه أول من وضع تفسيرا ميكانيكيا صرفا دون الالتجاء إلى فكرة الغـاية أو المبادىء الغائية، وأنه نظر إلى خصائص المادة - التى يمكن أن تكون موضوعا للعـلم الـكمى. بـاعتبارها خصائص جوهرية، كما نشير إلى ذلك الموسوعة الفلسفية المختصرة الطبعة العربية ص ٢٧٠.

(٤) بحث الدكتور جلال موسى السابق ص ٥٢.

(٥) فى كتابه طبقات الأطباء ص ١٢.

(٦) وذلك مثل ما حكى ابن أبى أصيبعة عن جالينوس فى كتابه فى الفصد من فصده =

.. وقال قوم ألهمها الله تعالى بالتجربة ثم زاد الأمر فى ذلك وقوى، واحتجوا أن امرأة كانت بمصر. وكانت شديدة الحزن والهم، ومع ذلك كانت ضعيفة المعدة وصدرها مملوء أخلاطا رديئة، وكان حيضها محتبسا فاتفق لها أن أكلت الرّاسن مرارا كثيرة بشهوة منها له، فذهب عنها جميع ما كان بها ورجعت إلى صحتها، وجميع من كان به شىء مما كان بها لما استعمله برأبه، فاستعمل الناس التجربة على سائر الأشياء.

.. والذين قالوا إن الله تعالى خلق صناعة الطب، احتجوا فى ذلك بأنه لا يمكن فى هذا العلم الجليل أن يستخرجه عقل إنسان، وهذا الرأى هو رأى جالينوس، وهذا نص ما ذكره فى تفسيره لكتاب الإيمان لأبقراط، قال: «وأما نحن فالأصوب عندنا والأوْلى أن نقول إن الله تبارك وتعالى خلق صناعة الطب وألهمها الناس، وذلك أنه لا يمكن فى مثل هذا العلم الجليل أن يدركه عقل الإنسان، لكن الله تبارك وتعالى هو الخالق الذى هو بالحقيقة فقط يمكنه خلقه، وذلك إنا لا نجد الطب أحسن من الفلسفة التى يرون أن استخراجها كان من عند الله تبارك وتعالى».

.. ووجدت فى كتاب الشيخ موفق الدين اسعد بن إلياس بن المطران[1]. الذى وسمه ببستان الأطباء وروضة الألباء كلاما نقله عن أبى جابر المغربى وهو هذا، قال: «سبب وجود هذه الصناعة وحى وإلهام، والدليل على ذلك أن هذه الصناعة موضوعة للعناية بأشخاص الناس، إما لأن تفيدهم الصحة عند المرض، وإما لأن تحفظ الصحة عليهم. وممتنع أن تعنى الصناعة بالأشخاص بذاتها دون أن تكون مقرونة بعلم أمر هذه

= للعرق الضارب الذى أمر به. وذلك أنه قال: «إنى أمرت فى منامى مرتين بفصد العرق الضارب الذى بين السبابة والإبهام من اليد اليمنى فلما أصبحت فصدت هذا العرق وتركت الدم يجرى إلى أن انقطع من تلقاء نفسه، لأنى كذلك أمرت فى منامى. فكان ما جرى أقل من رطل، فسكن بذلك المكان وجع كنت أجده قديما فى هذا الموضع.

(١) هو الحكيم أسعد بن المطران نشأ فى دمشق وله تصانيف كثيرة وخدم بصناعة الطب صلاح الدين الأيوبى.

الأشخاص التى خصت العناية بها. ومن البيِّن أن الأشخاص ذوات مبدأ لوقوعها تحت العدد، وكل معدود فأوله واحد تكثر، ولا يجوز أن تكون أشخاص الناس إلى ما لا نهاية له لأن خروج ما لا نهاية له إلى الفعل محال. قال ابن المطران: «ليس كل ما لا يقدر على حصره فلا نهاية له، بل قد تكون له نهاية يضعف عن حصرها.

.. قال أبو جابر: «وإذا كانت الأشخاص التى لا تقوم هذه الصناعة إلا بها ذوات مبدأ ضرورة، فالصناعة ذات مبدأ ضرورة. ومن البيِّن أيضا أن الشخص الذى هو أول الكثرة مفتقر إليها كافتقار سائرهم، ومن البين أيضا أنه لا يأتى من أول شخص وجد علم هذه الصناعة استنباطا لقصر عمره وطول الصناعة. ولا يجوز أن يجتمعوا فى مبدأ الكثرة على استنباطها من أجل أن الصناعة متقنة محكمة. وكل أمر متقن لا يستنبط بالاختلاف بل بالاتفاق. والأشخاص التى هى أول فى الكثرة لا يجوز أن تجتمع على أمر متقن، من أجل أن كل شخص لا يساوى كل شخص من جميع الجهات وإذا لم تتساو من جهة آرائها لم يجز أن تجتمع على أمر محكم.

.. قال ابن المطران: هذا يؤدى أيضا فى باقى العلوم والصناعات إلى أنها إلهام، لأنها ذوات إتقان أيضا «وقوله أيضا إن الأشخاص لا يجوز أن تجتمع على أمر متقن، ليس بشىء[1]. بل اجتماعها لا يكون إلا على أمر متقن. وإنما الاختلاف يقع مع عدم الاتقان».

قال أبو جابر: «فقد بان أن الأشخاص فى مبدأ الكثرة لايتأتى منها استنباط هذه الصناعة، وكذلك عند نهاية الكثرة لتباينهم وافتراقهم، ووقوع الخلف بينهم».

.. ونقول أيضًا: يجوز أن يشك شاك فيقول: هل يتأتى عندك أن

---

(١) ليس مما يصح أن يعلم ويخبر عنه.

يعرف إنسان من الناس أو كثير منهم، منابت الحشائش والعقاقير، ومواضع المعادن وخواصها، وقوى أعضاء سائر الحيوان وخواصها ومضارها ومنافعها ويعرف سائر الأمراض والبلدان واختلاف أمزجة أهلها مع تفريق ديارهم؟ ويعرف القوة التى ينتجها تركيب الأدوية، وما يضاد قوة من قوى الأدوية، وما يلائم مزاجا مزاجا وما يضاده، مع ما يتبع ذلك من سائر صناعة الطب فإن سهل ذلك وهونه كذب، وإن صعب أمره فى عمله من جهة المعرفة قلنا استنباط هذه الصناعة بقى أن تكون موجودة بطريق الوحى والإلهام.

.. قال ابن المطران : هذا كلام مشوش كله مضطرب، وإن كان جالينوس قال فى تفسير العهد : إن هذه الصناعة وحيية إلهامية. وقال : فلاطن فى كتاب السياسة إن اسقليبيوس كان رجلا مؤيدا ملهما.

.. لكن تبعيد حصول هذه الصناعة باستنباط العقول خطأ، وتضعيف العقول التى استنبطت أجل من صناعة الطب. ولنتنزل أن أول العالم كان واحدا محتاجا إلى صناعة الطب كحاجة هذا العالم الجم الغفير اليوم، وأنه ثقل عليه جسمه واحمرت عيناه وأصابه علامات الامتلاء الدموى، ولا يدرى ما يفعل، فأصابه من قوته الرعاف[1]. فزال عنه ما كان يجده فعرف ذلك، فعاوده فى وقت آخر ذلك بعينه فبادر إلى أنفه فخدشه فجرى منه الدم فسكن عنه ما كان يجده فصار ذلك عنده محفوظا يعلمه كل من وجده من ولده ونسله. ولطفت حواشى الصناعة حتى فتح العرق بلطافة ذهن ورقة حس.

.. ولو نزلنا لفتح العرق، آنًا آخر، ممن هذه صفته، الجرح أو الخدش فجرى منه الدم فكان له ما ذكرنا من النفع، ولطفت الأذهان فى استخراج[2]. الفصد جاز فصار هذا بابا من الطب. وآخر امتلأ من

---

(١) الدم يخرج من الأنف.

(٢) تفجير الدم من العرق.

الطعام امتلاء مفرطا فأصابه من طبيعته أحد الاستفراغين[١]، إما القىء وإما الإسهال بعد غثيان وكرب وقلق ومغص وقراقر[٢]. ووريح جواله فى البطن فعند ذلك الاستفراغ سكن جميع ما كان يجده. وقد كان آخر من الناس عبث ببعض اليتوعات[٣]. فمضغه، فأسهله وقيأه إسهالا وقيئا كثيرا، وصارت عنده معرفة أن هذه الحشيشة تفعل هذا الفعل، وأن هذا الحادث مخفف لتلك الأعراض مزيل لها، فذكره لذلك الشخص، وحثه على استعمال القليل منه لما تعوق عليه القىء والإسهال، وصعبت عليه الأعراض. ولطفت الصناعة ورقت حواشيها، ونظرت فى باقى الحشائش الشبيهة بتلك، ما منها يفعل ذلك، وما منها لا يفعله، وما منها يفعله بعنف، وما منها يفعله بضعف.

.. وجاء صفاء العقول فنظر فى الدواء الذى يفعل ذلك أىُّ الطعوم طعمه وأى الكيفيات يسبق إلى اللسان منه، وأيها يتبعها، فجعل ذلك سباره.[٤]. ويستخرج منه وأعانته التجربة وأخرجت ما وقع له من القول إلى الفعل، وكذبت ما غلط فيه وصححت ما حدس[٥]. عليه حدسا صحيحا حتى اكتفى من ذلك. وإذا نزلت أن مسهولا[٦]. لا يعلم أى الأدوية وأى الأغذية ينفعه أو يضره، استعمال بالاتقان «سُمّاقا» (نبات طبى ينبت فى المرتفعات والجبال) فى غذائه فانتفع به ودام عليه فأبرأه، فأحب أن يعلم بماذا أبرأه، فتطعمه فوجده حامضا قابضا، فعلم أنه لا يخلو من أن يكون حمضه نفعه أو قبضه، فذاق غيره مما فيه حموضة محضة فقط، واستعمله فى غيره ممن به مثل ما كان به، فوجده لا يفيده ما أفاده هو

(١) التقيؤ بتكلف.

(٢) واحدها قرقرة وهى صوت البطن.

(٣) واحدها يتوع ويتوَّع : كل نبات له لبن دار مسهل محرق مقطع وكل اليتوعات إذا استعملت على غير وجهها أهلكت.

(٤) السبار : فتيلة تجعل فى الجرح.

(٥) توهم وظن.

(٦) مصابا بالإسهال.

فعمد إلى شيء آخر طعمه قابض فقط فاستعمله فى ذلك الشخص بعينه، فوجد فائدته فيه أكثر من فائدة الحامض المطلق، فعلم أن ذلك الطعم مفيد فى تلك الحالة وسماه قابضا، وسمى ذلك استفراغا، وقال إن القابض ينفع من الاستفراغ.

ولطفت الصناعة ورقت حواشيها فى ذلك حتى استخرجت العجائب، واستنبطت البدائع. وأتى الثانى فوجد الأول وقد استخرج شيئا جربه فوجده حقا، فاحتفظ به وقاس عليه، وتم حتى استكملت الصناعة. ولو نزلنا بمجيء مخالف وجدنا كثيرين موافقين، وإذا غلط متقدم سدد متأخر وإذا قصر قديم تم محدث هكذا فى جميع الصناعات.

.. وهم مختلفون أيضا فى المكان الذى ظهر فيه الطب والدواء أول مرة بعضهم يقول إن أهل مصر استخرجوه ويصححون ذلك من الدواء المسمى بالراسن[(١)].

.. وبعضهم يقول إن هرمس[(٢)]. استخرجه مع سائر الصنائع الفلسفة والطب. وبعضهم يقول إن أهل فولوس[(٣)]. وقيل أهل مورسيا وافروجيا وهم أول من استخرج الزُّمر أيضا وكانوا يشفون بالألحان والإيقاعات آلام النفس.

وقيل أهل قوّ[(٤)]. وهى الجزيرة التى كان بها بقراط وأباؤه. وذكر كثير

---

(١) يسمى باليونانية الأف وبالفارسية «الراسن» وهو نبات «القنس» جاء فى الفيروزابادي: طيب الرائحة ينفع فى علاج الالام والأوجاع الباردة والمالنيخوليا ووجع الظهر والمفاصل. وهو ملين مقو للقلب والمعدة بالعسل لعوق، جيد للسعال وعسر التنفس، يذهب الغيظ ويبعد عن الأفات.

(٢) هو مر كيور بن جوبيتر، رسول الآلهة. وزعموا أنه إله الفصاحة والتجارة.

(٣) فولوس: مدينة شرق اليونان جنوب شرق تساليا، على خليج فولوس (بحر إيجه) يزعمون أن أهل فولوس استخرجوا منها الأدوية التى ألفتها القابلة لامرأة الملك فكان بها برؤها. (طبقات الأطباء لابن أبى اصيبعة ص ١٢).

(٤) قو: جزيرة فى بحر إيجه موطن أبقراط وآل اسقليبيوس.

من القدماء أنه ظهر فى ثلاث جزائر إحداها رودس[١]. والثانية تسمى قنيدس[٢]. والثالثة قو.

.. وقيل استخرجه الكلدانيون[٣]، وقيل استخرجه السحرة من اليمن وقيل من بابل وقيل من فارس. وقيل استخرجه أهل الهند.

.. وقيل الصقالبة[٤].

.. وقيل أهل أقريطش[٥].

.. وقيل أهل طورسينا[٦].

.. وقد يكون حصل للناس منذ القدم شيء من الطب عن الأنبياء والصلحاء. روى ابن عباس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «كان سليمان بن داود عليهما السلام إذا صلى رأى شجرة نابتة بين يديه، فيسألها

---

(١) جزيرة ببحر إيجه باليونان تجاه آسيا الصغرى (١٤٠٣كم^2) تقع شرق الأرخبيل اليونانى.

(٢) جزيرة صغيرة من جزر الدوديكانيز. والدوديكانيز مجموعة من الجزر مساحتها ٢٧٠٤ كم جنوب شرق بحر إيجه باليونان بين اسيا الصغرى وكريت.

.. وأما التعليم الذى كان بمدينة رودس وقيدس فإنه باد بسرعة لأنه لم يكن لأربابه وارث وأما الذى كان بمدينة قُو وهى التى كان يسكنها أبقراط فثبت وبقى منه بقايا يسيرة لقلة الوارثين له. عيون الأنباء ص ٤٤.

(٣) كلدانيا: اسم كان يطلق قديما فى الأغلب على القسم الجنوبى الأقصى من وادى دجلة والفرات، وكان يشمل أحيانًا بابل، وبهذا المعنى كان يضم كل جنوب أرض الرافدين.

(٤) لم يذكر ابن أبى أصيبعة الصقالبة ضمن من قيل عنهم إنهم مستخرجون لعلم الطب. والصقالبة أو السلاف: هم شعوب تسكن بين جبال الأورال والبحر الأدرياتى فى أوربا الشرقية والوسطى، ويتكلمون بلغات تنتمى إلى العائلة الهندو ـ أوربية، ويقسمون عادة إلى ثلاثة أقسام كبرى: صقالبة الغرب ويشملون البولنديين، والتشيكيين، والسلوفاكيين وعناصر أخرى صغيرة فى شرق ألمانيا، وصقالبة الشرق وهم الروس الكبار والأوكرانيون (الروس الصغار) والروس البيض «البيلوروسيون»، وصقالبة الجنوب ويضمون الصربيين والكرواتيين والسلوفينيين والمقدونيين والبلغاريين. وأبرز معالم التاريخ الصقلبى ظهور روسيا الموحدة من عدة دول منفصلة.

(٥) يقصد أهل كريت: وكريت أكبر جزيرة باليونان (٨٣٨٠ كم^2). تقع فى شرق البحر المتوسط. واشتهرت بمدنيتها العريقة.

(٦) بلدة فى شبه جزيرة سيناء. وقد ذكر جبل طور سيناء فى القرآن الكريم ﴿والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين﴾ صدق الله العظيم.

ما اسمك؟ فإن كانت لِغَرْسٍ غرست وإن كانت لدواء كتبت.

.. وقال قوم من اليهود[1]. إن الله عز وجل أنزل على موسى عليه السلام سفر الأشفية.

.. والصابئة[2]. تقول: أن الشفاء كان يؤخذ من هياكلهم على يد كهانهم وصلحائهم، بعض بالرؤيا وبعض بالإلهام.

.. وبالجملة فإنه كما يقول ابن أبي أصيبعة قد يكون مما دفع بالتجربة والاتفاق والمصادفة أكثر ما حصلوه من هذه الصناعة ثم تكاثر ذلك بينهم وعضَّدَه القياس بحسب ما شاهدوه، وأدتهم إليه فطرتهم فاجتمع لهم من جميع تلك الأجزاء التي حصلت لهم بهذه الطرق المتفننة المختلفة أشياء كثيرة. ثم إنهم تأملوا تلك الأشياء واستخرجوا عللها والمناسبات التي بينها، فتحصَّل لهم من ذلك قوانين كلية ومبادئ منها يبتدأ بالتعلم والتعليم وإلى ما أدركوه منها أولا ينتهى. فعند الكمال يتدرج في التعلم من الكليات إلى الجزئيات، وعند استنباطها يتدرج من الجزئيات

---

(١) عيون الأبناء.. ص ١٧، ص ١٨.

(٢) الصابئة: اللفظة آرامية الأصل، تدل على التطهير والتعميد وتطلق على فريقين:

١ - جماعة المندائيين أتباع يوحنا المعمدان.

٢ - صابئة حران الذين عاشوا زمنا في كنف الإسلام، ولهم عقائدهم وعلماؤهم: وهم وثنيون. ورد ذكرهم في القرآن الكريم ثلاث مرات بجانب اليهود والنصارى. والصابئة يعدون بين الروحانيين الذين يقولون بوسائط بين الله والعالم، وهي الأسباب المباشرة للتغير، فهي التي تدبر الكون وتفيض عليه الوجود، وتفننوا في إقامة هياكل لها، وصفها الدمشقي بدقة. ويحرص الصابئة على تطهير أنفسهم من دنس الشهوات، والارتقاء بها إلى عالم الروحانيات. لهم طقوس ثابتة، فيتطهرون بالماء إذا لمسوا جسدًا، ويحرمون الختان، كما يحرمون الطلاق إلا بأمر من القاضي. ويمنعون تعدد الزوجات ويؤدون ثلاث صلوات كل يوم. وقد عاشوا متفرقين في شمال العراق مركزهم الرئيسي حران ولغتهم السريانية. وفي عهد العباسيين كان منهم المترجمون والرياضيون والنباتيون والوزراء، مثل ثابت بن قرة، وابنه سنان، وأبو اسحق بن هلال الوزير، وابن وحشية. وكان «المأمون» قد هم بإبادتهم لكن شفعت لهم علومهم. وكانت منهم فرقة قوية في بغداد استمرت نحو قرنين، وخاصة في عهد أبي اسحق الصابي وزير الطائع والمطيع، ثم انقرضوا في القرن الحادي عشر الميلادي بعد استيلاء الفاطميين على حران ولم يبق لهم إلا آثار قليلة.

إلى الكليات، وأقول أيضا إنه ليس يلزم أن يكون أول هذا مختصا بموضع دون موضع، ولا يفرد به قوم دون آخرين إلا بحسب الأكثر والأقل، وبحسب تنوع المداواة. ولهذا فأن كل قوم هم مصطلحون على أدوية يألفونها ويتداوون بها، وأرى أنهم إنما اختلفوا فى نسبة صناعة الطب إلى قوم بحسب ما قد كان يتجدد عند قوم فينسب إليهم فإنه قد يمكن أن تكون صناعة الطب فى أمة أو فى بقعة من الأرض، فتندثر وتبيد بأسباب سماوية أو أرضية، كالطواعين المفنية والقحوط المحلية والحروب المبيدة والملوك المتغلبة، والسير المخالفة. فإذا انقرضت فى أمة ونشأت فى أمة أخرى، وتطاول الزمان عليها نسى ما تقدم، وصارت الصناعة تنسب إلى الأمة الثانية دون الأولى ويعتبر أولها بالقياس إليهم فقط فيقال لها مذ ظهرت كذا وكذا وإنما يعنى فى الحقيقة مذ ظهرت فى هذه الأمة خاصة وهذا مما لا يبعد. فإنه على ما تواترت به الآثار، وخصوصا ما حكاه جالينوس وغيره، أن أبقراط لما رأى صناعة الطب قد كادت أن تبيد، وأنه قد درست معالمها عن آل اسقليبوس، الذين أبقراط منهم، تداركها بأن أظهرها وبثها فى الغرباء وقواها ونشرها وشهرها بأن أثبتها بالكتب. فلهذا يقال أيضا على ما ذهب إليه كثير من الناس، أن أبقراط أول من وضع صناعة الطب وأول من دونها وليس الحق، على ما تواترت به الآثار، إلا أنه أول من دونها من آل اسقليبوس لتعليم كل من يصلح لتعلمها من الناس كافة، ومثله سلك الأطباء من بعده، واستمر إلى الآن واسقليبوس الأول هو أول من تكلم فى شىء من الطب على ما سيأتى ذكره.

.. وهكذا خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان فى كبد وَنَصَبٍ وألم. ومنذ عرف الإنسان الألم فكر فى كيفية إزالة هذا الألم عن طريق العلاج والطبابة ولعل أول من مارس الطب هو سيدنا ادم عليه السلام عندما ساعد أمنا حواء حين وضعها أول أبناء الإنسانية.

.. ولعل أطباء مصر أول من برع فى صناعة الطب.

.. وقد أشاد هوميروس فى « الأوديسا » بمهارة الأطباء المصريين وقال[1] : هيرودوت غير مرة إنهم كانوا يعالجون أنواعا شتى من الأمراض يختص كل منهم بمرض يبرع فى علاجه، وروى أن قورش أرسل إلى مصر فى طلب طبيب للعيون، وأن « دارا » كان عظيم الإعجاب بهم وكان الاغريق يعرفون اسم أمحوتب رب الحكمة فى مصر القديمة ونقلوا عن الطب المصرى كثيرا من العقاقير كما نقلوا آلات الجراحة بغير تبديل..

.. وكانت أهم العلامات المميزة للطب عند قدماء المصريين صلته بالدين[2]، فكان هناك عدة آلهة لشفاء الأمراض. وكان نصير الأطباء هو الإله « توت » وكانت الإلهة « إيزيس » يُتضرع إليها لشفاء الأمراض المستعصية. وقد امتدت عبادة ايزيس أيام الامبراطورية الرومانية وشملت العالم الغربى كله وكانت تمثل بشكل سيدة جالسة وأحيانا وهى تحمل ابنها حورس على ذراعيها.

.. وإن المتصفح للبرديات الطبية يظن لأول وهلة أن الطب المصرى القديم كان تحت تأثير السحر والرقى التعاويذ، نظرا لتكرار الأدعية بها ولكن الحقيقة غير ذلك، أنه لا يمكن قطعا علاج قدم به كسر بواسطة السحر والرقى، إنما يمكن شفاء مرض باطنى بهذه الطريقة، لأن أى تغيير فى حالة المريض العقلية تؤثر بدورها على حيوية الجسم فى مقاومة المرض وبالتالى شفائه.

.. وكان الكهنة أول من مارس مهنة الطب، ثم نشأت فئة الأطباء من غير رجال الدين، ثم انقسمت هذه الفئة إلى درجتين إحداهما وسيلتها السحر والشعوذة، أما الثانية فكانت تعتمد فى علاجها على العقاقير والجراحة وظهر فيها الأخصائيون.

---

(١) أثر العرب فى الحضارة الأوربية للعقاد. ص ٣٤.

(٢) من تاريخ الطب عند العرب للدكتور فهمى أبادير. ص ١٣.

.. وإلى الكهنة يرجع الفضل فى إدخال كثير من الوصفات الصحية بحجة الدين مثل حظر أكل لحم الخنزير والبجع والصيام أربعون يوما كل عام مع تجنب العلاقات الجنسية، وتعاطى السلامكى كشربة مرة كل شهر والاستحمام يوميا وإزالة الشعر الذى ينمو على الجسم.. ومن أطباء مصر القديمة المعروفين «امحتب» رئيس مهندسى العمارة فى عصر الملك «زوسر» أحد ملوك الأسرة الثالثة المصرية التى يرجع تاريخها إلى القرن التاسع والعشرين قبل الميلاد.

.. وعلى ضفاف النيل سارت صناعة الطب ببطئة بعض الشىء لكنها سرعان ما نمت فى عهد المملكة الوسطى وأول عهد المملكة الحديثة، مما جعل العلماء يفدون إلى مصر لينهلوا من علمها ويطّلعوا على المراجع الهائلة بمكتبة منف ومن أبرز من زار مصر من العلماء والأطباء والفلاسفة أبقراط وفيثاغورث وأفلاطون.

.. وكان فى مصر عدد من الأطباء الجراحين. ولعل الجراحين المصريين كانوا أول من أجرى عملية الختان كما ثبت ذلك من الطقوس والنقوش[1].

.. ويقول الدكتور أبادير[2]. وكانت الجروح النظيفة تعالج بالخياطة والأربطة اللاصقة والجروح الأخرى تعالج باللحم الطرى أول يوم ثم بالعسل والأعشاب القابضة. أما الكسور فقد عولجت بنجاح واستعملت الجبائر فى علاجها.

.. وكان لدى قدماء المصريين عدة طرق لتشخيص الحمل ومعرفة نوع الجنين.

.. وبردية إدوين سميث Edwin Smith[3] تعد وثيقة هامة للمعلومات

---

(١) من المعروف أن سيدنا إبراهيم عليه السلام أول من اختتن.

(٢) المرجع السابق ص ١٤.

(٣) يقول الدوميلى فى العلم عند العرب ص ٣٦: كانت بردية إدوين سميث موضوع =

الطبية القيّمة عند قدماء المصريين فقد تضمنت معلومات دقيقة عن وصف بعض الأمراض وطرق علاجها وفيها بدايات حقيقة أولية لصناعة الطب وعلم التشريح.

ويظهر من الرسالة علم مؤلف الرسالة بالتشريح [١] «فقد وصف المخ وأغشيته والسائل النخاعى المخى ووصف تعاريج المخ وشبهها بالنحاس المصهور وذكر أن القلب تخرج منه الأوعية إلى كل أطراف الجسم ووصف كسر الفقرات وأن إحداها تنغرز فى الفقرة التالية كما تنغرز القدم فى الأرض المنزرعة ولا يمكن معرفة ذلك دون تشريح ووصف الفك الأسفل وشبهه بمخلب الطائر. أما علمه بوظائف الأعضاء فهو بالطبع أقل من علمه بالتشريح ومع ذلك فقد علم أن النبض يدل على حالة القلب وهو ما لم يفطن له أبقراط ولم يعن به أحد حتى عهد أطباء الإسكندرية وكان يعلم أن إصابة الرأس تحدث شللاً فى أحد نصفى الجسم.

.. أما علمه الإكلينيكى فهو موضع الدهشة والإعجاب فهو يختار من الأعراض أهمها وله فى ذلك قدرة خارقة ثم هو لا يكاد يخطىء فى تقدير خطورة الأعراض الخطرة فهو واثق تمام الثقة أن الكسر المصحوب بجرح وحرارة أشد خطرًا من الكسر الذى ليس فيه جرح وهو يعرف أعراض الإلتهاب ويصف الجروح فى أدوارها المختلفة وصفًا دقيقًا ويعلم أسباب كسر السلسلة الفقرية وما يصحبها من شلل وهو يعلم أعراض الضغط على المخ وما يتبعه من فقد الوعى والشلل وقد وصف أعراض تهيج المخ والتهاب الأغشية وعرف أن شفاء المصاب أو موته يتوقف على النبض داخل الجمجمة أهو موجود أم غير موجود وقد وصف «المعص» (جذع المفاصل) وصفًا مدهشًا حقًا أنه انفصال عظام دون أن تتغير علاقة

= الدراسة، خصوصا فى الزمن الأخير وقد قدرر بعض المؤلفين أن هذه ابردية وضعت نقطة البدء للطب العلمى.

(١) متنوعات للأستاذ الدكتور محمد كامل حسين ص ٩٨ : ص ١٠٠.

بعضها ببعض وهو تعريف ظريف وفحصه للمريض كاف دون أن يكون مرهقًا فهو يسأل المريض أسئلة قليلة هامة ويلاحظ تهيجه ويصف الهيئات الخاصة التى تدل على أمراض بعينها مثل وصفه المريض حين يمسح عينه بظهر يده وهو لا يدرى ما يعمل ومن وسائل فحصه المريض أن يضع إصبعه فى الجرح ويحس فرقعة الكسور والنبض والحرارة وهو يصف تصلب الرقبة والنزيف تحت الملتحمة والنزيف من المنخرين والأذنين ويعلم بالضبط قيمة ذلك فى التشخيص والعلاج وهو يذكر الشلل النصفى والجماعى وسيل البول والإنتفاخ وغير ذلك من العلامات العامة ولم يخطىء مرة فى تقدير علامة من علامات هذه الأمراض.

.. أما علمه بالعلاج ووسائله فهو أيضا مدهش حقًا وعلاجه فى أكثر الأحوال ينطبق على العقل ويدل على فهم للمرض وأثر العلاجات المختلفة فيه وهو يرد الخلع ويصلح من الكسور ويضع جبائر من الكتان الجاف الصلب ويضع قطعة أو أنبوبة من الخشب بين الفكين للتغذية فى حالات لعلها التيتانوس أو الالتهاب السحائى وهو يخيط الجروح ويعلم إنها ستتقيح وإنها تحتاج بعد ذلك إلى الدهن والعسل وهو علاج يكاد يتفق وعلاجنا الحديث ولا يغير من هذه الحقيقة إننا نضع الفازلين بدلا من الدّهن ونضع المحاليل القوية التى لا يختلف عملها فى الجروح عن عمل العسل ويضع قطع من الكتّان تقرب بين حافتى الجروح ويحرم وضعها عندما تكون ملتهبة متقيحة ويربط جروحه إلاّ فى حالتى ضغط المخ وشدة القيح حتى لا تظل الإفرازات داخل الجروح ويضع المكمدات على الجروح الملتهبة ويضع عليها قبل إلتهابها أوراق الشجر الرطبة (كما نضع نحن تحت خلات الرصاص) أما وضعه قطعة اللحم على الجرح فى أول يوم فغير مفهوم بالضبط إلا أن يكون ذلك ليوقف النزيف وهذه الرسالة تدل على مهارة صاحبها فى الطب وتدلنا على عبقريته الفذة مع بواكير الحضارة القديمة ويتبين لنا مدى تفوقه فى الجراحة والتشريح كما بين لنا ذلك الدكتور محمد كامل حسين رحمه الله.

.. وكانت للمصريين مهارة معروفة فى التحنيط والتشريح والجراحة ذلك أنهم كانوا يحنطون جثث الموتى من الناس والحيوانات[1].. وفى المومياءات الباقية آثار عمليات جراحية كبيرة منها مثلا عملية فى محجر ضرس فى الفك الأدنى قد ثقب لاستخراج الصديد من خراج كان فيه. وكذلك كان الختان معروفا عندهم، وكانوا يعتقدون أنه يمنع عددا من الأمراض.. وعرف المصريون أن الشرايين والأوردة تتوزع من القلب ولكن أساءوا فهم الوظيفة التى تقوم بها المجارى الدموية.

.. وقد وصل إلينا كتاب فى الجراحة، من نحو عام ٢٠٠٠ ق. م فيه ذِكْرٌ للدماغ وأنه يسيطر على أطراف البدن، فإذا أصيب الدماغ بأذى فى مغرز متصل بأحد تلك الأطراف لحق بذلك الطرف ضرر. وقد استعمل أطباء مصر العديد من العقاقير النباتية والمعدنية[2] فعرفوا الأعشاب الطبية والفواكه والخضروات المفيدة كما استخدموا أملاح النحاس والقصدير فى علاجاتهم المختلفة، ولكنهم كانوا يركزون على الأعشاب فى صنع العقاقير الطبية كما استخدموا المراهم المختلفة كعلاج لبعض الأمراض الجلدية.

---

(١) تاريخ العلوم عند العرب د. عمر فروخ ص ٨٥.

(٢) ذكر الدكتور حسن كمال فى كتاب «الطب المصرى القديم» أن المصريين كانوا أول من استعمل العقاقير الآتية فى علم الطب وهى مما لا يزال يحتفظ بنفس الخواص التى اشتهر بها عند قدماء المصريين.

١ - **الخشخاش**: الذى يستخرج منه الأفيون كان يستعمل علاجا فى الأحوال المصحوبة بألم، وفى المغص المعوى سواء كان موضعيا، أو أخذًا عن طريق الفم (عن إيبرس ١٨٨، ٢٤٨.

٢ - **خانق الذئب**: دواء مُسَكِّن وملطف كان كثير الاستعمال فى الأحوال المؤلمة (عن إيبرس ٢٤٨).

٣ - **النعناع الفلفلى والكندر والمر** وغيرها من المواد العطرية): كانت كثيرة الاستعمال فى الجروح والدهانات من الظاهر، وفى الأمراض المعوية وكلها مفيدة فى كثير من الأمراض نظرًا لما لها من التأثيرات على الجلد، ولما فيها من الخواص المضادة للميكروبات فهى مطهرة للجسم (عن ايبرس ٢٥٣، ٢٥٥).
=

. . . .

= ٤ - خلات الرصاص: كانت تستعمل كاستعمالها الآن أى فى تسكين الآلام الظاهرة وتلطيف الأحوال المؤلمة فى الداخل (ايبرس ٤٤٩، ٤٥٠).

٥ - الأثمد: استعمل فى العين واحتقانها (عن ايبرس ٣٣٧) ولا يزال يتخذ كحلا للعيون.

٦ - سلفات النحاس: كانت تستعمل فى العين وهى من أهم العقاقير المفيدة فى الرمد الحبيبى (عن ايبرس ٣٥٩).

٧ - زيت الخروع: استعمل للإسهال ولإنماء الشعر (عن ايبرس ٢٥١).

٨ - صدأ الرصاص: كان يستعمل لتسكين الآلام ولمراض العين وللغرغرة والإسهال (عن ايبرس ٢٥٠).

٩ - خلات الحديد: كانت تستعمل للغرغرة ولأمراض النساء (عن ايبرس).

١٠ - العرعر: كان يستعمل لتسكين الآلام الظاهرة ولأمراض القلب لما له من الفائدة فى إدرار البول لتخفيف أوجاعه وكذلك كان يستعمل للأمراض البولية وللالتهاب المثانة (عن ايبرس ٥٥٢، ٢٥٤، وعن هيرست ٢٨٢.

١١ - قشر الرمان: استعمل فى علاج الديدان (عن برلين ٦].

١٢ - السوابة أى الحنظل الأخضر: كان يستعمل لإسهال البطن ولعلاج الديدان ولتخفيف الآلام الظاهرة (عن ايبرس).

١٣ - بذر الكتان: كان يستعمل من الظاهر للآلام والالتهاب (عن ابيرس ٤٣٨).

١٤ - الصمغ: كان يستعمل للإسهال والنزلات المعوية (عن ايبرس ٢٠٥ ب).

ملحوظة: يقصد بـ «أيبرس» قرطاس أيبرس الطبى الذى عثر عليه الأستاذ ايبرس الأثرى الألمانى عام ١٨٧٢ بمصر وهو يعد من أقدم المخطوطات عن الطب والصيدلة ويرجع تاريخه إلى حوالى عام ١٥٥٢ ق.م.

ويقصد بـ «هيرست» قرطاس هيرست الطبى الذى عثر عليه سنة ١٩٠١ أعضاء لجنة هيرست للبحث عن الآثار فى دير البلاص فى مصر ويظهر أن تاريخ القرطاس يرجع إلى السنة التاسعة لحكم الملك امنوفيس الأول لمصر وهو نفس زمن كتابة قرطاس ايبرس كذلك.

وقد استطاع قدماء المصريين تحنيط موتاهم بطرق لم يكشف عنها حتى الآن. ولم يعتمدوا فى التحنيط على العقاقير. وكانوا يدفنون موتاهم فى لحود عميقة.

ويحدثنا هيردوت الذى عاش فى مصر بين سنة ٤٥٧ ق.م وسنة ٤٥٣ ق.م عن طرق التحنيط عند قدماء المصريين ويصفها لكنا نشك فيما قاله هيردوت لأن التحنيط يعد من الأسرار التى لم تعرف حتى الآن.

يقول هيردوت «كان التحنيط يبتدئ بإخراج المخ بواسطة قضبان عقفاء من الحديد ينجذب بها ما يمكن إخراجه من الجمجمة وما بقى منه يستأصل بعقاقير تدخل فى تجاويفها ثم يفتح الخصر بسكين حاد من حجر الظرّ [وهو حجر مضرّس له حدّ كحدّ السكين] وتستخرج من =

الطب فى وادى الرافدين (ما بين النهرين):

.. كان الطب القديم عند البابليين يشوبه شيء من الكهانة والسحر لأن المرض عندهم كان يعتبر عقابا إلهيا على ذنوب ارتكبها المريض، ولذلك لم يكن أحد ليحاسب الكاهن أو الساحر على أى خطأ قد يرتكبه فى علاج مرضاه، بينما يعاقب الطبيب الجراح الذى يخطئ فى علاجاته وجراحاته لأنه يعمل بيديه لا بقوة كهنوتية أو سحرية كما يفعل السحرة والكهنة. فشريعة حمورابى تنص على أن الجراح إذا ما استعمل مشرطه البرونزى وأخطأ فى استعماله تقطع يده، وإذا تقاضى أجره أكثر مما يستحق يعاقب بالحبس ولقد نظمت شريعة حمورابى أسعار الخدمات الطبية وأجور الأطباء وفرضت كذلك عقوبة على الحاضنات والمراضع اللاتى يهملن العناية بالرضع.

.. وقد عرف أطباء بابل التشريح معرفة جيدة واهتموا بدراسة كبد

= هذه الفتحة محتويات الجوف وهذه تنظف من جميع الفضلات وتوضع فى نبيذ البلح وفى العقاقير العطرية، ثم تملأ بالمُرّ النقى ومسحوق الينسون والعطريات الخاصة، ثم تخاط الفتحة وتوضع الجثة فى سائل النطرون فتمكث فيه سبعين يوما فى نهايتها ترفع الجثة من المحلول وتغسل، ثم تلف فى لفائف من الكتان مغمورة فى الصمغ وبهذا تم العملية وتسلم الجثة إلى أهلها فيضعونها فى تابوت من خشب له غطاء على هيئة الإنسان وهذه هى أعظم وأتقن طرق التحنيط.

أما الطريقة الثانية وهى دون الأولى فى القمة وفى الصنعة فتبتدئ بقذف زيت السيدار فى جوف البطن من الشرج ثم تخيط فتحة الشرج لحبس السائل، ثم تنقع الجثة فى ماء النطرون مدى الفترة المقررة وهى سبعون يوما حتى إذا ما انقضت أطلقوا زيت السيدار ليخرج مندفعًا بجميع ما أذابه من الأحشاء حين يكون ماء النطرون قد أهرى العضلات فلا يتبقى بعد ذلك إلا الهيكل العظمى المغطى بالجلد..

أما الطريقة الثالثة وهى أرخصها فتتلخص فى غسيل البطن بزيت الفجل وتنقع الجثة فى ماء النطرون سبعين يوما ثم تسلم بعد ذلك لذويها. وقد جاء بعده ديودور الصقلى بنحو ٤٤٠ سنة فذكر أن الخصر كان يشق وأن الأحشاء كانت تنزع، أما القلب والكليتان فكانت تنظف بنبيذ البلح وتدعك بمسحوق العقاقير العطرية ثم تغسل الجثة كلها وتدهن بعد ذلك بالمر والينسون وغيرهما من العقاقير التى تحفظ الجثة من التعفن والتحلل ثم تعطر بالرائحة الذكية ثم تسلم إلى ذويها سليمة الأعضاء الظاهرة حافظة لهيئة الوجه وحسنه الطبيعى الحيوى.

الإنسان لظنهم أنه رئيس جميع الأعضاء وأنه مركز العاطفة، كما أن القلب عندهم كان مركز العقل.

.. وكان فى وادى الرافدين ثلاثة مذاهب للمعالجة : المعالجة بالنصح (الطب الوقائى)، والمعالجة بتشخيص المرض[1] ووصف الأدوية النباتية والحيوانية والمعدنية، والطب المزاجى (الطبيعى)، والمعالجة بالسحر والطلاسم (الطب النفسى)، وقد نفر الأطباء من تناول المسكرات وعالجوا باللمس، وعرفوا الجراحة واستخدموا الحشيش والأفيون للتخدير عند اجراء العمليات. وكان أهل المريض إذا عجز الأطباء عن مداواة مريضهم - يضعونه فى الأماكن العامة رجاء أن يمر به من كان قد أصيب بمثل ما به فيصف له العلاج الذى كان قد شفاه.

..ومن أغرب ما كان يتبع فى العلاج[2] «أن الساحر بعد أن يسيطر على الروح المؤثرة فى المرض يحولها إلى مادة مُحسة ثم يقضى عليها، كأن يحوّلها إلى إناء به ماء ثم يكسر الإناء أمام المريض فيراق ما به من ماء أو يحولها إلى تمثال من الخزف يربط بجسم المريض ثم يرفع عنه ومما كان يتبع فى علاج عقدة اللسان أو التواء الأمعاء أن يؤتى بحبل عقدت فيه عدة عقد ثم يحلها الساحر واحدة واحدة وهو يتمتم تمتماته التى نعهدها فى المشعوذين. وقد برع البابليون فى التنجيم وكانت لهم فيه الأسبقية واعتقدوا أن لحركات الشمس والقمر والنجوم تأثيرًا فى حياة بنى الإنسان ولذا كانوا فى ذلك أساتذة اليونانيين واضعى علم الفلك وأساتذة أطباء العقول الذين قالوا بوجود علاقة بين المرض العقلى وحركات الأفلاك وفى مقدمتهم باراسيلوس (١٤٩٣ - ١٥٤١م) الذى قرر أن الطبيب الذى لا علم له بعلم الفلك لا يستطيع أن يعرف أسباب الأمراض ولا طرائق علاجها. وأن الحياة كلها صدرت عن الكواكب وأن الشمس هى المسيطرة على

---

(١) تاريخ العلوم عند العرب ص٨٤ د. عمر فروخ.

(٢) العلاج النفسانى: حامد عبدالقادر ص١٧ وص١٨.

الرأس والقمر هو المسيطر على المخ والمشترى هو المسيطر على الكبد وزحل هو المسيطر على الرئتين والمريخ هو المسيطر على الصفراء والزهرة هى المسيطرة على الظهر وأن للمغناطيس تأثيرًا فى معالجة الأمراض.

.. لكن الملاحظ كما ذكرنا من قبل أن الطابع الغالب على طب وادى الرافدين هو الكهنوت والسحر حيث كان يعتقد أن الأمراض الشديدة تأتى نتيجة غضب الآلهة أو نتيجة السحر وتأثيره.

.. لهذا كان الساحر الطبيب يتمتع بنفوذ كبير آنذاك لأنه كان يمثل الواسطة بين المريض وبين قوى الأرواح التى كانت تتحكم فى زعمهم فى التأثير على المريض وكان الطبيب الساحر يقدر على طرد هذه الأرواح من جسم المريض. ولهذا كان الطبيب الساحر يتمتع بنفوذ عظيم لدى البابليين كما ذكرنا من قبل والواقع إن لممارسة السحر تاريخا طويلا[1] «فهو من الأعمال التى شاع أمرها بين الأمم البدائية وقد ظل كثير من الناس يمارسونه فى جميع مراحل الحضارة ولا تزال آثاره باقية حتى الآن فى عصرنا هذا.

«ويطلق السحر على أى عمل من مجموعة كبيرة من الأعمال المختلفة التى تعزى إلى أسباب غامضة أو عوامل سرية أو قوية خفية لا يعرفها عامة الناس».

وقد استمد الساحر قوته من الآلهة أو من أرواح تأتى من عالم الغيب فتحتل جسده وتساعده على القيام بعمله وكثيرًا ما كان السحرة يدعون أنهم يعملون أعمالهم السحرية بالاتصال بتلك الأرواح اتصالاً يخفى أمره على بقية الناس.

وكان السحرة يستخدمون للوصول إلى أغراضهم وسائل كثيرة منها :

---

(١) Dictionary of philosophy and psychology. Editid by Daldwin article: «Magic» باختصار نقلا عن «العلاج النفسانى قديما وحديثا» للدكتور حامد عبدالقادر.

١ - سلطان إرادتهم ومقدرتهم على الإستهواء.

٢ - التمسك بعبادات وتقاليد مفصلة معينة عند ممارسة السحر بالفعل كالإشارات والحركات التى كانوا يقومون بها للتأثير فى نفوس الناس.

٣ - النطق بكلمات وعبارات مغلقة بكل جد وخشوع وتوسل.

٤ - إحراق تمثال العدو أو إتلاف أى أثر من آثاره.

٥ - طرح النرد أو ما يسمى بطرق الحصى أو أخذ الفال.

٦ - قراءة سلسلة من الخطابات أو الرسائل لإستخراج صفات صاحبها ومميزاته الشخصية ومن بين الأغراض التى يرمى إليها الساحر:

١ - محاولة تأويل الماضى والإخبار بما غاب.

٢ - التأثير فى مجرى المستقبل.

٣ - ضبط قوى الطبيعة والتأثير فيها.

٤ - القضاء على المرض أو دفع الشر.

٥ - إعادة الصحة أو اجتلاب الخير.

وقد اختلف أسماء الممارسين للأعمال السابقة وما يشبهها باختلاف وظائفهم أو طبائع أعمالهم فكان منهم الساحر. والكاهن، والمنجم والمشعوذ، والمتنبئ، والحاوى» «ولم تكن أعمال السحرة وأقوالهم على العموم خيالية ولا وهمية ولكنها مع ذلك تضمنت أمورًا مبهمة تنقصها الدقة والصراحة. بحيث تصلح لأن يؤولها كل شخص تأويلاً مناسبًا لحالته ويحول منها خياله قصة كاملة يَهِشُّ لها وَيَبَشُّ وبخاصة إذا كان غير مثقف».

الطب عند الاغريق :

.. دارت دورة الحضارة والثقافة والعلم دورتها عند الإغريق قوية عظيمة شامخة بعد أن أخذ الإغريق من طب المصريين القدماء واستوعبوه وهضموه جيدا وأخذوا من الكلدان والسوريان وزادوا على طب هذه الحضارات الشيء الكثير ذلك لأن العقلية اليونانية تميزت بأنها عقلية تركيبية نشطة.

.. ومن المعروف أنه لما فقدت مصر وبابل استقلالهما بعد ظهور دولة الفرس وغزوها لمصر فى القرن السادس قبل الميلاد، انتهى بذلك العصر الشرقى المجيد الذى بنيت على أطلاله كل الحضارات التى تلته، ثم انتقل مركز العلم إلى بلاد الإغريق.[1].

.. وهناك ظاهرة أخرى اتسم بها الشعب الإغريق وهى أن التعليم الذى كان فى بداية عهده سريا، شأنه فى ذلك شأنه فى سائر الحضارات التى عاصرته سرعان ما حطم قيوده، وتخطى الحدود التى كانت موضوعة له.. وإذا بالطائفة تتحول إلى مدرسة وإذا بالمريدين يتحولون إلى طلبة وإذا بفلاسفة أثينا يتجادلون أو يتفلسفون فى كل المناسبات كالحفلات والولائم[2].

.. ولقد حقق الإغريق تقدما كبيرا فى الطب ويقول ألدوميلى[3] «وفى وسعنا أن نقرر أنهم رفعوا ذلك العلم الذى هو فن فى الوقت نفسه، إلى مستوى لم يتجاوزه اليوم، إلا فى الجزئيات والمعارف الخاصة. وأن تلك الصيحة التى تدوى من وقت إلى آخر بين الأطباء «فلنعد إلى أبقراط» لتحدثنا عن كثير فى هذا المقام، وأن منهج أبقراط لباق وسيبق إلى الأبد، من أقوى أسس الفن الطبى».

(١) من تاريخ الطب عند العرب للدكتور أبادير ص١٥.
(٢) ابن النفيس: د. بول غليونجي ص١٠.
(٣) العلم عند العرب وأثره فى تطور العلم العلمى: الدميلى ص٥١، ٥٢.

.. بيد أن الطب الإغريقي لم يقف فى خطوات نموه - عند المبادئ العامة للتشخيص والتنبؤ بالأعراض، والأراء الموجهة فى الجراحة، بل لقد عظمت ثروته بالاستكشافات العلمية الخالصة، كالابتكارات فى التشريح وعلم وظائف الأعضاء، التى هى أساس التفكير الطبي الصحيح. وأنه إذا كانت حالة التأخر فى المعارف الطبيعية - الكيمائية قد عاقت - بلا ريب - تقدم علم وظائف الأعضاء، وإن يكن إلى حد معين فقط، فإن الاستكشافات التى تمت فى علم التشريح كانت - على النقيض من ذلك - ذات أهمية أساسية، ولاسيما فى العصر المجيد لمدرسة الاسكندرية.

.. ويمكن أن نقرر أن الاغريق نجحوا فى رؤية كل ما أمكنت ملاحظته قبل اختراع المجهر (الميكروسكوب)، وأن الأخطاء التى وجدت عندهم كانت مقصورة على أمور محتملة وحسبنا أيضا أن نتصفح كتب جالينوس فى علم التشريح، والتى لا يوجد لدينا إلا ترجمة عربية لبعضها، لنقف على دقة معلوماتها وغزارة مادتها فى هذه الدائرة.

.. ولقد حال بين أطباء عصر النهضة وبين إنصاف علماء التشريح العظام من الأغريق موقف هؤلاء الأطباء وعلى الأخص «فيزاليوس» فى صراعه مع «جالينوس» وهى تلك المعارضة التى كانت ضرورة من ضرورات التقدم العلمى، فإن ذلك جعلهم يغالون فى بعض الأخطاء الحقيقية، وساقهم إلى القسوة على أولئك العلماء الأغلاط التى كان من اليسير الوقوف على أصلها.

.. وأخيرا، فإن المناقشات التى كانت تنشب بين الأطباء الإغريق حول أسس لهم، كالمناقشة التى احتدمت بين أصحاب العقيدة وأصحاب التجربة كانت فاتحة للمناقشات التى لا تزال مستمرة بين أطباء العصر الراهن، والتى لا تختلف عنها اختلافا كبيرا. فبعض الأطباء يريد أن ينقاد لنتائج ترجع منطقيا إلى نهاية تستحق أن تكون أمرًا مقررًا، أو على الأقل تستحق أن تعد دليلا مرشدا، على حين لا يثق آخرون إلا بالتجربة

المكتسبة يوما بعد آخر على رأس المريض. وهذا يرجع إلى اختلاف عميق في الأفكار.

.. وأن عدم المعرفة، أو عدم الإدراك للطب الإغريقي، سيكون معناه التنازل عن فهم التاريخ العام للطب وعلى الأخص تاريخ الطب في الدول الإسلامية الذى نما وترعرع - كما ذكرنا - في جو من الإعجاب بأبقراط، وبإلهام مباشر مصدره جالينوس.

.. ومنذ نحو عام ٥٠٠ ق.ع. كان للطب في اليونان مذهبان[1]: مذهب يهتم بالعمل على شفاء المريض بقطع النظر عن نوع المرض الذى يشكو منه المريض، لأن أصحاب هذا المذهب كانوا ينظرون إلى جميع الأمراض على أنها مرض واحد.

.. من أجل ذلك كانوا يهتمون بالتشخيص ومعرفة المرحلة التى وصلت إليها حالة المريض، ويمر المريض عند هؤلاء فى ثلاثة أدوار (دور الحضانة للمرض أو بدء ظهور أعراضه - البُحْران أو دوار اشتداد المرض - دور النقاهة الذى يمكن أن يؤدى إلى الشفاء أو إلى انتكاس حالة المريض).

.. ثم كان هناك مذهب الذين يهتمون بالتشخيص الوصفى أى (معرفة نوع المرض قبل البدء بمعالجة المريض).

.. وتقول الأساطير اليونانية القديمة إن «اسكليبيوس» هو طبيب الإغريق الأسطورى.. وتقول الأسطورة[2] أن «اسكليبيوس» هذا هو ابن «أبولون» «وكورونيس» وكان خيرون الحكيم أول معلميه. فلما مهر فى الطب حتى استطاعت إحياء الموتى، قتله «زيوس» فحمل «أبولون» «زيوس» على أن يجعل اسكليبيوس إله الطب.

---

(١) تاريخ العلوم عند العرب د. عمر فروخ ص ٨٦.

(٢) الموسوعة العربية الميسرة ص ١٥١.

.. كذلك عرف الإغريق الطب عن طريق ممارسة السّحر[١] ، وكان على الساحر أن يسلك مسلكًا خاصًا فى حياته ويقوم بأعمال معينة قبل ممارسته السحر وفى أثنائه كان عليه أن يغتسل فى أوقات معينة وأن يدهن جسمه بالزيت وأن يتجنب تناول بعض الأطعمة وبخاصة السمك وأن يصوم فى بعض الأوقات وأن يلبس من الملابس الفضفاض الخشن الخالى من العقد أو الأزره وأن يكون مؤمنًا ثابت العقيدة وأن يؤدى عمله بإخلاص وأمانة وأن يختار الوقت المناسب لعمله وكانوا يفضلون للأعمال السحرية الليل وغروب الشمس وقبيل شروقها وحينما يكون القمر هلالاً أو بدرًا وكان الساحر يحمل بعض أشياء تجعل لشخصيته شأنًا وتسهل عليه الوصول إلى غرضه كأن يمسك بيده العصا السحرية ويعلق على ملابسه مفاتيح وخيوطًا مختلفة الألوان وقد يضرب بالكاسات ليؤثر بها تأثيرًا موسيقيا. وكانوا فى بعض الأحيان يعدون المرضى إعدادًا روحانيًا فى بيئة روحانية قبل معالجتهم وكان هذا يتبع عادة فى معابد « أسكلبيوس » وبخاصة فى معبده فى مدينة « ابيدوروس » التى كان المرضى يأوون إليها من كل جانب جماعات متجشمين متاعب السفر من جهات نائية وكانوا بمجرد وصولهم يقدمون القرابين الثمينة والهدايا القيمة ويضعونها عند مدخل المعبد ثم يغتسلون بماء نافورة هنالك. وبعد تأدية هذه المراسم كان يسمح لهم بدخول رواق المعبد ليناموا يومًا أو أكثر ويستمعوا إلى ما يلقى عليهم من مواعظ ونصائح بليغة وبعد هذا الإعداد الهام كان يسمح لهم بدخول المعبد نفسه وهناك يرون تمثال الإله (إسكلبيوس) مصنوعًا من الذهب والعاج فيؤدون الصلوات ويتوسلون إليه أن يشفيهم من أمراضهم وهناك أيضًا يشتركون فى أداء صلوات وأدعية عامة وبعد أن يصلوا إلى درجة ملحوظة من التأثر والانتعاش الوجدانى يذهبون ليناموا على جلود الحيوانات التى ضحوا بها أو على جلود أخرى تعد لهذا الغرض ويرى كل مريض

---

(١) العلاج النفسانى للدكتور حامد عبد القادر ص١٨ ، ١٩ .

فى نومه أن «أبولو» يعالج مرضه الخاص فإما أن يبرئه من مرضه وإما أن يطالبه بتقديم ضحايا أخرى.

.. والمعتقد أن عبادة أسكليبيوس نشأت فى «تساليا» باليونان وقد أقيمت له معابد فى أماكن كثيرة، حيث كان المرضى يعالجون بالتدليك والحمامات. وكان الثعبان والديك مقدسين عنده.

.. أما الذين ادعوا أنهم من نسله أو اتبعوا تعاليمه، فيسمون الإسكليبيين.

.. وقال أبو الحسن على بن رضوان[1] : وكانت صناعة الطب قبل أبقراط كنزا وذخيرة. يكنزها الآباء ويدخرونها للأبناء، وكانت فى أهل بيت واحد منسوب إلى اسقليبيوس. وهذا الاسم أعنى اسقليبيوس، إما أن يكون اسما لملك بعثة الله فعلّم الناس الطب، وإما أن يكون قوة لله عز وجل علّمت الناس الطب. وأنّى صرفت الحال فهو أول من علم صناعة الطب. ونُسّبَ المتعلم الأول إليه على عادة القدماء فى تسمية المعلم أبا للمتعلم. وتناسل من المتعلم الأول أهل هذا البيت المنسوبون إلى اسقليبيوس. وكان ملوك اليونانيين والعظماء منهم، ولم يمكنوا غيرهم من تعليم صناعة الطب، بل كانت الصناعة فيهم خاصة يعلم الرجل منهم ولده أو ولد ولده فقط. وكان تعليمهم بالمخاطبة ولم يكونوا يدونونها فى الكتب. وما احتاجوا إلى تدوينه فى الكتب دونوه بلغز حتى لا يفهمه أحد سواهم، فيفسر ذلك اللغز الأب، للإبن. وكان الطب فى الملوك والزهاد فقط يقصدون به الإحسان إلى الناس من غير أجرة ولا شرط.

.. ولم يزل كذلك إلى أن نشأ أبقراط من أهل «قو»، و «دمقراط» من أهل «أبديرا»، وكانا متعاصرين، فأما دمقراط فتزهد وترك تدبير مدينته، وأما أبقراط فرأى أهل بيته قد اختلفوا فى صناعة الطب، وتخوف

---

(١) طبقات الأطباء ص ٤٤.

أن يكون ذلك سببا لفساد الطب فعمد على أن دونه بألغاز فى الكتب. وكان له ولدان فاضلان وهما «ثاسلس» «وذوراقن» وتلميذ فاضل وهو «فولوبس»، فعلمهم هذه الصناعة وشعر أنها قد تخرج عن أهل اسقلبيبوس إلى غيرهم، فوضع عهدا استحلف فيه المتعلم لها على أن يكون لازما للطهارة والفضيلة.

.. ويقول الدكتور عمر فروخ[1].

.. أول من وصل إلينا اسمه من أطباء اليونان إسقليبيوس الذى بلغ أشده فى القرن السابع قبل الميلاد. وكان اسقليبيوس موفقا فى التطبيب فوثق به الناس واشتهر أمره بينهم.

.. واتخذ اسقليبيوس رمزا لصناعة الطب: عصا من الخطمى متعرجة تلتف عليها حية. أما العصا من الخطمى فلأن الخطمى كثير المنافع (القاموس: ٤ : ١٠٨) وأما تعرج العصا فللدلالة على كثرة الأمراض وكثرة طرائق المداواة وأما الحية فللدلالة على الحكمة واليقظة اللتين يجب على الطبيب أن يتحلى بهما، وهاتان صفتان موجودتان فى الحية. ثم إن الحية طويلة العمر، وسمها يدخل فى علاج عدد من الأمراض.

.. وعلم استقليبيوس أبناءه صناعة التطبيب وأمرهم بأن يكتموها عن الناس. ولم يدون استقليبيوس ولا خلفاؤه صناعة الطب إلا فى أوراق يسيرة رمزا لا يفهمه إلا الذى يقرؤه على الذين دونوه.

.. وفى القرن الخامس قبل الميلاد ظهر أبقراط الذى يعد من أمهر أطباء اليونان. ويقال إن أباه كان من آل «اسقليبيوس» وأمه من آل «إيراقليس».

---

(١) تاريخ العلوم عند العرب ص ٨٦.

.. وقد تعلم صناعة الطب من والده إيراقليدس ومن جده أبقراط اللذان علماه أصول الصنعة وأسرارها. ويقال إن أبقراط من تلاميذ اسقليبيوس الثانى.

.. ويعد أبقراط (٤٦٠ - ٣٧٠ ق.م) من أعظم أطباء العالم فى كل زمان ومكان لأنه أول من أنشأ المستشفيات وأول من وضع قواعد وأصول صحية وغذائية فهو يعتبر بحق بأبى الطب[١].

وكان يهتم للغاية بمراقبة أحوال مريضه حتى يعرف علامات المرض كالتعبير المرتسم على الوجه عند دنو الأجل وهو ما يعرف للآن « بالوجه الأبقراطى ».

.. وكان أبقراط يرى أن المرض عارض طبيعى ورد فعل من جانب الجسم وأعظم ما يقدمه الطبيب لمريضه هو معاونة قوى الجسم الدفاعية - على مقاومة المرض. وكان يعتبر أن ارتفاع الحرارة دليل على مقاومة الجسم للمرض.

قسم أبقراط

.. قال أبقراط[٢]:

« إنى أقسم بالله رب الحياة والموت، وواهب الصحة، وخالق الشفاء

---

(١) قال المبشر بن فاتك فى كتاب مختار الحكم ومحاسن الكلم « أن ابقراط كان ربعة، ابيض حسن الصورة أشهل العينين، غليظ العظام، ذا عصب، معتدل اللحية أبيضها، منحنى الظهر، عظيم الهامة، بطىء الحركة إذا التفت التفت بكليته، كثير الإطراق، مصيب القول، متأنيا فى كلامه يكرر على السامع منه. ونعلاه دائما بين يديه إذا جلس، وإن كُلم اجاب وإن سكت عنه سأل، وإن جلس كان نظره إلى الأرض، معه مداعبة، كثير الصوم، قليل الأكل، بيده إما مبضع « مشرط » وإما مرود « ما يكتحل به ».

(٢) طبقات الأطباء ص ٤٥ - ٤٧.

وكل علاج وأقسم باسقليبيوس. وأقسم بأولياء الله من الرجال والنساء جميعا. وأشهدهم جميعا على أنى أفى بهذه اليمين وهذا الشرط وأرى أن المعلم لى هذه الصناعة بمنزلة آبائى، وأواسيه فى معاشى، وإذا احتاج إلى مال واسيته وواصلته من مالى».

«وأما الجنس المتناسل منه فأرى أنه مساو لإخوتى، وأعلمهم هذه الصناعةإن احتاجوا إلى تعلمها بغير أجرة ولا شرط. وأشرك أولادى وأولاد المعلم لى والتلاميذ الذين كتب عليهم الشرط أو حلفوا بالناموس الطبى فى الوصايا وسائر ما فى الصناعة. وأما غير هؤلاء فلا أفعل به ذلك، وأقصد فى جميع التدابير، بقدر طاقتى، منفعة المرضى».

وأما الأشياء التى تضر بهم وتدنى منهم بالجور عليهم فأمنع منها بحسب رأيى. ولا أعطى إذا طلب منى دواء قتالا، ولا اشير أيضا بمثل هذه المشورة. وكذلك أيضا لا أرى أن أدنى من النسوة فرزجة[1] تسقط الجنين وأحفظ نفسى فى تدبيرى وصناعتى على الزكاة والطهارة، ولا أشق أيضا عمن فى مثانته حجارة، ولكن أترك ذلك إلى من كانت حرفته هذا العمل. وكل المنازل التى أدخلها إنما أدخل إليها لمنفعة المرضى، وأنا بحال خارجة عن كل جور وظلم وفساد إرادى مقصود إليه فى سائر الأشياء وفى الجماع للنساء والرجال، الأحرار منهم والعبيد. وأما الأشياء التى أعاينها فى أوقات علاج المرضى أو أسمعها فى غير أوقات علاجهم فى تصرف الناس من الأشياء التى لا ينطق بها خارجا فأمسك عنها، وأرى أن أمثالها لا ينطق به.

.. فمن أكمل هذه اليمين ولم يفسد شيئا كان له أن يكمل تدبيره وصناعته على أفضل الأحوال وأجملها، وأن يحمد، جميع الناس فيما يأتى من الزمان دائما، ومن تجاوز ذلك كان بضده.

---

(١) شىء يتداوى به النساء.

ناموس الطب لأبقراط

.. وهذه نسخة ناموس الطب لأبقراط. قال أبقراط:

«إن الطب أشرف الصنائع كلها إلا أن نقص فَهْم من ينتحلها صار سببا لسلب الناس إياها، لأنه لم يوجد لها فى جميع المدن عيب غير جهل من يدعيها ممن ليس بأهل للتسمى بها إذ كانوا يشبهون الأشباح التى يحضرها أصحاب الحكاية ليلهوا الناس بها، فكما أنها صور لا حقيقة لها، كذلك هؤلاء الأطباء، بالاسم كثير، وبالفعل قليل جدا.

وينبغى لمن أراد تعلم صناعة الطب أن يكون ذا طبيعة جيدة مؤاتية، وحرص شديد ورغبة تامة، وأفضل ذلك كله الطبيعة لأنها إذا كانت مؤاتية فينبغى أن يقبل على التعليم ولا يضجر لينطبع فى فكره ويثمر ثمارا حسنة، مثل ما يرى فى نبات الأرض. أما الطبيعة فمثل التربة، وأما منفعة التعليم فمثل الزرع، وأما تربية التعليم فمثل وقوع البذر فى الأرض الجيدة. فمتى قدمت العناية فى صناعة الطب بما ذكرنا، ثم صاروا إلى المدن لم يكونوا أطباء بالاسم بل بالفعل والعلم بالطب كنز جيد وذخيرة فاخرة لمن علمه، مملوء سرورا، سرا وجهرا، والجهل به لمن انتحله صناعة سوء، وذخيرة ردية، عديم السرور، دائم الجزع والتهور. والجزع دليل على الضعف، والتهور دليل على قلة العلم بالصناعة».

وصية ابقراط

.. وهذه نسخة وصية أبقراط المعروفة بترتيب الطب. قال أبقراط:

«ينبغى أن يكون المتعلم للطب، فى جنسه حرا، وفى طبعه جيدا، حديث السن، معتدل القامة، متناسب الأعضاء، جيد الفهم، حسن الحديث،

صحيح الرأى عند المشورة، عفيفا شجاعا، غير محب للفضة مالكا لنفسه عند الغضب، ولا يكون تاركا له فى الغاية، ولا يكون بليدا.

.. وينبغى أن يكون مشاركا للعليل مشفقا عليه، حافظا للأسرار، لأن كثيرا من المرضى يوقفونا على أمراض بهم لا يحبون أن يقف عليها غيرهم.

.. وينبغى أن يكون محتملا للشتيمة، لأن قوما من المبرسمين[١]. وأصحاب الوسواس[٢]. السوداوى يقابلونا بذلك، وينبغى لنا أن نحتملهم عليه ونعلم أنه ليس منهم، وإن السبب فيه المرض الخارج عن الطبيعة.

.. وينبغى أن يكون حلق رأسه معتدلا مستويا، لا يحلقه ولا يدعه كالجمة ولا يستقص[٣]. وينبغى عليه قص أظافر يديه، ولا يتركها تعلو على أطراف أصابعه.

.. وينبغى أن تكون ثيابه بيضاء نقية لينة، ولا يكون فى مشيه مستعجلا، لأن ذلك دليل على الطيش، ولا متباطئا لأنه يدل على فتور النفس. وإذا دعى إلى المريض فليقعد متربعا ويختبر منه حاله بسكون وتأن، لا بقلق واضطراب، فإن هذا الشكل والزى والترتيب عندى أفضل من غيره».

.. قال جالينوس، فى المقالة الثالثة من كتابه فى أخلاق النفس:

«إن أبقراط كان يعلم مع ما كان يعلم من الطب من أمر النجوم ما لم يكن يدانيه فيه أحد من أهل زمانه. وكان يعلم أمر الأركان التى منها تركيب أبدان الحيوان، وكون جميع الأجسام التى تقبل الكون والفساد. وهو أول من برهن ببراهين حقيقة هذه الأشياء التى ذكرنا.

---

(١) المصابون بالبرسام وهى علة يهذى فيها.

(٢) حديث النفس والشيطان بما لا نفع ولا خير.

(٣) يبلغ الغاية فيه.

وبرهن كيف يكون المرض والصحة فى جميع الحيوان وفى النبات. وهو الذى استنبط أجناس الأمراض وجهات مداواتها».

.. «أقول فأما معالجة أبقراط ومداواته للأمراض فإنه أبدا كانت له العناية البالغة فى نفع المرضى وفى مداواتهم. ويقال إنه أول من جدد البيمارستان[1] واخترعه وأوجده. وذلك أنه عمل بالقرب من داره فى موضع من بستان كان له موضعا مفردا للمرضى، وجعل فيه خدما يقومون بمداواتهم، وسماه «اخسندوكين» أى مجمع المرضى - وكذلك أيضا معنى لفظة البيمارستان، وهو فارسى وذلك أن البيمار بالفارسى هو المرضى، وستان هو الموضع، أى موضع المرضى.

.. وأبقراط من الذين تابعوا فكرة الطبائع الأربع وهى أن فى الجسم أربع طبائع (البرودة والحرارة واليبوسة والرطوبة)، تمثلها الأخلاط الأربعة (البلغم والدم والسوداء والصفراء) مقارنة للعناصر الأربعة. لما دامت هذه الأخلاط متكافئة فى الجسم، فمزاج الجسم معتدل والجسم صحيح. أما إذا غلب أحد هذه الأخلاط على غيره، فإن المزاج حينئذ ينحرف ويصبح الجسم كله منحرف المزاج. مريضا. وقد ثبت خطأ هذه النظرية.

والحق أنه ليس فى مجموعة رسائل أبقراط إلا القليل مما ثبت صحة نسبته إليه مثل كتاب (الحكم الأبقراطية) و (الأهوية والمياه والأماكن) وكلها مترجمة إلى لغات عدة.

.. ولما توفى ابقراط خلف من الأولاد والتلاميذ من آل «اسقليبيوس» وغيرهم أربعة عشر. أما الأولاد فمنهم اربعة : ثاسلوس، ودراقن وابناهما : أبقراط بن ثاسلوس، ابن ابقراط، وابقراط بن دراقن بن أبقراط. فكل واحد من ولديه كان له ولد سماه أبقراط باسم جده..

.. وأما تلاميذه من أهل بيته وغيرهم فهم عشرة : لادن،

---

(١) المستشفى.

وماسرجس، وميغانوس، وقولويس وهو أجل تلاميذه وخليفته من أهل بيته، وأملانيسون، واسطات، وساورى، وغورس، وسنبلفيوس، وثاثالسس :

.. هذا قول يحيى النحوى.

.. وقيل إن أبقراط كانت له أبنة تسمى «مالاناأرسا»، وكانت لها براعة ودقة فى صناعة الطب وذكر أنها كانت أبرع من أخويها.

.. ومن فلاسفة الإغريق الذين اهتموا بالطب إلى حد ما سقراط وأفلاطون...

كذلك عرف عن سقراط وأفلاطون اهتمامهما بالنفس والدراسات النفسية... أما أرسطو فقد كان متعمقا فى الدراسات البيولوجية والطبية تعمقا كبيرا. وكان أرسطو يؤمن بأن الطبيعة لا تعتمد فى خلقها على الصدفة وبأن كل عمل لها يؤدى حتما إلى غاية معينة[1]. ونرى أرسطو يقسم التركيب إلى درجات ثلاث :

أولاها: التركيب الذى يتناول الأركان الأولى، وهو الذى يمنح كلا من هذه العناصر خواصه الطبيعية.

والثانية: تركيب الأنسجة المتجانسة مثل العظم أو اللحم.

والثالثة: تركيب الأعضاء غير المتجانسة العناصر مثل اليدين والوجه وغيرهما، مما يحتوى أنسجة مختلفة مثل اللحم والعظم والأوعية... إلخ. وفى هذا أول أساس لتقسيمنا الجسم إلى أنسجة وإلى أعضاء. ولا يقتصر أرسطو فى دراسته على مقارنة الأعضاء ذاتها فى مختلف الحيوانات، كالرئة مثلا فى مختلف الأجناس، وإنما يهم كذلك بدراسة الأعضاء المتقابلة فى الحيوانات المختلفة التركيب مؤسسا بذلك علم التشريح المقارن. ثم يدرس

---

(١) ابن النفيس للدكتور بول غليونجى ص ٣٣.

تطور نمو الجنين فى البيضة مؤسسا بذلك علم الأجنة.

.. ومن استنتاجاته التى تضاهى أحدث التعميات أن خلو جسم الإنسان من الشعر أو من أى غطاء آخر، وعدم تخصص أعضائه تخصصا ضيقا لهما ميزتان هامتان على سائر الحيوانات، إذ أنهما يسمحان له بتنوع كبير فى أساليب الوقاية والهجوم والدفاع كما يعينانه على التأقلم فى محيطه، كأن يده مثلا تقوم مقام النعل والحافر والقرن، وكذلك السيف والرمح وغيرها من الأسلحة مجتمعة لما وهبته يده من قدرة على كل منها.

وقد جمدت الدراسات الطبية فى بلاد اليونان بعد ذلك ردحا طويلا نتيجة الاكتفاء بتفسير النصوص والجدل وعدم الاهتمام بالتجربة العلمية والمعملية فاضمحل الطب اضمحلالا ملحوظا فى بلاد اليونان ليأخذ دورته من جديد فى مدرسة الإسكندرية البطلمية.

مدرسة الإسكندرية فى عهد البطالمة:

.. فتح الإسكندر المقدونى مصر وأسيا وأنشأ مدينة الإسكندرية عام ٣٢٣ ق. م. وأصبحت الإسكندرية مركزا للنور والحضارة فى العالم حين أنشأ بطليموس الثانى جامعة الإسكندرية ومدرستها الطبية الشهيرة وأصبحت الإسكندرية أيضا مركز التجارة فى البحر المتوسط[١]. فازدادت ثروة البطالمة وازدانت عاصمتهم بعلم الإغريق وفلسفتهم وفنهم، فقد استقدمت هذه الأسرة الفلاسفة والعلماء، وجمعت التحف، وكونت مجموعة ضخمة من مؤلفات المصريين والإغريق وغيرهم. وإذا بالإسكندرية تفخر فى ذلك الوقت بأمثال إقليدس وأرشميدس وغيرهما.

.. وبالكشوف التى وصلوا إليها فى علوم الفلك والجغرافية والهندسة والرياضة، وإذا بالأذهان تنشغل بالبحث عن علة الوجود ومظاهر الحياة

(١) ابن النفيس للدكتور بول غليونجى ص ٣٥.

المختلفة، وتنفتح إلى أديان جديدة وعقائد غريبة تثير مناقشات لا تنقطع حول الفلسفة وتفسير النصوص. ولذا فقد تميزت هذه الحقبة بالصراع المستمر بين الواقعية والصوفية من ناحية وبين التشكك والإيمان بأعجب الخرافات من ناحية أخرى.

.. وقد عاد الطب تحت ظل البطالمة من اليونان إلى موطنه الأول بمصر. ولما كانت لغة البطالمة هى الإغريقية وهى لغة العالم المتمدين فى ذلك الوقت ولئن أصبحت تلك اللغة كذلك لغة مصر الرسمية، واتخذ علماء مصر لأنفسهم أسماء ذات رنة إغريقية، ثم إن أغلبية السكان الساحقة فى مدينة الإسكندرية كانوا من المصريين الأصليين، الواثقين من عراقة أصلهم وأصالة محتدهم وثوقا يجعلهم يفخرون بتراث ماثل فى أذهانهم، وبذلك تشهد ثوراتهم العنيفة ضد بيزنطة، وانشقاقهم على مذاهبها الرسمية، واعتناقهم المذهب اليعقوبى القائل بتوحيد الطبيعة، وتحملهم فى أثر هذا أشنع اضطهاد، بل إن الدين المصرى القديم اكتسح فى الإسكندرية الدين الوثنى اليونانى وجعل منه خليطا تغلب فيه الصبغة المصرية[1].

.. وقد لعبت مدرسة الإسكندرية دورا كبيرا فى تطور، الطب بخاصة التشريح فالمدرسة القديمة بالإسكندرية التى ازدهرت فى عهد البطالمة الأولين (النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد) هى التى جعلت من الممكن لأول مرة إجراء فحص شامل لبناء الجسم البشرى.

.. فلقد سبق أن قام أبقراط وتلاميذه، وغيرهم من الأطباء ببحوث تشريحية إلا أن بحوثهم لم تكن أبدا على مثل ذلك الترابط ولا طريقتهم بمثل ذلك من الجودة، إذ امتاز عصر الإسكندرية بالحرية فى العلم وكان من المسموح به لعلماء التشريح أن يقوموا بالتشريح العملى بقدر ما كان يحلو لهم.

وكان العمل داخل معهد العلوم لا يخضع إلا لإشراف الملوك وحدهم

---

(١) تاريخ العلوم: جورج سارتون ج ٤ ص ٢٣٨.

ويكاد يكون غير معروف للعامة. ولذلك كانت حرية البحث تامة ولقد زاد تلك الفرصة الممتازة امتيازا وجود رجلين عبقريين فنتج عن ذلك عصر ذهبي للتشريح هما هيروفيلوس الخاليكيديسي[1]. وارازيستراتوس اليوليسي الذى كان معاصرا لهيروفيلوس، الخاليكيديس ومن المحتمل أنه

(١) هيروفيلوس من أعظم علماء وأطباء مدرسة الأسكندرية حوالى ٣٠٠ ق. م. من أقواله «إن الطبيب الماهر هو الذى يعرف أن يفرق بين ما يمكن وما لا يمكن عمله» ويقول عنه جورج سارتون فى كتابه تاريخ العلم ج ٤ ص٢٣٩وص ٢٤٠. ولد هيروفيلوس فى «خلقدونيه» فى أواخر القرن الرابع وكان أحد العلماء الذين اجتذبهم «بطليموس سوتر» إلى الإسكندرية فى أوائل القرن التالى، لهذا يكون هيروفيلوس أحد مؤسسى النهضة اليونانية المصرية كما أنه هو مؤسس التشريح النظامى، وكشوفه تبلغ من كبر العدد ومن سعة المدى حدا لا يستطيع المرءُ معه إلا أن يحكم بأنه قام بفحص تفصيلى لتركيب الجسم البشرى كله. ومن الواضح أنه إذا ما أتيح لباحث قدير عدد كاف من الجثث مع حرية تشريحها بقدر ما يراه ضروريا لكان خليقا به أن يكشف عن أشياء كثيرة، ولقد كان لدى هيروفيلوس ومساعده، وخليفته الأصغر منه - إرازيستراتوس - تلك المزايا التى يتمتع بها الرحالة الذين يكونون أول من يتوغل فى أرض جديدة.

.. ونحن لا نعرف إلا القليل عن حياة «هيروفيلوس» قبل استجابته لدعوة بطليموس فيما عدا أنه كان تلميذا لبراكسا جوراس الكوسى الذى رُبَّما كان معاصرا أصغر «لديوكليس الكاريستى» (حوالى ٣٤٠ - ٢٦٠ ق. م).

.. وعلى حسب ما يقول جالينوس كان هيرفيلوس أول من مارس التشريح البشرى، ومن الصعب علينا قبول هذا القول على علاته فمن الجائز أن يكون جالينوس قد عنى التشريح العلنى (وأمام جمهور صغير بالطبع) أو أن يكون قد عنى التشريح النظامى مع المساعدين والتلاميذ ولما كان هيروفيلوس رائدا كان عليه أن يخترع طريقة التشريح، وكان مضطرا كلما اكتشف عضوا جديدا أن يضع له اسما، ولقد ورد إلينا معظم هذه الأسماء الجديدة عن طريق جالينوس، وهكذا تكون كتابات جالينوس هى أول موضع لظهورها مكتوبة.

.. ولقد كتب هيروفيلوس رسالة من ثلاثة أجزاء عن التشريح ورسالة منها عن العيون وكتب مذكرة للمولدات.

ويقول. جورج سارتون أيضا ص ٢٤٩ المرجع المذكور وعلى قدر ما نعرف كان «براكساجوراس» أول طبيب يونانى يفحص النبض ويفيد منه فى التشخيص، ولقد أدخل «هيروفيلوس» تحسينا على هذه النظرية مستعملا ساعة مائية لقياس سرعة النبض لمعرفة الحمى عن هذا الطريق، ولقد تبين له أن قوة النبض تدل على قوة القلب، وكانت دراسته للأمراض تقوم على المشاهدة والتجربة، ولقد حسن طرق التشخيص والإنذار، وأدخل أدوية جديدة عديدة، وكثيرا ما كان يلجأ إلى فصد الدم. وكان هيروفيلوس يرى أن الجنين ذو حياة فيزيقية فقط وليست هوائية ولقد اخترع قاطع جنينى لتقطيع الحمل داخل الرحم، وهو آلة استعملها المولدون القدامى فى الحالات الميؤوس منها، وعلى غرار من سبقوه من الأطباء اليونانيين كان هيروفيلوس يعلق كثيرا من الأهمية على التغذية والرياضة.

كان تلميذا له أو على الأقل مساعدا له فى دراساته التشريحية[1].

.. وممن درسوا فترة بمدرسة الإسكندرية ويعد من أبرز علماء كل

(١) يقول سارتون فى تاريخ العلم ص ٢٤١ وص ٢٤٢ ج ٤ ولد إرازيستراتوس حوالى ٣٠٤ ق. م فى بوليس (كيوس) على مقربة من أرض « أتيكا ». ولهذا فهو ليس يونانيا من آسيا وإنما هو يونانى من بلاد اليونان، وكان طبيبًا بالنسبة إليه أن يتلقى تعليمه فى « أثينا » وكان معلموه هم مترودورس صهر أرسطو وخريسيبوس من أبناء سولوى. وإزاريستراتوس واصل بحوث هيروفيلوس، ولكن كان أكثر منه اشتغالا بالفسيولوجيا وبتطبيق الأفكار الفزيائية (مثل نظرية الذرة) فى سبيل فهم الحياة. وكان ارازيستراتوس نظريا أكثر مما كان هيروفيلوس، ومن المحتمل أن يكون قد تأثر بستراتون.

وإذا نحن سمينا هيروفيلوس مؤسس علم التشريح فربما جاز أن يسمى ارازيستراتوس مؤسس علم الفسيولوجيا وهو قد سمى أيضا مؤسس علم التشريح المقارن وعلم التشريح المرضى (ولكن مثل هذه الألقاب يجب تناولها بحذر).

.. والتشريح المقارن كان طبيعيا لأن الأطباء القدامى كانوا مضطرين لتشريح الحيوان، كما كانوا فى حاجة إلى تشريح الإنسان. وأما لقب مشرح مرضى فقد أطلق على ارازيستراتوس، لأنه أجرى تشريحات بعد الموت، أى أنه شرح جثث أشخاص بعد موتهم مباشرة وكان تاريخهم الطبى معروفا، ولذلك استطاع أن يعرف الإصابات التى كانت سببا فى وفاتهم.

.. وفى الفسيولوجيا كان اراز يستراتوس أول من اعتمد على النظرية الذرية، وعلى نظريات المدرسة الدجماتية، وعلى مبدأ « الطبيعة تكره الفراغ ». ولقد أخذ ارازيستراتوس كثيرا من هذه الأفكار عن « براكساجوراس » الذى كان معلم هيروفيلوس وإنما عنى هو بها أكثر مما فعل هيروفيلوس نفسه. ولقد حاول أرازيستراتوس أن يفسر كل شىء بأسباب طبيعية رافضا أن ينسب شيئا إلى أسباب عقائدية.

.. وتتعلق الكشوف التشريحية الرئيسية لارازيستراتوس بالدماغ والقلب والجهازين العصبى والوعائى، ولولا اقتناعه بأن الشرايين مملوءة بالهواء (روح الحياة) ولولا نظرياته الهوائية على العموم لجاز له أن يكشف الدورة الدموية، فهو مثلا اهتدى إلى أن شرايين الحيوان الحى تصدر دما عندما تقطع وحذر أن التشعبات النهائية للأوردة والشرايين يتصل بعضها ببعض. ولقد شاهد وجود الأوعية اللمفية فى المساريقا. واهتدى إلى أن كل عضو يتصل بسائر أجزاء الكائن بواسطة جهاز ثلاثى من الأوعية - شريان ووريد وعصب - ولقد أصاب فى وصفه لوظيفة لسان المزمار (ونحن ما نزال فى اللغات الأوربية نستعمل المصطلح اليونانى الأصلى) وفى وصف وظيفة الصمامين الأذينيين البطينيين (ولقد سمى الأيمن منهما ذا الثلاث الشرافات) وقد عرف الأعصاب الحركية والحسية وفرّق بدقة أكثر بين المخ والمخيخ وشاهد لفائف المخ ولاحظ أنها أكثر تعقيدا لدى الإنسان منها لدى الحيوان، وتتبع الأعصاب الدماغية حتى الدماغ نفسه، وقام بإجراء تجارب على الأحياء للتحقق من الوظائف الخاصة ولأجزاء الدماغ المختلفة، وفحص أيضا علاقة العضلات بالحركة.

ويقول جورج سارتون ص ٢٤٩ : وكان ارازيستراتوس أول طبيب ينبذ بالكلية نظرية الرطوبات، وكذلك كان أول من فرق بوضوح بين التدبير الصحى وبين المداواة، وكان يعلق أهمية أعظم على =

العصور فى الطب جالينوس (١٣٠ ـ ٢٠٠ م)[1] اليونانى الذى ولد فى برجاموس سنة ١٣٠ م وعمل جراحا لمدرسة المصارعين بعد أن انتهى من دراساته فى بلاد اليونان وآسيا الصغرى والإسكندرية وهو يعد من أنجب تلاميذ مدرسة الإسكندرية.

وذهب إلى روما وأقام بها حيث اختاره مرقص أوريليوس طبيبا لبلاطه وكان يهتم اهتماما بالغا بعلم التشريح ودراسة وظائف الأعضاء. وله كلام فى تشريح القلب والدماغ مزج فيه العلم بالخيال[2]. وإن ظلت مؤلفاته فى

= التدبير الصحى. ولهذا كان إلحاحه فى مراعاة التغذية والرياضة الصحيحة والاستحمام. وكان ارازيستراتوس يعارض العلاجات العنيفة والإفراط فى استعمال العقاقير والإسراف فى فصد الدم وهو فى هذا مجرد تابع لكثير من أراء أبقراط.

.. ويقول الدكتور بول غاليونجى عن ارازيستراتوس (٣١٠ - ٢٥٠ ق.م) فى كتابه عن ابن النفيس ص ٣٦ إنه من تلاميذ مدرسة قيندس المنافسة لمدرسة قو. وهو أول من أنكر نظرية الأخلاط السائدة وأولى الأنسجة والأوعية المحل الأول فى دراسة الأمراض.. وهو أول من قال إن الهواء يدخل عن طريق الرئة إلى القلب حيث يكون روحا تنقلها الشرايين إلى سائر أجزاء الجسم وأن الروح الحيوى يتحول فى الجسم إلى روح حيوانى تحمله الأعصاب إلى الأعضاء، وهما الركنان اللذان أسس عليهما جالينوس نظريته فى حركة الدم وفى وظيفة الجسم عموما وشيد عليها بناء ظل جامدًا لم يجرؤ أحد على مسه حتى القرون الوسطى.

.. وقد كاد ارازيستراتوس أن يكشف عن الدورة الدموية كما نراها عن طريق أوعية موصلة دقيقة للغاية.

(١) قال المبشر بن فاتك يصف جالينوس: كان حسن التخاطيط، عريض الأكتاف واسع الراحتين، طويل الأصابع، حسن الشعر، معتدل المشية، ضاحك السن، كثير الهذر، قليل الصمت، كثير الوقوع فى أصحابه، كثير الأسفار، طيب الرائحة، نقى الثياب.

(٢) يحكى عن براعته فى التشريح أن رجلا جاءه يشكو إليه فقدان الحركة فى الخنصر والبنصر والوسطى من أصابع يده. فعالجه بمداواة ما بين كتفيه لأن الذى يأتى إلى هذه الأصابع - كما قال جالينوس - يخرج من أول خرزة بين الكتفين، وقد عجب زملاء جاليوس من أن علاج مابين الكتفين قد يساعد على برء الأصابع. ويقول جالينوس عن نفسه: وإنى لأعرف رجلا من أهل العقل والفهم قدّمنى من فعل واحد رآنى فَعَلْتُه وهو تشريح حيوان بينت به بأى الآلات يكون الصوت وبأى الحركة منها وكان عرض لذلك الرجل قبل ذلك بشهرين أن سقط من موضع عال فتكسرت من بدنه أعضاء كثيرة، وبطل عامة صوته، حتى صار كلامه بمنزلة من يتحدث فى سره وعولجت أعضاؤه فصلحت وبرأت بعد أيام كثيرة، وبقى صوته لايرجع. فلما أن رأى منى ذلك الرجل ما رأى وثق بى وقلدنى أمر نفسه فأبرأته فى أيام قلائل، لأنى عرفت الموضع الذى كانت الآفة فيه فقصدت له.

التشريح من أكبر المراجع الأساسية لعلم التشريح حتى ظهور فيساليوس فى القرن السادس عشر الميلادى.

.. قال جالينوس فى صورة القلب: «إن فى القلب تجويفين أيمن وأيسر. وفى التجويف الأيمن من الدم أكثر من الأيسر وفيهما عرقان يأخذان إلى الدماغ، فإذا عرض للقلب ما لا يوافق مزاجه انقبض، فانقبض لانقباضه العرقان، فتشنج لذلك الوجه وألم له الجسد، وإذا عرض له ما يوافق مزاجه انبسط، وانبسط العرقان لانبساطه».

.. قال: «وفى القلب عريق صغير كالأنبوبة مطل على شغاف القلب وسويدائه: (غلافه وحبته) فإذا عرض للقلب غم أنقبض ذلك العريق فقطر منه دم على سويداء القلب وشغافه، فيعصر عند ذلك من العرقين دم يتغشاه، فيكون ذلك عصرا على القلب، حتى يحس ذلك فى القلب والروح والنفس والجسم، كما يتغشى بخار الشراب الدماغ فيكون منه السكر».

.. وقيل: إن جالينوس أراد امتحان ذلك، فأخذ حيوانا ذا حس فغمه أياما، ولما ذبحه وجد قلبه ذابلا نحيفا قد تلاشى أكثره. فاستدل بذلك على أن القلب إذا توالت عليه الغموم، وضاقت به الهموم، ذبل ونحل فحذر عندئذ من عواقب الغم والهم.

.. وكان جالينوس طبيبا حاذقا ماهرا قال فى كتابه فى (محنة الطبيب الفاضل) ما هذه حكايته. قال ولم أعلم أحدا ممن بالحضرة إلا وقد علم كيف داوينا الرجل الذى كان يضره كل شياف يكتحل به حتى برأ. وكانت فى عينه قرحة عظيمة مؤلمة، وكان مع ذلك الغشاء العينى قد نتأ فتأنيت لذلك حتى سكن، والقرحة حتى اندملت من غير أن استعمل فيها شيئا من الشيافات فاقتصرت على أن أهيئ له فى كل يوم ثلاثة مياه، أحدها ماء قد طبخت فيه حلبة، والآخر ماء قد طبخت فيه وردا،

والآخر ماء قد طبخت فيه زعفرانا غير مطحون. وقد رأى جميع الأطباء الذين بالحضرة وأنا استعمل هذه المياه، فلم يقدر أحد منهم أن يتمثل استعمالى أياها، وذلك لأنهم لا يعرفون الكيفية، ولا المقدار الذى يحتاج أن يقدر فى كل يوم من كل واحد من هذه المياه، على حسب ما تحتاج إليه العلة. وذلك أن تقدير ما كان لتلك المياه عند شدة الوجه وغلبته بنوع، وعند تقور النتؤ بنوع، وعند كثرة الوسخ فى القرحة أو الزيادة فى عفنها بنوع. ولم أستعمل شيئا سوى هذه المياه وبلغت إلى ما أردت من سكون نتؤ الغشاء العينى الذى كان نتأ، وتسكين الوجع وتنقية القرحة فى وقت ما كان الوسخ كثيرا فيها، وانبات اللحم فيها فى وقت ما كانت عميقة، واندمالها فى وقت ما امتلأت. ولست أخلو فى يوم من الأيام من أن أبين من مبلغ الحذق بهذه الصناعة ما هذا مقداره فى العظم أو شبيه به. وأكثر من يرى هذا من الأطباء لا يعلم أين هو مكتوب فضلا عما سوى ذلك وبعضهم إذا رأى ذلك لقبنى البديع الفعل، وبعضهم البديع القول. مثل قوم من كبار أطباء رومية حضرتهم فى أول دخلة دخلتها عند فتى محموم وهم يتناظرون فى فصده، ويختصمون فى ذلك. فلما أن طال كلامهم قلت لهم : إن خصومتكم فضل، والطبيعة عن قريب ستفجر عرقا ويستفرغ من المنخرين الدم الفاضل فى بدن هذا الفتى، فلم يلبث أن رأوا ذلك عيانا، فبهتوا فى ذلك الوقت ولزموا الصمت، وأكسبنى ذلك من قلوبهم البغضة، ولقبونى البديع القول.

ويقول. . حضرت مرة أخرى مريضا وقد ظهرت فيه علامات بينة جدا تدل على الرعاف، فلم أكتف بأن أنذرت بالرعاف حتى قلت إنه يكون من الجانب الأيمن. فلامنى من حضر ذلك من الأطباء وقالوا : «حسبنا ليس بنا حاجة إلى أن تبين لنا» فقلت لهم : «وأراكم مع ذلك أنكم عن قريب سيكثر اضطرابكم ويشتد وجلكم من الرعاف الحادث، لأنه سيعسر احتباسه، وذلك أنى لست أرى طبيعته تقوى على ضبط المقدار الذى يحتاج إليه من الاستفراغ والوقوف عنده. فكان الأمر على

ما وصفته ولم يقدر أولئك الأطباء على حبس الدم، لأنهم لم يعلموا من أين بدايته حين ابتدأت حركته، وقطعته أنا بأهون السعي، فسماني أولئك الأطباء البديع الفعل.

.. وحكى جالينوس أيضا من هذا الجنس مما يدل على براعته وقوته في صناعة الطب في كتابه هذا ما هذه حكايته، قال: وقد حضرت مرة مع قوم من الأطباء مريضًا قد اجتمعت عليه نزلة مع ضيق نفس، فتركت أولئك الأطباء أولا يسقونه الأدوية التي ظنوا أنه ينتفع بها، فسقوه أولا بعض الأدوية التي تنفع في السعال والنزلة، وهذه الأدوية تشرب عند طلب المريض النوم، وذلك أنها تجلب طرفا من السبات حتى أنها تنفع من به أرق وسهر. فنام ليلته تلك بأسرها نوما ثقيلا، وسكن عنه السعال وانقطعت عنده النزلة، إلا أنه جعل يشكو ثقلا يجده في آلة النفس، وأصابه ضيق شديد في صدره ونفسه فرأى الأطباء عند ذلك أنه لا بد من أن يسقوه شيئا مما يعين على نفث ما في رئته فلما تناول ذلك قذف رطوبات كثيرة لزجة. ثم إن السعال عاوده في الليلة، القابلة وسهر وجعل يحس القابلة بشيء رقيق ينحدر من رأسه إلى حلقه وقصبة رئته فاضطروا في الليلة القابلة أن يسقوه ذلك الدواء المنوم فسكن عنه عند ذلك النزلة والسعال والسهرة، إلا أن نفسه ازداد ضيقا، وساءت حالته في الليلة القابلة سوءا فلم يجد الأطباء معه بدا من أن يسقوه بعض الأدوية الملطفة المقطعة لما في الرئة. فلما أن شرب ذلك نقيت رئته، إلا أنه عرض له من السعال ومن كثرة الربو ومن الأرق بسببها ما لم يقو على احتماله. فلما علمت أن الأطباء قد تحيروا ولم يبق عندهم حيلة، سقيته بالعشى دواء لم يهج به سعالا ولا نزلة، وجلب له نوما صالحا وسهل عليه قذف رئته. وسلكت بذلك المريض هذا الطريق فأبرأته من العلتين جميعا في أيام يسيرة على أنهما علتان متضادتان فيما يظهر ويتبين من هذا لمن يريده. وأنا أول من استخرج استعمال هذه الأدوية واستعمال الأدوية التي تعالج بها القرحة

العارضة فى الرئة من قبل نزلة تنحدر إليها من الرأس. وغير ذلك من أدوية كثيرة ذكرتهافى كتاب (تركيب الأدوية).

.. وتعد كتابات جالينوس فى رأى الدكتور غليونجى البلورة التى تجمد فيها الطب القديم ويقول[1] : إن هذا العالم الجبار شيد من الطب بناء متكاملا متناسقا يتفق من جهة مع الفلسفة الراوقية الذى كان ينتمى إليها، ومن جهة أخرى مع النظرية الغائية Teleeological إلى الكون التى ترى أن الطبيعة كلها حكمة، وأن كل جزء من الجسم خلق لغرض حدد له سلفا وأن هنالك علاقة كاملة بين السبب والغرض تقوم دليلا قاطعا على كمال الطبيعة.

.. وقد راقت نظريات جالينوس فى أعين الكهنة المسيحيين، الذين أهملوا ما لا يتفق منها مع عقائدهم مثل وجود روح فى الكون، مكتفين بالترحيب بتوحيده، الدينى فأيدوه تأييدا مطلقا إلى حد أنه لم يجرؤ على مناقشة أقواله حتى عصر النهضة الأوربية إلا علماء معدودون لئلا يرموا بالهرطقة أو الجهل.

.. وقد قامت شهرة جالينوس على أسس راسخة من الجدارة وكانت تعاليمه مبنية على كنز من المعلومات التى استنبطها من تشريح الحيوان والأجنة وتفحص الجرحى وملاحظة المرضى، وله من الكشوف الأخرى ما يبعث أشد الدهشة والإعجاب. إلا أن اتجاهه الفلسفى أضر بنتائجه العلمية، إذ أنه نتيجة لأرائه السابقة للتجربة، أخذ يواصل البحث عن البرهان عليها، وكان يخضع نتائج تجاربه لها فزعم لتدعيمها من المزاعم ما ليس له أساس من الواقع مثال قوله : إن الأعصاب جوفاء لدى الأحياء وتتصلب بعد الموت، وأن هناك منفذا بين بطينى القلب، وأن الرحم له قرنان، الأيمن لتكوين الذكور والأيسر لتكوين الأناث، إلخ. كما

---

(١) ابن النفيس بول غليونجى ٣٨ : ٤٠.

أخذت عليه مآخذ كثيرة، منها أنه كان يزعم الإلمام بكل شيء وأنه لم يتحرج قط من إزجاء إجابة لكل سؤال وأنه لم يتورع عن التهكم على زملائه بسخرية لاذعة.

.. وتوفى جالينوس سنة ٢٠٠ م على وجه التقريب. وكان معنى انتصاره على المدارس المتنازعة توحيد الطب بشكل سيطر على الفكر الطبى حتى أيام باراسلوس فى القرن السادس عشر الميلادى[١]. ولتلك السيطرة ولطول بقائها أسباب وجيهة منها أنه كان مبتكرا حقا، وأسباب أقل وجاهة كربطه الطب والفلسفة بأواصر متينة، بل إنه مزجهما فى مركب واحد، وهذا فى عصر كان مولعا بالفلسفة وإقامته الطب على نظرية موحدة تفسر كل ظاهرات الصحة والمرض بطريقة تروق العقل المنظم.

إلا أن أتباعه صنعوا ما صنع أتباع أبقراط وتلاميذه هيروفيلوس وايرازستراتوس فاكتفوا بالنقل والتصنيف. ولئن شايعوه أحيانا فى توصيته بالدأب على التشريح فإنهم أجروا الصفات التشريحية لمجرد رؤية الأعضاء استنادا على أقواله لا للتحقق منها أو الإضافة إليها. ولذا فإن كتاباتهم تبدو منقولة عن أصل واحد ولا تظهر فيها أية نزعة تميز كاتبا عن كاتب.

.. وكانت تعاليم «جالينوس» تؤكد أن الطبيعة تعمل بحكمة عظيمة وراءها الخالق الأعظم ولهذا فإن أعضاء جسم الإنسان المختلفة قد شكلت بطريقة دقيقة حكيمة بالغة العظمة تتناسب مع عملها ولكل عضو من أعضاء الجسم فائدته وضرورته وأهميته، ومن هنا كانت الصلة بين المسبب والنتيجة على أدق وأعظم وفاق، وذلك مما يدل على وجود الخالق الأعظم وأنه وراء كل شيء ومحيط بكل شيء.

---

(١) بارلسلسوس (١٤٩٣ - ١٥٤١م) طبيب سويسرى أحرق كتب جالينوس علنا فى ميدان مدينة «بازل» وهاجم أطباء عصره، وقد طرد من جامعة «بازل»، وأدخل عقاقير جديدة فى العلاج (غليونجى ص٦١).

.. وقد نظر جالينوس إلى الروح على أنها أساس الحياة وإلى أن الجسم أداة الروح ومن هنا فإن تعاليمه وجدت صدى عجيبا لدى رجال الدين الكنسي لأنها كانت تساير عقائدهم، ولذلك فإن تعاليمه لاقت مساندة قوية ونفوذا عظيما ردحا طويلا من الزمن، كما أن اعتقاده في الله ووجوده لاقت تقديرا من المسلمين فيما بعد.

وهكذا فإن جالينوس أقام بحثه على أساس نظام يوافق معتقداته التي برهنت على أن لكل مخلوق، هدف معلوم وينسب لجالينوس مؤلفات عديدة بلغت خمسمائة كتاب، وقد بقي من مؤلفاته الطبية حوالى ثلاثة وثمانون كتابا على الأقل أهمها كتاب التشريح الذي بين من خلاله أن الشرايين هي التي تحمل الدم لا الهواء..

.. وقد ترجم حنين بن اسحق بعض مصنفات جالينوس وغيره إلى لغتنا العربية.

.. يقول الدكتور فهيم أبادير[1]. وبحوث جالينوس وغيره من نوابغ الطب الإغريق[2]. شعاع مضيء في عالم الطب، ثم تدهور الطب حتى

---

(١) في كتابه : من تاريخ الطب عند العرب ص١٩.

(٢) الأطباء المشهورون من بعد وفاة جالينوس وقريبا منه لمنهم اصطفن الاسكندراني وانقيلاوس الاسكندراني، وجاسيوس الاسكندراني - وهؤلاء الأربعة هم ممن فسر كتب جالينوس وجمعها واختصرها وأوجز القول فيها - وطياوس الطرسوسي، وسيمري الملقب بالهلال لأنه كان كثير الملازمة لمنزله منغمسًا في العلوم والتأليفات، فكان لا يراه الناس إلا كل مدة فلقب بالهلال من الاستتار، ومغنس الاسكندراني، واريباسيوس صاحب الكناش والكُنّاشة : الأصل تتشعب منه الفروع) طبيب «بليان» الملك، ولا ريباسيوس من الكتب : كتاب إلى ابنه «إسطاث» تسع مقالات، كتاب مزج الأحشاء مقالة، كتاب الأدوية المستعملة، كتاب السبعين مقالة، كُناشة، وفولس الأجانيطي وله من الكتب كُناش الثريا، مقالة في تدبير الصبي وعلاجه واصطفن الحراني، «واريباسيوس القوابلي» ولقب بذلك لأنه كان ماهرا بمعرفة أحوال النساء «ودياسقوريدس الكحال»، ويقال أنه أول من انفرد واشتهر بصناعة الكحل، وفاقلس الأثيني، وارونيسطس الاسكندراني، ونيطس الملقب بالحبر من الحذاقة، ونلرسيوس الرومي الذي قدم من الاسكندرية فصار واحدًا منهم، «وايرون»، و «زريابل».

.. ومن كان قريبا من ذلك أيضًا «فيلغريوس»، وله من الكتب : كتاب من لا يحضره =

أصبح معظم الأطباء جهلة لا يبغون من صناعتهم سوى ابتزاز المال، وأصبحوا تجارا للمراهم والّلبخ وجرعات الحب والقتل، وانتهى بسقوط الامبراطورية الرومانية فى أيدى البربر فى القرن الخامس الميلادى.

عهد الطب فى أوربا :

.. لم تساعد المسيحية فى ذلك الوقت الروح العلمية الصحيحة حيث اكتفى بتعاليم الكتاب المقدس وتطبيقها دون العمل على البحث والاستقراء وكان رجال الدين يعتبرون الأمراض عقابا لشرور الإنسان، فلم يسعوا إلى الخلاص منها جديا، ولذلك عاشت أوربا فى ظلام دامس لقرون عديدة، حتى جاء الإسلام وانتشر سريعا، وكان الخلفاء يعملون على تشجيع العلوم والمعارف فظهرت بذلك حضارة جديدة فى كل البلاد الإسلامية، ورفع المسلمون وحدهم شعلة الثقافة والعلم فى العصور المظلمة.

= طبيب وهو مقاله، كتاب علامات الأسقام خمس مقالات ومقالة فى وجع النقرس ومقالة فى الحصاة، ومقالة فى الماء الأصفر، مقالة فى وجع الكبد، مقالة فى القولنج، مقالة فى البرقان، مقالة فى خلق الرحم، مقالة فى عرق النساء، مقالة فى السرطان، مقالة فى صنعة ترياق الملح، مقاله فى عضة الكلب، مقالة فى القوباء (داء يتقشر منه الجلد)، مقالة فيا يعرض للثة والأسنان.

المبحث الثانى

الطب فى الدولة الإسلامية

تمهيد :

.. ساعدت البيئة العربية الصافية ذات الأعشاب الطبية وبعض المناطق الرعوية بشبه الجزيرة العربية على إقامة الطب عند العرب على أساس تجربة بعض النباتات والأعشاب فى العلاج ولهذا فقد كان أبرز خصائص الطب عند العرب قبل ظهور الإسلام اهتمامه بالتجربة وبخاصة تجربة هذه الأعشاب والنباتات الصحراوية واستخدامها فى علاج بعض أمراض البيئة الصحراوية بشبه الجزيرة العربية.

.. يقول الأستاذ عباس العقاد رحمه الله[1]. «يبدو لنا أن اشتغال العرب الطويل برعى الماشية قد باعد بينهم وبين طب الكهانة والخرافة وقارب بينهم وبين طب التجارب العملية، لأنهم راقبوا الحمل والولادة والنمو وما يتمثل به من الأطوار الحيوية وشرّحوا الأجسام فعرفوا مواقع الأعضاء منها وعرفوا عمل هذه الأعضاء فى بنية الحيوان نحوا من المعرفة السليمة فاقتربوا من الإصابة فى تعليل المرض والشفاء».

.. وإلى جانب ذلك فإن بعض أطباء الجاهلية قبل الإسلام عرفوا الكهانة والسحر[2] «وآمنوا بتأثير الخرزات والأحجار والرقى والتمائم، وكانوا يستخدمونها لأغراض مختلفة منها :

١ - التخلص من بعض الآلام أو الأمراض.

---

(١) أثر العرب فى الحضارة الأوربية للعقاد ص٢٦.

(٢) العلاج النفسانى : حامد عبد القادر ص٤٢، ٤٣.

٢ - اكتساب الثقة بالنفس عند مقابلة الحكام أو الخصوم.

٣ - التحبب إلى الناس.

٤ - تجنب الآفات عامة وإصابة العين خاصة.

فقد كانوا يعتقدون أن الرجل منهم إذا خدرت رجله ذكر من يحب، أو دعا فيذهب خدرها، وأن من اختلجت عينه إذا قال : «أرى من أحب» فإن كان غائبا توقع قدومه وإن كان بعيدا توقع قربه - فيذهب اختلاج عينه.

.. وكانوا إذا خافوا على الرجل الجنون أو تعرض الأرواح الخبيثة له نجسوه بتعليق الأقذار عليه كخرقة الحيض وعظام الموتى.

وإذا ظنوا بالرجل مسا من الجن عالجوه بالنشرة وهى ضرب من الرقية.

.. وكانوا يعتقدون أن تناول دم الرئيس يشفى من الكلب.

وأن العاشق إذا سقى من السلوانة يسلو. والسلوانة خرزة بيضاء شفافة أو هى - كما يقول اللحيانى - تراب من قبر يسقى به* العاشق.

.. ومن خرزاتهم التى اعتدوا بها (الخصمة) وهى خرزة للدخول على السلطان أو الخصوم تجعل تحت فص الخاتم، أو فى زر القميص، أو فى حمائل السيف. وكانوا يرون أن تعليق الهنمة أو الفسطة، أو القبلة، أو الدردبيس يحبب الرجال فى النساء وهذه كلها أنواع من الخرز.

.. وكانوا يعلقون التميمة - وهى خرزة خاصة - لمنع الآفات، وخرزة أخرى سوداء تسمى الكحلة لدفع العين عن الصبيان وخرزة بيضاء تسمى القبلة تعلق فى عنق الفرس من العين».

.. وجاء الإسلام فقضى على الكهانة وفتح الباب للطب الطبيعى على مصراعيه لأنه أبطل المداواة بالسحر والشعوذة ولم يحدث فى مكان

الكهانة طبقة جديدة تتولى العلاج باسم الدين. بل سمح النبى صلى الله عليه وسلم باستشارة الأطباء ولو من غير المسلمين، فلما مرض سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه فى حجة الوداع عاده النبى وقال له : « إنى لأرجو أن يشفيك الله حتى يضرّبكَ قوم وينتفع آخرون » ثم قال للحارث بن كلدة الثقفى : « عالج سعدا مّما به » والحارث على غير دين الإسلام. وكان الحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج الثقفى طبيب العرب فى زمنه، وهو من ثقيف، من أهل الطائف رحل إلى بلاد فارس، وأخذ الطب عن أهل « جنديسابور »[1] وغيرها فى الجاهلية، ثم عاد إلى الطائف.

.. ومن أقوال الحارث بن كلدة[2]. « من أراد البقاء ولا بقاء أى

---

(١) جنديسابور : مدينة بخوزستان بإيران، بناها سابور بن أردشير، وكانت مركزًا هاما من مراكز تعلم الحكمة والطب والفلسفة زمن أكاسرة الفرس.

(٢) ومن ذلك أنه لما وفد على كسرى أنوشروان أعظم ملوك ساسان أذن له بالدخول عليه. فلما وقف بين يديه منتصبا قال له : من أنت؟ قال : أنا الحرث بن كلدة الثقفى. قال فما صناعتك؟ قال الطب قال : فما أصل الطب : قال : الأزم. (الجوع) قال : فما الأزم؟ قال ضبط الشفتين والرفق باليدين قال : أصبت وقال : فما الداء الدوى، قال : إدخال الطعام على الطعام، هو الذى يفنى البرية ويهلك السباع فى جوف البرية قال : أصبت، وقال : فما الجمرة التى تسطلم أى تستأصل منها الأدواء؟ قال : هى التخمة، إن بقيت فى الجوف قتلت، وإن تحللت أسقمت. قال : صدقت. وقال : فما تقول فى الحجامه؟ قال : نقصان الهلال فى يوم صحو لا غيم فيه، والنفس طيبة والعروق ساكنة، لسرور يفاجئك وهم يباعدك. قال : فما تقول فى دخول الحمام؟ قال : لا تدخله شبعانا، ولا تغش « دخل على أهله أى جامع امرأته » سكرانا، ولا تقم بالليل عريانا، ولا تقعد على الطعام غضبانا وارفق بنفسك، يكن أرخى لبالك، وقلل من طعامك، يكن أهنأ لنومك. قال فما تقول فى الدواء؟ قال : ما لزمتك الصحة فاجتنبه، فإن هاج داء فاحسمه بما يردعه قبل استحكامه، فإن البدن بمنزلة الأرض إن أصلحتها عمرت، وإن تركتها خربت. قال : فما تقول فى الشراب؟ قال : أطيبه أهنأه، وأرقه أى أصلحه وأحسنه أمرأه أسيغه، وأعذبه أشهاه. لا تشربه صرفا « العرق من الشراب : الخالص الغير ممزوج » فيورثك صداعا، وتثير عليك من الأدواء أنواعا.

.. قال فأى اللحمان أفضل؟ قال الضأن الفتى اسم جنس من الغنم « والقديد » « اللحم المقدد أى المجفف بالشمس » المالح مهلك للآكل. واجتنب لحم الجزور والبقر. قال : فما تقول فى الفواكه؟ قال : كلها فى إقبالها وحين أوانها واتركها إذا أدبرت وولت وانقضى زمانها. وأفضل الفواكه : الرمان والأترج « ثمرة من جنس الليمون تسميه العامة الكباد » وأفضل الرياحين : الورد =

(ولا خلود فى الدنيا فى الحقيقة). فليجوّد الغذاء وليأكل على نقاء (أى لا يدخل طعاما على طعام) وليُقِلَّ من شرب الماء، ويتمشى بعد العشاء، ولا يبيت حتى يعرض نفسه على الخلاء».

.. وقال: «دخول الحمام على البطنة (أى امتلاء البطن من الطعام) من شر الداء.

.. وبالإضافة إلى ذلك كله فإن المسلمين وجدوا فى قراءة القرآن الكريم الشفاء والراحة ومن هنا عرفنا الاستشفاء بالقرآن الكريم يقول تعالى ﴿ويشف صدور قوم مؤمنين﴾ ١٥ - التوبة، ﴿فيه شفاء للناس﴾ النحل ٦٩. ﴿شفاء لما فى الصدور﴾ يونس: ٥٧. ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾ الإسراء ٨٢ ﴿وإذا مرضتُ فهو يشفين﴾

= والبنفسج، وأفضل البقول الهندباء والخس. قال فما تقول فى شرب الماء؟ قال: هو حياة البدن وبه قوامه، ينفع ما شرب منه بقدر، وشربه بعد النوم. ضرر افضله امراه، وارقه اصفاه. ومن عظام أنهار البارد الزلال لم يختلط بماء الآجام جمع أجمه وهى الغابة والآكام جمع أكمه وهى الرابيه. ينزل من صرادح المكان المستوى أو الواسع الأملس.

.. قال: لتخبرنى عن أصل الإنسان ما هو؟ قال: أصله من حيث شرب الماء، يعنى رأسه. قال: فما هذا النور فى العينين؟ مركب من ثلاثة أشياء: فالبياض شحم، والسواد ماء، والناظر ريح، قال فعلى كم جبل وطبع هذا البدن؟ قال: على أربع طبائع: المرة السوداء وهى باردة يابسة والمرة الصفراء وهى حارة يابسة، والدم، وهو حار رطب، والبلغم وهو بارد رطب. قال فلم لم يكن من طبع واحد؟ قال: لو خلق من طبع واحد لم يأكل ولم يشرب ولم يمرض ولم يهلك. وقال: فمن طبيعتين، لو كان اقتصر عليهما: قال: لم يجز، لأنهما ضدادن يقتتلان. قال: فمن ثلاث؟ قال: لم يصلح، موافقان ومخالف فالأربع هو الإعتدال والقيام. قال فاجمل لى الحار والبارد فى أحرف جامعة؟ قال: كل حلو حار وكل حامض بارد وكل حريف حار وكل مر معتدل وفى المر حار وبارد.

.. قال فاضل ما عولج به المرة الصفراء؟ قال: كل بارد لين، قال: فللمرة السوداء؟ قال لين، قال والبلغم؟ قال: كل حار يابس، قال: والدم؟ قال: إخراجه إذا زاد وتسطفته إذا سخن بالأشياء الباردة اليابسة قال: فالرياح؟ قال: بالحقن اللينة والأدهان الحارة اللينة. قال: أتأمر بالحقنة؟ قال: نعم قرأت فى بعض كتب الحكماء أن الحقنة تنق الجوف، وتكسح الأدواء عنه والعجب لمن احتقن كيف يهرم أو يعدم الولد. وإن الجهل كل الجهل من أكل ما قد عرف مضرته، ويؤثر شهوته على راحة بدنه، قال فما الحمية قال: الإقتصاد فى كل شيء فإن الأكل فوق المقدار يضيق على الروح ساحتها ويسد مسامها (أى ثقبها ومنافذها).

الشعراء : ٨٠ ﴿قل هى للذين آمنوا هُدى وشفاء﴾ فصلت : ٤٤.

ويقول الإمام الفخر الرازى فى تفسيره الكبير المسمى «مفاتيح الغيب»[١] «واعلم أن القرآن شفاء من الأمراض الروحانية، وشفاء أيضا من الأمراض الجسمانية أما كونه شفاء من الأمراض الروحانية فظاهر، وذلك لأن الأمراض الروحانية نوعان : الاعتقادات الباطلة، والأخلاق المذمومة. أما الاعتقادات الباطلة فأشدها فسادا الاعتقادات الفاسدة فى الإلهيات والنبوات والمعاد والقضاء والقدر، والقرآن كتاب مشتمل على دلائل المذهب الحق فى هذه المطالب، وإبطال المذاهب الباطلة فيها. ولما كان أقوى الأمراض الروحانية هو الخطأ فى هذه المطالب والقرآن مشتمل على الدلائل الكاشفة فى هذه المذاهب الباطلة من العيوب الباطنة لا جرم كان القرآن شفاء من هذا النوع من المرض الروحانى».

.. وأما الأخلاق المذمومة فالقرآن مشتمل على تفصيلها، وتعريف ما فيها من المفاسد والإرشاد إلى الأخلاق الفاضلة الكاملة والأعمال المحمودة، فكان القرآن شفاء من هذا النوع من المرض فثبت أن القرآن شفاء من جميع الأمراض الروحانية».

.. «وأما كونه شفاء من الأمراض الجسمانية فلأن التبركْ بقراءته يدفع كثيرًا من الأمراض ولما اعترف الجمهور من الفلاسفة وأصحاب الطلمسات بأن لقراءة الرقى المجهولة والعزائم التى لا يفهم منها شىء آثار عظيمة فى تحصيل المنافع ودفع المفاسد فلأن تكون قراءة القرآن العظيم المشتمل على ذكر جلال الله وكبريائه وتعظيمه الملائكة المقربين وتحقير المردة والشياطين سببا لحصول النفع فى الدين والدنيا مهن باب أولى. ويتأكد ما ذكرنا بما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله تعالى».

.. ومنذ مطلع النبوة الشريفة كان هناك طب نبوى كريم وقد جمع

---

(١) مفاتيح الغيب للإمام الرازى ج٥ ص٤٣٣.

الإمام البخارى رضى الله عنه أحاديث نبوية صحيحة تؤلف كتابين من الجزء السابع من صحيح البخارى.

.. يبدؤها البخارى فى الكتاب الثانى بحديث النبى صلى الله عليه وسلم «ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء».

والكتاب الأول يحوى ثمانية وثلاثين حديثا، والثانى يحتوى على إحدى وتسعين حديثا..

.. وهناك كتب متعددة عن الطب النبوى منها كتاب الطب النبوى للذهبى وكتاب الأحكام النبوية فى الصناعة الطبية للحموى، وكتاب الطب النبوى لشمس الدين محمد بن أبى بكر[1].

---

(١) ومن أهم الأحاديث النبوية الخاصة بالصحة والطب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه» ويقول «نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع»

.. وبحديث «لكل داء دواء فإذا أصاب دواء الداء برىء بإذن الله عز وجل» رواه مسلم.

.. وفى الوقاية من العدوى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوا عليها» وفى رواية: «وإذا وقع وأنتم بأرض فلا تخرجوا منها فرارا منه ذكره السيوطى فى الجامع الصغير وعزاه إلى البخارى ومسلم وأحمد. ولو عرفت أوربا هذا الحديث الشريف وطبقته حين أصابها الطاعون فى أواسط القرن الرابع عشر الميلادى لخفت حدة ضحايا الطاعون آنذاك حيث بلغت ضحاياه قرابة خمسة وعشرين مليون نسمة.

.. يقول صلى الله عليه وسلم «فِرَّ من المجذوم كما تفر من الأسد» وفى الحث على النظافة يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «نظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود» رواه الترمذى عن سعد بن أبى وقاص.. وقال حديث حسن.

ومن هديه صلى الله عليه وسلم فى النظافة وحفظ الصحة أنه نهى «أن يبال فى الماء الراكد» رواه مسلم ونهى «أن يبال فى الماء الجارى» رواه الطبرانى.

.. وقال صلى الله عليه وسلم: «إتقوا الملاعن الثلاث - البراز فى الموارد - وقارعة الطريق والظل» وفاعل تلك الأمور شخص ساقط المروءة، رواه أبو داود.

.. وعن فضل السواك قال رسول الله صلى ا عليه وسلم «لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة» رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن أبى هريرة رضى الله عنه.

.. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تسوكوا فإن السواك مطهرة للفم مرضاة للرب، ما جاءنى جبريل إلا أوصانى بالسواك حتى لقد خشيت أن يفرض على وعلى أمتى». [سنن ابن ماجه..]

.. ومن أطباء العرب النضر بن الحرث بن كلدة الذى تعلم من أبيه الطب وحذق مهنة الطبابة. وكان النضر ممن ينقمون على النبى صلى الله عليه وسلم ويكيدون له، وقتل النضر بن الحرث بن كلدة فى غزوة بدر بضرب عنقه[1].

.. ومن الأطباء على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أبى رمثه التميمى[2]. وكان على معرفة متواضعة بصناعة الجراحة.

الطب العربى فى العصر الأموى:

.. ظل الطب العربى بملامحه البسيطة المعتمدة على الأعشاب والنباتات الطبية وعلى الكى والحجامة أحيانا أخرى حتى مطلع العصر الأموى. وفى العصر الأموى عرف العرب مدرسة الإسكندرية القديمة فعرفوا[3] المؤلفات اليونانية فى الطب ونقلوها إلى السريانية ثم إلى العبرية

---

(١) عن يزيد بن رومان: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل يوم بدر عقبة بن أبى معيط صبرا، أما عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح الأنصارى فضرب عنقه، ثم أقبل من بدر حتى إذا كنا «بالصفراء» قتل النضر بن الحرث بن كلدة الثقفى أحد بنى عبد الدار، فقد أمر على بن أبى طالب، رضى الله عنه، أن يضرب عنقه.

(٢) عن أبى رمثه التميمى قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرأيت بين كتفيه الخاتم (أى خاتم النبوة) فقلت: إنى طبيب فدعنى أعالجه، فقال: أنت رفيق والطبيب الله.

.. قال سليمان بن حسان: علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رفيق اليد ولم يكن فائقا فى العلم، فبان ذلك من قوله والطبيب الله.

(٣) والحقيقة أنه منذ أواخر العصر الأموى اتصل العرب بالحضارات المعاصره لهم وبدأت حركة معرفة وهضم للعلوم الموجودة آنذاك..

.. وقد استقى العرب العلوم من مصدرين. كما يقول الدكتور رضا عوضين فى بحث علمى له بدورية البحث العلمى العدد الأول ١٣٩٨ ص ١٩٩ ـ جامعة الملك عبد العزيز ـ أحدهما البلاد التى فتحوها، مثل الإسكندرية وإنطاكية، وحران. والثانى النساطرة الهاربون من اضطهاد بيزنطة بعد أن أغلقت مدرسة حران سنة ٤٨٩ م وكذلك مدرسة أثينا سنة ٥٢٩ م وأصبحت الشام فى ذلك الوقت معقل العلم وبخاصة العلوم البحتة، وانتقلت المدرسة من الإسكندرية إلى إنطاكية سنة ٧١٨ م (٩٩ هـ) حيث ظلت قائمة حتى عام ٧٣٢ م (١١٣ هـ) حين انتقلت إلى حران فى عصر المتوكل.

=

ويقال إن أول نقل فى الإسلام كان على يد خالد بن يزيد. (ت ٨٥ هـ - ٧٠٤ م).

.. والحقيقة أنه مع بدايات الدولة الأموية بدأ الطب العربى يتعرف على المؤلفات الإغريقية وغيرها.. وقد كان لمعاوية (ت ٦٠ هـ - ٦٨٠ م) طبيبان نصرانيان دمشقيان: ابن آثال: الذى كان على معرفة بالسموم والأدوية.. وكان معاوية بن أبى سفيان يستخدمه فى التخلص من خصومه.

.. والطبيب الآخر لمعاوية هو أبو الحكم الدمشقى وكان طبيبا أمينا ناصحا فاعتمد عليه معاوية فى علاج نفسه وأهل بيته وقد ترك ذرية من الأطباء المعروفين فى العصر الأموى.

.. ومن أطباء العصر الأموى المعروفين «تياذوق» (ت ٩٠ هـ) وكان فى أول دولة بنى أمية. وكان تياذوق صديقا للحجاج بن يوسف الثقفى، وكان يثق فيه الحجاج ثقة تامة فضمه إلى خدمته واستعمله فى علاج أمراضه.

.. ومن كلام تياذوق للحجاج: قال «لا تأكلن حتى تجوع، ولا تتكارهن على الجماع. ولا تحبس البول. وخذ من الحمام قبل أن يأخذ منك».

.. ووجد الحجاج فى رأسه صداعا فبعث إلى تياذوق فقال: اغسل رجليك بماء حار، وادهنهما. وخَصِىٌّ للحجاج قائم على رأسه، فقال: والله ما رأيت طبيبا أقل معرفة بالطب منك: شكى الأمير الصداع فى رأسه

= .. أما الطب فإنه انتقل أولا مع النساطرة إلى مدينة جنديسابور التى زادت أهميتها العلمية بعد أن أغلق الامبراطور جوستنيان المدرسة الأفلاطونية الجديدة بأثينا سنة ٥٢٩ م وشتت فلاسفتها حيث التجأ أكثرهم إليها، وفى حكم كسرى أنو شروان (٥٣١ - ٥٧٩ م). تمتعت هذه المدرسة بتشجيع كسرى فنمت فيها الحركة العلمية إلى درجة كبيرة وأصبحت ملتقى الحضارات الشرقية والغربية وبقيت لها هذه المكانة بعد الفتح الإسلامى (٦٣٨ م - ١٩ هـ) وحتى العصر العباسى.

فتصب له دواء فى رجليه، فقال له: أما أن علامة ما قلت فيك بيِّنة قال الخصيّ: وما هى؟ قال نزعت خصيتاك فذهب شعر لحيتك. فضحك الحجاج ومن حضر.

.. ومن طبيبات العصر الأموى البارزات زينب الأودية طبيبة بنى «أود» وكانت كاحلة ماهرة بطب العيون[1].

.. وفى عهد الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز (ت ١٠١ هـ - ٧٢٠ م) أسلم الطبيب السكندرى عبد الملك بن أبجر الكنانى على يد العظيم الزاهد عمر بن عبد العزيز الذى صحبه واستطبّه.

.. وقد روى سفيان الثورى عن ابن أبجر أنه قال: المعدة حوض الجسد والعروق تشرع فيه، فما ورد فيها بصحة صدر بصحة، وما ورد فيها بسقم صدر بسقم.

.. وقيل إن أول من بنى فى الإسلام مستشفى هو الخليفة الأموى «الوليد بن عبد الملك» توفى ٨٨ هـ.

.. ومن أبرز أطباء العصر الأموى حكم بن أبى الحكم الدمشقى. وكان مقيما بدمشق وعَمَّر طويلا وكان على معرفة بالطب وكذا ولده عيسى بن حكم بن أبى الحكم الدمشقى صاحب الكناش الكبير الذى يعرف به وينسب إليه وله أيضا كتاب منافع الحيوان.

---

(١) قال أبو الفرج الاصبهانى فى كتابه الأغانى: اخبرنا محمد بن خلف المرزبان قال، حدثنى حماد بن اسحق عن ابيه كناشه عن ابيه عن جده قال: اتيت امراة من بنى اود لتكحلنى من رمد كان قد أصابنى فكحلتنى، ثم قالت: إضطجع قليلا حتى يدور الدواء فى عينيك، فاضطجعت ثم تمثلت قول الشاعر.

امخترمى ريب المنون ولم أزر   طبيب بنى اود على النأى زينبا

وضحكت ثم قالت: أتدرى فيمن قيل هذا الشعر؟ قلت لا قالت: فىّ والله قيل، وأنا زينب التى عناها، وانا طبيبة بنى أود. افتدرى من الشاعر؟ قلت لا: قالت عمك أبو سماك الأسدى.

.. وكان الطبيب فى العصر الأموى ينظر إلى وجه المريض وإلى عينيه ولسانه وأظافره ويجس نبضه وينظر إلى قارورة الماء (البول).

.. وفى ولاية زياد بن أبيه (ت ٥٣ هـ - ٦٧٣ م) كثرت الكلاب السعيرة فى البصرة فكتب زياد دواء للكلب فى صحيفة وعلقها على باب المسجد الأعظم ليعرفه جميع الناس.

.. ومما يدل على مهارة بعض أطباء العصر الأموى أنه خرجت للسيدة سكينة سلعة (غدة أو خراج) فى أسفل عينها ثم اخذت تنمو. فقام الطبيب بدراقس بشق جلد وجهها وكشطه حتى ظهر أصل السلعة ثم نزع بدراقس السلعة وسل عروقها فعاد وجه سكينة إلى ما كان عليه سوى موضع الجرح[1]

.. والحقيقة أن الطب العربى مرّ بمرحلتين أساسيتين :

الأولى: مرحلة الترجمة وتجميع حصيلة الحضارات المجاورة والسابقة، وذلك منذ القرن الثانى الهجرى..

والثانية : تميزت بالأصالة وإضافة عصارة الفكر العربى إلى العلم الإنسانى منذ القرن الثالث الهجرى مع ازدهار العلم فى العصر العباسى الذهبى.

---

(١) الأغانى للأصفهانى جـ ١٦ ص ١٦٠.

المبحث الثالث
عصر الترجمة

.. بدأ عصر نضج الطب وعلومه بحركة الترجمة الواسعة التى قادها بعض الخلفاء المستنيرين الذين أنشأوا فى مدن عديدة مراكز للعلم والمعرفة والترجمة.

.. والحقيقة أن العرب عندما فتحوا بلاد الفرس والشام وجدوا بها خزائن العلم اليونانى والرومانى والفارسي منتشرة عديدة فأمر الخلفاء المهتمين بالعلم بنقل بعضها إلى اللغة العربية وبدأت حركة الترجمة الواسعة للعلم اليونانى من اليونانية إلى السريانية ومن السوريانية إلى العربية[1].

---

(١) يقول الدكتور فهيم أبادير فى كتابه من تاريخ الطب عن العرب ص ٢٥ حدث فى عام ٣٢٥ م أن أسست فى مدينة إنطاكية بشمال سورية مدرسة على غرار مدرسة الإسكندرية، وكانت الصلات الثقافية فى العصر اليونانى بين مصر وسورية قوية، ولما كانت مؤلفات الاغريق فى ذلك الوقت هى المرجع الوحيد للطب لجأ أساتذة مدرسة إنطاكية إلى ترجمتها إلى لغتهم وهى السريانية.

.. وفى عام ٤٢٨ م عين أحد خريجى قسم اللاهوت بمدرسة أنطاكية بطريركا على القسطنطينية ويدعى «نسطور» ثم حدث جدل وخلاف نحو تفسير بعض العقائد الدينية كان نتيجته فصل نسطور عن الكنيسة المسيحية وتم ذلك بواسطة مجلس دينى عام عقد فى مدينة افسس عام ٤٣١ م، ثم اعتراض عدد كبير من السوريين على هذا القرار وتضامنوا مع نسطور وانشقوا عن الكنيسة المسيحية، وأصبحت هذه الجماعة المنفصلة تدعى بالنسطوريين نسبة إلى راشدها المفصول البطريرك نسطور. ثم رحلت هذه الجماعة إلى مدينة «نصيبين» فى سورية وإلى «الرّها» وهى مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام، وباشروا نشاطهم العلمى فى تدريس الطب حتى أصبحت مدرسة «الرّها» من أشهر المدارس الطبية فى أواخر القرن الخامس للميلاد. ولما تزايد اضطهاد المسيحين الأرثوذكس لهم، هاجروا إلى العجم حيث أستقبلتهم الأسرة الساسانية بكل ترحاب وأسسوا فى النصف الثانى من القرن الخامس فى مدينة جنديسابور مدرسة طبية يتبعها مستشفى للعلاج. وجنديسابور أو جند شهبور هذه مدينة تقع فى الجهة الجنوبية الغربية من إيران بناها سابور أحد ملوك العجم وسميت باسمه (وقد افتتحها المسلمون عام ١٩ هـ).

وأصبحت هذه المدرسة فى أواخر القرن السادس للميلاد أعظم مركز ثقافى وواسطة الاتصال =

.. ولعل أول ترجمة فى صدر الإسلام كانت فى عهد بنى أمية فقد كان الأمير خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان والذى كان يائسا من تولى الخلافة فأنشغل عن الخلافة بحب الكيمياء فاستخدم عددا ممن يجيدون اليونانية فترجموا له بعض كتب الكيمياء والطب والفلك.

.. ويقال إن من هؤلاء العلماء الذين استخدمهم خالد بن يزيد عبد الملك ابن أبجر الكنانى الذى أسلم على يد عمر بن عبد العزيز والذى باشر التدريس فى « انطاكية » « وحران ». ويقال أيضا إن « ماسرجويه » وهو طبيب يهودى سريانى اللغة بصرى الدار - نقل لعمر بن عبد العزيز كناشا (مجموعا) فى الطب. لكن فى الحقيقة أنه لم يصلنا من العصر الأموى كتابا منقولا ولا كتابا مؤلفا فى الطب.

.. ونلاحظ أن معظم الأطباء فى العصر الأموى والعباسى كانوا من النصارى الذين يجيدون السوريانية ونسبة منهم كانوا ممن درسوا بمدرسة جنديسابور أو فى « الرها » و« نصيبين ».

.. ويتحدث الجاحظ بأمانة علمية بالغة عن ذلك الوضع فيقول[1] عن الطبيب البغدادى المسلم أسد بن جانى « وكان أسد بن جانى طبيبا فأكسد مرة فقال له قائل السّنة وبئة، والأمراض فاشية، وأنت عالم، ولك بصر وخدمة ولك بيان ومعرفة، فمن أين تؤتى فى هذا الكساد قال: أما واحدة فإنى عندهم مسلم وقد اعتقد القوم قبل أن أتطبب، لا .. بل قبل أن أخلق أن المسلمين لا يفلحون فى الطب. واسمى ثانية أسد، وكان

= بين النسطوريين وغيرهم من العلماء والأطباء الذين هرعوا إليها من كل مكان مما كان له أثر فى تطور الثقافة الطبية الإسلامية فيما بعد وكان الحارث بن كلدة أول طبيب عربى تعلم بها.

.. وكانت هذه المدرسة مركزا هاما لترجمة علوم اليونان الطبية إلى اللغة السوريانية ومن أوائل الذين قاموا بترجمة المؤلفات اليونانية « سرجيوس الرأس عينى » توفى عام ٥٣٦ م، ترجم قسما من مؤلفات جالينوس وهى موجودة بالمتحف البريطانى الآن ونَقّح حنين بن اسحق العبادى هو وزملاؤه فى « دار الحكمة » ببغداد ترجمة سرجيوس الأصلية بعد مرور قرنين من الزمن.

(١) البخلاء للجاحظ ١٠٩ القاهرة ١٣١٣ هـ.

ينبغى أن يكون اسمى «صليبا» «ومرايل» «ويوحنا» «وبيرا» وكنيتى أبو الحارث وكان ينبغى أن تكون أبو عيسى، وأبو زكريا، وأبو إبراهيم، وعلىّ رداء قطن أبيض وكان ينبغى أن يكون رداء حرير أسود، وأخيرا لفظى لفظ عربى وكان ينبغى أن تكون لغتى لغة أهل جنديسابور[1].

.. وكانت شهرة مدينة جنديسابور فى ميدان الطب عظيمة وكانت مدرستها لتعليم الطب لها شهرة مدوية تحت إشراف النساطرة. ولهذا فإنه لما أصيب المنصور العباسى (١٥٨ هـ - ٧٧٥ م) بمرض فى مقدمه ولم يفلح فى علاجه أطباء بغداد استقدم عام ١٤٨ هـ - ٧٦٥ م جورجيس بن بختيشوع (ت ٧٧١ م) رئيس أطباء جند يسابور، ونجح فى علاج المنصور، وأصبح طبيبه الخاص وأصبح أحفاده أطباء الخلفاء العباسيين نحو ثلاثة قرون من الزمان.

.. وهكذا أصبحت بغداد مركزا للطب والعلم والترجمة وانتقل مركز التعليم الطبى من الإسكندرية فى عهد عمر بن عبد العزيز إلى إنطاكية ومنها إلى حران إلى جنديسابور إلى بغداد التى أصبحت من أهم مراكز الاشعاع والنور والعلم والترجمة فى العالم آنذاك - فما أن جاء عام ٩٠٠ م حتى كانت كُتُب أبقراط وجالينوس مترجمة كلها إلى العربية وقد ترجم أهم ما تبقى من المجموعة البقراطية ككتاب الفصل فى سبع مقالات، وكتاب البلدان والمياه والأهوية، والامراض الحادة أو الوافدة، ومقدمة المعرفة، والأركان، والأخلاط وطبيعة الإنسان والأزمنة. والحق أن الكتب اليونانية الأصل شملت معظم فروع الطب المعروفة آنذاك.

.. وقد اهتم العرب بترجمة مؤلفات جالينوس اهتماما كبيرا. وكانت كتب جالينوس فى الطب من العمد الرئيسية عند الرازى وابن سينا وابن النفيس.

---

(١) يقصد السوريانية.

.. ولعل أهم بواعث الترجمة والنقل فى الإسلام هى رعاية الخلفاء العباسيين للتراجمة فقد كان بعض الخلفاء يدفعون للناقل ثقل الكتاب المنقول ذهبا.

.. كما أن الخليفة المأمون (ت ٢١٨ هـ) أنشأ بيت الحكمة وضم إليه سائر المترجمين المتميزين.

.. ثم إن هناك عامل آخر ساعد على انتشار الترجمة فى العصر العباسي وهو أن الدولة العباسية كانت تعتبر أن العلم والترجمة مظهران هامان من مظاهر التقدم الحضارى والثقافى والعمرانى للدولة العباسية إبان قوتها وازدهارها.

.. كما أن الخلفاء عملوا على التعرف على الثقافات والحضارات القديمة من خلال الاطلاع على مؤلفاتهم المنقولة إلى السوريانية ثم إلى العربية حتى أن المأمون لما انتصر على الروم سنة ٢١٥ هـ - ٨٣٠ م، وعلم بأن اليونان - لما انتشرت النصرانية فى أراضيهم - قد جمعوا كتب الفلسفة والعلم من المكتبات وألقوا بها فى السراديب فطلب المأمون من ملك الروم أن يعطيه هذه الكتب مكان الغرامة التى كان قد فرضها عليه فقبل «توفيل ليثوفيلوس» ملك الروم ذلك بل اعتبر ذلك راحة له وكسبا عظيما.

.. أما عن طرق الترجمة والنقل فقد كان للنقل طريقتان.. الطريقة اللفظية والطريقة المعنوية، والطريقة اللفظية طريقة مرهقة وغير دقيقة لأنها تعتمد على المرادف اللفظى، وهى طريقة «يوحنا بن البطريق»، وعبد المسيح ابن الناعمة الحمصى[1]، وذلك أن يأتى الناقل إلى النص وينظر فى كل كلمة بمفردها ثم يضع تحتها مرادفها من اللغة الأخرى. وهذه الطريقة رديئة جدا لأن عددا كبيرا من الكلمات فى كل لغة ليس

---

(١) تاريخ العلوم عند العرب لفروخ ص ١١٥.

لها مرادف فى لغة أخرى. ثم إن المجازات والتشبيهات لا يمكن أن تنقل من لغة إلى لغة بالطريقة اللفظية.

.. وكان فى هذه الطريقة اللفظية مشكلة أخرى تلك أن أصحاب هذه الطريقة كانوا أحيانا لا يجيدون اللغة اليونانية كما كانوا أحيانا أخرى لا يجيدون اللغة العربية. فكان أحدهم ينقل الكتاب من اللغة اليونانية إلى اللغة السوريانية ثم يأتى آخر فينقله من السوريانية إلى العربية.

.. أما الطريقة المعنوية فهى طريقة حنين بن اسحق، وذلك أن يأتى الناقل إلى الجمل فيحصل معناها فى ذهنه ثم يعبر عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها فى المعنى، سواء، استوت الجملتان فى عدد الكلمات أم اختلفتا.

.. ويقول الدكتور توفيق الطويل[1] وكان المترجمون فى العادة يجيدون اللغة التى ينقلون عنها إجادتهم للغة التى ينقلون إليها مع إلمامهم التام بموضوعات ترجماتهم. وكان أغلبهم يلتزمون الدقة ويتوخون الأمانة فيما ينقلون. فكانوا فى العادة يحرصون على أن تكون تحت ايديهم نسخ الأصل الذى ينقلون عنه وترجماتهم فى غير العربية - السريانية - ليقابلوا بين بعضها والبعض الأخر وكانوا يقسمون الجمل إلى بنود وفصول وفقرات حتى يتيسر نقل معانيها إلى العربية فى وضوح لا يحتمل اللبس كما كان يفعل ابن الأشعث فيما يروى ابن أبى أصيبعة. وشروحهم للأصل تشهد بأنهم كانوا على إلمام دقيق بالتعبيرات الدارجة والمصطلحا ت المألوفة فى اللغة التى ينقلون عنها، وإن بدا أن بعض المترجمين كانوا على عكس هذا يتوخون الترجمة الحرفية. وقد أدى اختلاف التراكيب فى اللغات وعدم تكافؤ الألفاظ فيها إلى غموض المعانى فى الترجمة العربية أحيانا. ولكن أكثر الترجمات التى جرى أصحابها على هذا النهج قد قام ترجمون ممتازون

---

(١) فى تراثنا العربى والإسلامى ص ٧٦ : ٧٨.

بإصلاحها أو إعادة ترجمتها. وإذا كان ابن البطريق مثلا قد تصدى للترجمة عن اليونانية وهو لا يجيدها برغم تمكنه من اللاتينية فإن إسحاق بن حنين قد نهض بإصلاح أو إعادة ترجمة ابن البطريق من مؤلفات جالينوس. بل كان حنين يعيد ترجمة ما سبق له أن نقله إلى العربية فى صباه، وفعل فى ترجمات «اصطفان بن باسيل» مثل ما فعل فى ترجمات «ابن البطريق». وقد مكنه من ذلك أنه أى حنين كان يجيد ثلاثة لغات غير - العربية - هى الفارسية واليونانية والسريانية. وكان حنين بشهادة المؤرخين جيد الأسلوب واضح المعنى. وقد كان يستعمل المصطلحات العلمية بألفاظها الأجنبية - وقد أباح ذلك مجمع اللغة (العربية) بالقاهرة فى أيامنا الحاضرة - ولكنه كان يتبعها بشرح معناها حتى يتحدد مدلول الكلمة فى العربية. وكان حنين ومدرسته خير من يمثل الثقافة اليونانية وخير من قدمها إلى قراء العربية.

.. وعلى الجملة كان أكثر المترجين من العرب يتوخون فهم المعنى الذى تحمله كل جملة أو فقرة، والتعبير عنه بما يجرى مع الأسلوب العربى الفصيح مع الحرص على الدقة والأمانة فى التعبير عنه.

٤. وكان سخاء الخلفاء وأهل اليسار من محبى العلم فى معاملة هؤلاء المترجين سخاء كبيرا، إلى حد أن حنين بن اسحاق كان يتقاضى وزن ترجماته ذهبا. وكان هذا خليقا بأن يغرى المترجين بالتسرع فى الترجمة، ولكن هذا لم يحدث فى العادة. وما بدا فى ترجمات العرب من أخطاء كان مرده فى رأى المستشرق «أوليرى» إلى ثلاثة أمور:

(أ) أن الكثير من كتب التراث اليونانى قد نقل إلى السريانية، ووقع ناقلوه فى أخطاء. فلما نقل العرب هذه الكتب من السريانية أو غيرها نقلوا هذه الأخطاء إلى لغة العرب، يقول أبو حيان التوحيدى (ت ٤٠٠ هـ - ١٠٠٩م) فى المقابسات: على أن الترجمة من لغة اليونان إلى العبرانية، ومن العبرانية إلى السريانية، ومن السريانية إلى العربية قد أخلت

بخواص المعانى فى إبدال الحقائق إخلالاً لا يخفى على أحد. ولو كانت معانى يونان تهجس فى أنفس العرب مع بيانها الرائع وتصرفها الواسع وافتنانها المعجز وسعتها المشهورة لكانت الحكمة تصل إلينا صافية بلا شوب وكاملة بلا نقص.

(ب) أن مترجمى العرب كانوا كثيرا ما يقنعون بنقل المعانى المهمة وإهمال ما عداها عن عمد، وليس عن جهل، أو سوء فهم. وعدم تقيدهم بالنص جعل الترجمة فى بعض الحالات أوضح من الأصل الذى نقلت عنه.

(جـ) أن أكثر المترجين كانوا حريصين على أن يشرحوا أثناء الترجمة، وأن يمحصوا وينقدوا وأن يضيفوا إلى الأصل معانى هدفهم إليها إضافة خبراتهم دون أن يهتموا بإرشاد القارئ إلى ما أضافوا إلى الأصل من معانٍ وأفكار.

وفيما عدا ذلك اشتهر الكثيرون من مترجمى العرب من أمثال حنين ومدرسته، وثابت بن قرة وقسطا بن لوقا بالأمانة والدقة والقدرة على فهم الأصل والتعبير عنه بالعربية الفصحى، حتى قال بعض المؤرخين من الغربيين : إن المقابلة بين كتابات جالينوس وكتابات ابن سينا تشهد بغموض أولها وسوء ترتيبه، ووضوح ثانيها وحسن تنسيقه، بل إن ترجمات العرب عن اليونانية أو غيرها إلى العربية وترجمات الفرنجة من العربية إلى اللاتينية - فى صقلية أو أسبانيا - تشهد بأن العرب كانوا أكثر أمانة ودقة ووضوحا، بل كان من المترجين الفرنجة من لا يحسن العربية أو لا يعرفها أصلا، مكتفيا بالنقل عن ترجمات عبرانية سقيمة أو لغات دارجة، مما جعل نزاهتهم ودقتهم مثارا للريب.

طبقات التراجمة :

.. لعل أول ترجمة عربية هى ترجمة الإنجيل وقد ترجع هذه الترجمة

إلى العصر الجاهلى قبل الإسلام.. يقول كارل بروكلمان[1]. إذا صرفنا النظر عن ترجمات قديمة للإنجيل قد ترجع إلى زمن الجاهلية وجدنا أنه ترجع إلى العصر الأموى ترجمة «مفتاح أسرار النجوم» وهو كتاب هرمس فى التنجيم[2].

وقد ترجع إليه أيضا كتاب تيوكروس Teukros والذى أطلق عليه العرب اسم تنكلوشا.

.. وقد ترجع إليه أيضا ترجمة Geoponika إلى العربية بواسطة كتاب «ورزنامك الفارسى».

.. وقد طغت الترجمات التى عملت فى عصر المأمون وخلفائه المباشرين على ترجمات المدارس الأقدام عهدا، فلم يصل إلينا سواها.

الترجمة من اليونانية والسوريانية :

.. وكان القرن الثالث الهجرى أخصب القرون الفكرية فى العالم الإسلامى ويعد هذا القرن بحق قرن المترجمين وكان أبرز المترجمين على الإطلاق هو حنين بن إسحق العبادى (ت ٢٦٠ هـ - ٨٧٣م). وقد ألف العديد من الكتب فى الطب والفلسفة وترجم الكثير من الكتب اليونانية وكان يساعده فى كتاباته وترجماته ابنه اسحاق، وابن أخته حبيش بن الأعلم وأصطفن بن بسيل[3]، ويحيى بن هارون، وكان يراجع أخطاءهم ويصححها، وعرف عنه الدقة فى ترجماته. لإجادته اللغات الأربعة السوريانية والفارسية واليونانية والعربية.

---

(١) تاريخ الأدب العربى الجزء الرابع ص٩٠ ترجمة د. السيد يعقوب بكر والدكتور رمضان عبد التواب.

(٢) جاء بهامش كتاب تاريخ الأدب العربى ص٩٠ قد تكون هذه الترجمة أقدم ترجمة لمصنف غير دينى وصلت إلينا. وكان الفراغ منها فى ذى القعدة سنة ١٢٥ هـ - سبتمبر ٧٤٣م. والقسم الأول منه (كتاب عرض مفتاح أسرار النجوم) محفوظ فى أمبروزيانا C861.

(٣) اصطفان بن بسيل : أول من ترجم كتب «دسقوريدس» فى الأقرباذين.

.. وكان حنين ينقل عادة من اليونانية إلى السوريانية ثم يقوم بالترجمة إلى العربية أو يكلف أحدا من تلاميذه بذلك تحت إشرافه ومراجعته، وتميز أسلوب حنين فى الترجمة بالدقة العلمية وعدم الغموض.

.. وقد ترجم حنين إلى اللغة السوريانية ثمانيةوخمسين مصنفا من مصنفات جالينوس، وإلى العربية وحدها أثنى عشر مصنفا، وإلى السوريانية ثم إلى العربية اثنين وعشرين مصنفا[1].

..وكان يراجع ترجماته القديمة باستمرار ويعمل على تنقيحها وإصلاحها. يقول عن كتاب الفرق لجالينوس ترجمته وأنا شاب من نسخة خطية يونانية مشوهة، ثم لما بلغت الأربعين من عمرى طلب إلى تلميذى حبيش أن أصلحها بعد أن كنت جمعت قدرا من المخطوطات اليونانية وعند ذلك رتبت هذه بحيث نسقت منها نسخة صحيحة قارنتها بالنص السريانى ثم صححتها وتلك عادتى التى اتبعتها فى كل ما ترجمته[2].

.. وكان حنين يبذل قصارى جهده فى سبيل البحث عن أصول

---

(١) يذكر «ماكس مايرهوف» أنه بفضل الرسالة الخطية لحنين إلى على بن يحيى فى ذكر ما ترجم من كتب جالينوس وهذه الرسالة يوجد منها نسختان خطيتان فى مكتبة جامع أياصوفيا بالأستانة تحت رقم (٦٦٣ ورقم ٣٥٩٠) فنحن على معرفة بقائمة ما ترجمه حنين فإنه ترجم إلى السوريانية من كتب جالينوس خمسة وتسعين، وترجم إلى العربية منها تسعة وثلاثين وعدا ذلك فإنه راجع وأصلح ما ترجمه تلاميذه. وهى سته إلى السوريانية ونحوًا من سبعين إلى العربية، كما راجع وأصلح معظم الخمسين كتابا التى كان قد ترجمها إلى السوريانية سرجس الرأسعينى وأيوب الرهاوى وغيرهما من الأطباء المتقدمين. وكانت التراجم السوريانية تعمل فى الغالب للأطباء والعلماء النصارى أمثال جبرائيل بن بختيشوع ويوحنا بن ماسويه وسلمويه بن بنان وبختيشوع بن جبرائيل وزكريا الطيفورى وولده إسرائيل وشريشع بن قطرب وسواهم.

.. وكانت التراجم العربية تعمل لأعاظم المسلمين الذين اعتنق الكثير منهم الإسلام حديثا، أمثال على بن يحيى كاتم سر المتوكل على الله، وصديقه، ومحمد بن عبد الملك الزيات وزير الخليفة المعتصم بالله ومحمد وأحمد ابنَىْ موسى وكانا من مشاهير الرياضيين وعلماء الطبيعيات وأحمد بن محمد المدبر والى مصر فى أيام المتوكل.

(٢) حنين بن إسحق: رسالة إلى على بن يحيى فيما ترجم وما لم يترجم من كتب جالينوس. النسخة الخطية وذكرها ما يرهوف فى مقدمة العشر مقالات فى العين ص ٢٩.

الكتب والنسخ الأصلية لها مثال ذلك كتاب « فى البرهان » لجالينوس الذى كان نادر الوجود فى القرن الثالث الهجرى والذى قال عنه حنين : إننى بحثت عنه بحثا دقيقا وَجُبْتُ فى طلبه أرجاء العراق وسوريا وفلسطين ومصر إلى أن وصلت إلى الإسكندرية لكنى لم أظفر إلا بما يقرب من نصفه فى دمشق.

.. يقول ماكس مايرهوف[1]. ويرى « برجستراس » الذى كان أستاذا للغات السامية فى جامعة « ميونخ » وأعظم حجة فى تراجم حنين العربية : إن حنينا وحبيشا أفضل تلاميذه : تجشما عناء كبيرا فى التعبير عن معنى أصول الكتب اليونانية بقدر ما يستطاع من الوضوح. وكانا يترجمان ترجمة حرفية حتى ولو ضحيا فى ذلك بجمال اللغة وتنسيق ديباجتها. لكن تراجم حنين أفضل ودقتها أعظم. ومع ذلك فإن الإنسان يخيل إليه أنها ليست مجهود صادق ولكن نتيجة تمكن وثيق من اللغة وحسن تصرف فى مذاهبها. ويتجلى هذا فى سلامة التوفيق بين اليونانية والعربية والدقة المتناهية فى التعبير مع الإيجاز. تلك هى مميزات فصاحة حنين التى اشتهر بها.

.. ولقد أسهب « برجستراسر » فى دحض رأى « سيمون » من أن تراجم حنين وحبيش حافلة بالفقرات المتحلة الغريبة عن الأصل، ويرى أن طريقتها فى التعبير ليست على الدوام جميلة ولكنها على الأقل حرفية.

.. ورسالة حنين إلى على بن يحيى كاتم سر المتوكل على الله تقفنا على عدد معين من تراجم حنين لكتب أبقراط. مثال ذلك : كتاب الفصول، مع تفسير جالينوس عليه المترجم إلى السوريانية والعربية وكتاب الكسور وكتاب الخلع.

.. ولعله قد نسبت بعض التراجم إلى حنين خطأ وذلك لنزعة بعض الناس إلى استعارة اسم حنين لمؤلفاتهم الزائفة.

---

(١) فى مقدمته لكتاب العشر مقالات فى العين لحنين ص ٣٠.

.. وحنين بن إسحاق هو صاحب كتاب المسائل فى الطب للمتعلمين[(١)]. ويبحث حنين فى هذا الكتاب[(٢)]. المواضيع الأساسية التى بنى عليها علم الطب النظرى والعملى فى بحثها فى الأمور الطبيعية، كالأركان، والأمزجة، والأخلاط والأعضاء، والقوى والأفعال، والأرواح وما يتسبب عن اعتدالها من صحة وعن اختلال اتزانها من مرض وأسبابه ودلائله وأحواله، ثم معالجته وتدبير الأبدان الضعيفة، وتعديل الأسباب الستة العامة المشتركة، كالهواء المحيط بأبداننا، وما يؤكل ويشرب والنوم واليقظة، والاستفراغ والاحتقان، والحركة والسكون، والأحداث النفسانية، من خوف وذعر وغضب أو مزح وانشراح، يتبع ذلك ذكر استعمال الأدوية والأغذية للعلاج وحفظ الصحة موجودة واستردادها مفقودة والعقاقير المفردة والمركبة، وقواها وكيفية وفائدة تركيبها، وخزنها وأوزانها وامتحانها وكيفية صرفها، ومعرفة تأثيرها فى الإنسان فى حالتى الصحة والمرض ونفع الترياقات وكيفية تركيبها، وأعضاء البدن وعلمى التشريح والغرائز والحميات والاستدلال من النبض والبول وغيرها.

.. أما كتابه كتاب العشر مقالات فى العين فيُعَدُّ كما يقول طبيب العيون ماكس مايرهوف الذى حقق الكتاب أنه أقدم كتاب فى طب العيون ألف على الطريقة العلمية وقد أشاد بفضل حنين الدكتور يوليوس هيرشبرج أستاذ طب العيون فى جامعة برلين سابقا والذى كان متفقها فى اللغات ومؤرخا محققا، مضى قرابة ربع قرن من الزمان فى كتابة مؤلفه تاريخ طب العيون الذى يقع فى سبعة مجلدات ضخمة.

.. واستطاع الدكتور هيرشبرج أن يؤكد أن سائر أطباء العيون

---

(١) الدكتور جلال موسى - المسائل فى الطب لحنين بن إسحق - تحقيق ودراسة منهج البحث العلمى عند العرب فى مجال العلوم الطبيعية والكونية.

(٢) الصناعة الطبية فى العصر الإسلامى الذهبى للدكتور سامى حمارنه بحث بدورية عالم المعرفة الكويتية ص٣٠ المجلد العاشر العدد الثانى ١٩٧٩م.

المتأخرين اقتبسوا من كتاب حنين « العشر مقالات فى العين » وشرحوه، وعلى الأخص « على بن عيسى » « وعمار بن على »، « وأباروح بن منصور » الطبيب الفارسى المعروف باسم زرين دست والغافقى طبيب العيون الأندلسى المغربى وخليفة ابن أبى المحاسن « السورى » والقيسى والأكفانى والشاذلى من مصر.

.. وفى كتاب العشر مقالات فى العين لحنين بن اسحق نلاحظ أنه اتبع فى كتابته طريقة كتابات جالينوس.

.. ويشير إلى ذلك حنين نفسه حيث يقول فى المقدمة إنه كتب هذا الكتاب على ما بينه وشرحه جالينوس الحكيم.

.. ويبين لنا « مايرهوف » أهم موضوعات العشر مقالات فيقول[1] : تبسط « المقالة الأولى » تشريح العين على نحو ما جاء بالمقالة العاشرة من كتاب جالينوس المسمى فى منافع الأعضاء وتكرر بدقة آراء جالينوس فى الأسباب الأصلية وهى أن كل شىء فى الجسم وفى العين خلق لفائدة معينة. وبهذه الطريقة ردت جميع أغلاط جالينوس التشريحية التى شاعت مدة تزيد عن ألف وأربعمائه عام دون أن ينقضها أحد. فمثلا وضعت عدسة العين « البلورية » التى ترجمت فى اللغة العربية تحت اسم « الرطوبة الجليدية » فى وسط المقلة خطأ وجعلت عضو البصر الرئيسى. وظن أن أغشية العين وسوائلها (رطوباتها) قد جعلت لحماية وتغذية عدسة العين. ولوحظ أن الشبكة إنما هى إمتداد لنهاية العصب الباصر، ولكن طبيعتها الحقيقية على اعتبار أنها عضو الإبصار كانت لا تزال مجهولة. ووصف إتصالها بالمخ بواسطة « العصب الباصر ». ولكن كان المظنون أن العصب الباصر مجوف لكى يسير فيه روح البصر أو الروح النورى من المخ إلى العين والعدسة وإنسان العين. وأدمج وصفا للمخ على نحو ما جاء بالمقالة

---

(١) كتاب العشر مقالات لحنين بن إسحق ص٤٩ : ٥٧.

الثامنة من كتاب (فى منافع الأعضاء) ووصف إنسان العين جيدا بأنه ثقب فى القذحية. لكن الأخيرة لم تميز من الجسم الهدبى ولكن قيل إنها تنقبض معه إلى الطبقة العينية أو الغشاء العينى. أما المحفظة الأمامية للعدسة مع المنطقة الهدبية فقد وصفت بأنها غشاء مستقل وهو الطبقة العنكبوتية.

.. ووصفت عضلات العين الست وصفا جيدا ولكن العضلة مسترجعة المقلة قد أضيفت إليها مع أنها لا توجد فى الإنسان ولكن فى ضروب معينة من ذوات الثدى. ويجب ألا يعزب عن بالنا أن اليونان والعرب ما كانوا يستطيعون تشريح الجثث الإنسانية وما كانوا يعرفون سوى تشريح الحيوانات الداجنة على وجه الخصوص. وفيما كان يتعلق بالأخطاء التشريحية المذكورة آنفا نجد أن فيزاليوس عالم التشريح العظيم فى كتابه المشهور ما برح يكررها فى منتصف القرن السادس عشر الميلادى. هذا ويرجع الفضل فى إقامة الدليل على عدم وجود العضلة مسترجعة المقلة فى عين الإنسان إلى فالوبيا الإيطالى (١٥٢٣ - ١٥٦٢م) وأظهر (فابرسيوس أب أكوابندنتى) حوالى سنة ١٦٠٠م لأول مرة أن العدسة موضوعة فى الجزء الأمامى من العين. وشرح يوهانس كيبلر حقيقة طبيعة العدسة والشبكة والانكسار البصرى فى سنة ١٦٠٤م. واستكشف الطبيب الفرنسى (بيير بريسو) طبيعة الكتركتا مدللا على أنها عم فى عدسة العين وكان ذلك بعد سنة ١٧٠٦م بقليل.

.. وتتناول « المقالة الثانية » وصف المخ على نحو ما قرره جالينوس. ومما هو جدير بالذكر أن حنينا اعتمد فى هذه المقالة على الباب الثامن من كتاب جالينوس المسمى : (فى منافع الأعضاء) ولم يعتمد على كتاب جالينوس العظيم فى التشريح المسمى : (فى علاج التشريح) الذى ترجمه حنين نفسه وترجمه إلى العربية ابن أخته حبيش. ومن المعلوم أن الترجمة العربية جاءت متأخرة عن كتاب العشر مقالات.

.. « والمقالة الثالثة » مطولة جدا وهى تتناول الكلام على العصب

الباصر وروح البصر كيف يكون. وقد اعتمد فيها حنين على كتاب (فى منافع الأعضاء) من الباب الثانى عشر إلى الباب الخامس عشر من المقالة التاسعة والمقالة الثامنة من كتاب فى آراء بقراط وأفلاطون وربما يكون قد اعتمد على أجزاء من كتاب جالينوس المفقود الذى يسمى (فى البرهان) والذى كان قد فُقِد جزء منه فى أيام حنين. وفى هذه المقالة نجد أن حنينا قد شغف بإتباع نظريات جالينوس بقسميها بدقة. وهنا نجد بداية ميل العالم العربى والأوربى فى الأيام المتأخرة إلى اعتناق المذهب المدرسى. على أن نظرية جالينوس فى الضوء تقتفى أثر نظرية أرسطوطاليس فى كتابه المسمى (فى النفس) وهى نظرية توسع حنين فى شرحها ضمن رسالة صغيرة أسماها : (فى الضوء وحقيقته).

.. أما النظريتان التى رفضهما حنين فهما نظرية امبدوقليس الذى ظن أن (شعاعا ذا تماثيل) يترك الجسم ويلتصق بالعين ونظرية «أبقورس أو هيبارخس» الذى يظن أن (الشعاع البصرى) يترك العين ويمتد إلى الأجسام ويلمسها.

.. على أن أرسطو طاليس وجالينوس وحنينا أخذوا بنظرية أفلاطون التى تقول باجتماع الأشعة (اجتماع الضياء الأفلاطونية) أى أن النور المنعكس من الأشياء يقابل شعاع البصر النورى الذى ينبعث من الروح النورى الذى يجرى من المخ فى العصب الباصر والعدسة وإنسان العين (الحدقة) وكان المظنون أن الهواء يتوسط بين الشعاعين.

.. وفى «المقالة الرابعة» خلاصة بارعة من مختلف كتب جالينوس تحتوى بإيجاز على جميع آرائها فى علم ترتيب الأمراض وأسبابها وعلاماتها. والكتب التى استعان بها حنين فى تأليف هذه المقالة هى : (كتاب فى الفرق) و (كتاب فى الصناعة الطبية) و (كتاب فى التجربة الطبية) و (كتاب فى حفظ الصحة) و (كتاب فى اختلاف الأمراض) و (كتاب فى أسباب الأمراض) و (كتاب فى أسباب الأعراض).

.. « والمقالة الخامسة » تتناول الكلام على أسباب أمراض العين. وهى تترسم فى بدايتها خطى جالينوس على نحو ما جاء فى كتابه (أسباب الأعراض) وتحتذى فى النهاية المقالة الثانية من كتاب (آراء بقراط وأفلاطون). وتتضمن شرح الأمراض الافتراضية (أغشية العين الداخلية ورطوباتها يعنى سوائلها) من الوجهة النظرية وهذه النظرية وشكل قصر النظر وطوله تميز الميل المدرسى الذى اتجه فيه الطب منذ أيام جالينوس وبالأخص فى الكتب العربية. وقد ردد هذه الأجزاء النظرية من كتاب حنين بنصها جميع مؤلفى العرب والفارسيين فى الطب وطب العيون ورددها الأتراك فيما بعد.

.. و « المقالة السادسة » هامة بوجه خاص لأنها ليس لها فى كتب جالينوس الموجودة نموذج أفرغت فى قالبه. ويرجع أن حنينا حذا فيها حذو جالينوس فى كتابه المفقود المسمى (فى دلائل علل العيون). وقد ألف جالينوس هذا الكتاب فى شبابه. ولم يصلنا شىء منه حتى وقتنا هذا. ولكن حنينا ذكر فى قائمته التى كتبها سنة ٢٤٠ تحت رقم ٥٤ وأضاف إلى ذلك أن سرجيوس الرأس عينى أحد مترجمى كتب الطب من السوريين فى القرن السادس الميلادى ترجمها إلى السريانية. والظاهر أن حنينا لم يكن لديه متسع من الوقت لترجمتها إلى العربية. ولم تذكر مثل هذه الترجمة فى كتب تواريخ الحياة العربية.

.. وأغلب الظن أنها تتضمن وصفا مقتضبا لأمراض العين مقتفية أثر كتاب (ديموشينس فيلاليثيس) النفيس فى طب العين الذى ألفه ذلك الطبيب اليونانى الأخصائى فى أمراض العيون فى القرن الأول الميلادى. ولا يوجد من هذا الكتاب سوى أجزاء منه فى ترجمة لاتينية وقد اعتمد عليه جالينوس نفسه وجميع الأطباء اليونانيين المتأخرين (ايتيوس وأوريباسيوس وبولس الأجنيطى).

.. أما عن محتويات مقالة حنين السادسة فإنها تبدأ بأعراض امراض

الملتحمة التى يذكر منها سبعة. على أنه قد أطال فى شرح الرمد بوصف أنه أكثر هذه الأمراض شيوعا وأفاض فى ذلك فى بقية الأمراض وتتجلى هنا حقيقة جديدة هى أن العتم الوعائى للقرنية المعروف باسم السبل (بانوس) لم يلاحظه العرب أول الأمر ولكنه كان معروفا لليونان باسم (فيرسوفثالميا) (دوالى القرنية).

.. وقد ذكر حنين من بين أمراض الجفن تسعة ولا غير، بينما ورد فى نبذة اقتبسها الرازى من هذه المقالة السادسة فى كتاب الحاوى ذكر أربعة أمراض أخرى (الانتفاخ والحكّة والسلعة والدمل) على أن الترجمتين اللتين لقسطنطين الأفريقى ودميطريوس تتفقان مع النص وتوردان تسعة أمراض. ويجىء بعد ذلك ثلاثة أمراض تصيب القناة الدمعية وستة تصيب القرنية التى تحتوى قروحها وحدها على سبعة أنواع. وبعد أن تناول حنين انقباض واتساع انسان العين تكلم حنين مع شىء من التطويل على «الكتركت» وتشخيصها. ثم يعقب ذلك شرح الأمراض الخفية للعين بالأخص الاسترخاء وسد العصب البصرى والإصابات التى تلحقه. وأورد فى نهاية المقالة أمراض عضلات العين وشرحا نظريا لسيلان المواد إلى العين.

.. ويقول: «مايرهوف» وتتناول المقالة السابعة الكلام على قوى الأدوية المفردة على نحو ما جاء بالبابين الرابع والخامس من كتاب جالينوس (فى قوى الأدوية المفردة) وهنا يعود حنين فيأخذ بتفسيرات الطبيب اليونانى العظيم - «جالينوس» النظرية بدقة مدرسية وقد اضطرتنى الصعوبة - أى مايرهوف - التى نجمت من سوء جمع وترتيب النص العربى إلى وضع حواش من نص كتاب جالينوس الأصلى باللغة اليونانية.

.. وأثبت حنين فى «المقالة الثامنة» قائمة بأسماء الأدوية المفردة للعين ومزاياها متبعا فى ذلك ما جاء فى الباب الرابع والتاسع وغيرها من أبواب كتاب جالينوس فى قوى الأدوية المفردة. والباب الرابع من كتاب جالينوس

فى تركيب الأدوية بحسب المواضع والأمكنة، وهذه المقالة تلخيص رائع لكتب جالينوس الفخمة.

.. وتحتوى «المقالة التاسعة» على علاج أمراض العين ولكن بدون ترتيب مع الخوض هنا وهناك فى تفسير الأمراض العامة من الوجهة النظرية. وتبدأ بالانتفاخات والأورام (كتاب جالينوس فى الأورام) وعلاجها وإنك لتجد فقرات تتعلق بعلاج الأورام فى هذه الرسالة مطابقة تماما المطابقة لفقرات فى المقالة الثالثة عشر والرابعة عشر من كتاب (حيلة البرء) والمقالة الأولى والثانية من (كتاب إلى أغلوقن) والمقالة الأولى من كتاب (فى أسباب الأعراض) والمقالة الثانية من كتاب (فى تعرف علل الأعضاء الباطنية) والمقالة الرابعة من كتاب (فى تركيب الأدوية بحسب المواضع). ثم يأخذ حنين فى وصف علاج الأمراض المذكورة فى المقالة السادسة بتوسع فى بعضها كما فعل فى علاج قروح القرنية. أما فيما يتعلق بالكتركتا فهناك شرح قصير لعلاجها الطبى. وفى نسخة تيمور باشا وصف منتحل ولكنه جيد لعملية (قدح الماء) أو تأبير الكتركتا أو عملية تنكيس الكتركتا. وهذا الوصف الذى يختلف عن سائر الأوصاف الكثيرة التى توجد فى الكتب العربية القديمة الأخرى المؤلفة فى طب العيون ليست موجودة فى الترجمتين اللاتينيتين ولا هى موجودة كذلك فى النبذة التى اقتبسها الرازى فى كتاب الحاوى.

والظاهر أنه مبتكر وربما كان مقتبسا من مقالة حنين الحادية عشرة المفقودة.

.. ومما لا شك فيه أنها وضعت فى غير محلها فى المقالة التاسعة التى تتناول الكلام عن العلاج الطبى لا العلاج الجراحى لأمراض العين.

.. وتبدأ المقالة العاشرة بالعجالة التاريخية الشيقة عن تكوين الكتاب والتى أوردناها فيما تقدم وهى مهداة إلى (رئيس الأطباء والفلاسفة) المجهول

لنا وربما كان «علىٌّ بن ربن الطبرى» صديق المتوكل الحميم أو طبيبا آخر لم يذكر اسمه فى كتب التاريخ العربية. ثم يتكلم حنين بعد ذلك عن تحضير الشيفات (مراهم العين المركبة) وأورد قائمة بأربعين مركبا من مراهم العين الشيافات تقريبا، وأربعة أكحال نقلها عن جالينوس وأدويباريباسيوس وبولس الاجنيطى. ويقول مايرهوف وقد وفقت إلى تحقيق معظمها والكشف عن جلية الأمر فيها وتصحيح كثير من الأسماء التى نقلت محرفة من الكتب العربية المتأخرة مثال ذلك حُرِّف اسم طبيب العيون الرومانى «ايليوس غالوس» إلى «أساس» وحرف اسم «فافيوس» إلى «قاقياس». وهذه الأسماء يمكن العثور عليها فى فهارس أسماء الأدوية العربية الموضوعة فى القرن الحادى عشر. ويمكن تصحيح أغلاط كثيرة فى الفارما كوبيات المتأخرة بمقارنة النسخ العربية بالأصل اليونانى.

.. ولدى الإمعان فى مجموع هذا الكتاب المبكر فى طب العيون نجد أن حكم بن أبى أصيبعة تتجلى صورته وينهض البرهان على تأييده، فطول المقالات ليس متناسقا وتختلف قيمة مادتها اختلافا عظيما وقد عالج حنين - طبقا لأرائه الفلسفية وتأملاته - التشريح وعلم وظائف الأعضاء وعلم تقسيم الأمراض والفارما كولوجيا فأسهب وأطال بينما الأجزاء المتعلقة بعلم الأعراض والعلاج العملى مقتضبة جدا وفوق ذلك فإنه اتبع الطريقة التى اتبعها اليونان من قبل وأوائل أطباء العرب الذين جاءوا بعده ونعنى بها الكتابة عن المرض الواحد مرات ثلاثا فى الفصول مقالات مختلفة فأولا يتكلم عن تشخيص المرض ثم يتكلم عن أعراضه وأخيرا يتكلم عن علاجه وقد اتبعت الطريقة التى يشرح بها المرض فى الفصل الواحد كما هو الحال فى كتب عصرنا الحاضر منذ القرن الرابع ونعنى بهذه الطريقة وصف تشخيص المرض وأعراضه وعلاجه (إبتداء من على بن عيسى وعمار) ومع ذلك فإن كتاب حنين أسمى بكثير من كتاب أمراض العين المشوش الذى ألفه أستاذه «يوحنا بن ماسوية». وعلى ذلك فإننا نصفه بأنه أقدم كتاب موجود فى طب العيون أُلِّفَ على الطريقة العلمية.

ثم كان هناك طائفة أخرى من المترجمين من أصل صابىء على رأسهم ثابت بن قرة الحرانى[1]. وهو ممن مهّدوا لحساب النهايات والتّفاضل والتكامل، وهو صاحب كتاب الذخيرة فى الطب وهو كتاب يبحث فى علاج الأمراض.

.. وكذا ولداه إبراهيم وسنان وحفيداه «ثابت وإبراهيم» كانوا تراجمة معروفين ينقلون من السورانية إلى العربية.

الترجمة من الفارسية:

.. كان للفرس تأثير ملحوظ فى الكوفة والبصرة، كما كان للحضارة الفارسية تأثيرها الواضح على الحضارة العربية إبان تشكيل الحضارة العربية منذ القرن الأول الهجرى. وذلك لقرب هذه الحضارة من الحضارة العربية[2].

---

(١) ثابت بن قرة الحرانى (٨٢٥ - ٩٠١م) من حران فى العراق صاحب كتاب الذخيرة فى الطب وهو (كتاب مقسم إلى إحدى وثلاثين جزءًا، بحث فيه فى علم الصحة والأمراض الخفية فى الأعضاء المشابهة والأعضاء الآلية، ووصف فيه علاج أمراض الشعر والجلد وقد بدأ بأمراض الرأس ثم الصدر والمعدة والأمعاء ثم أمراض الأطراف. واهتم ببحث أمراض الكبد والطحال وأنواع البرقان والإستسقاء مع الحرارة والبرد وإدرار العرق وحبسه. وأعراض الكلى والمثانة وأنواع النقرس وأوجاع المفاصل وعرق النّساء والجراحات والسموم والحميات والكسور.

(٢) يقول الدكتور محمد مصطفى هدارة فى كتابه المأمون الخليفة العالم ص ٩٦ قام الموالى والرقيق بدور خطير فى تأثر العربية بالفارسية، وقد أدّى ذلك إلى ظهور أسلوب عربى مولد له خصائص ومميزات يفترق بها عن أسلوب اللغة العربية الأصيلة التى جاء بها العرب المهاجرون إلى البلاد المفتوحة. وقد تكون هذا الأسلوب المولد من العوائد اللغوية الراجعة إلى اللهجة الدارجة فى مناطق العربية القديمة كما يقول «يوهان فك» إلا أنه تصور وجود لغة مولدة لا الأسلوب الذى أشرت إليه.

.. ومما ساعد على وجود هذا الأسلوب المولد ظهور شعراء من غير العرب منذ النصف الثانى للقرن الأول الهجرى مثل زياد الأعجم وأبى عطاء السندى. ولا يعنى هذا أن الأسلوب العربى الفصيح قد انتهى أمره وغلبه هذا الأسلوب المولد، ولكن كان لكل منهما تيار يسير فيه.

.. وكان عصر الرشيد نفسه من أزهى العصور بالنسبة لحياة اللغة العربية والتأليف فيها. ويكفى أن نذكر من علماء هذه الفترة الكسائى والأصمعى والفراء وأبا زيد الأنصارى.

.. ولا شك أن « البرامكة » أصحاب الوزارة فى الدولة العباسية لعبوا دورا هاما فى نشر الثقافة الفارسية ويذكر ابن النديم عند حديثه على كتاب « المجسطى » فى الفلك أن أول من أهتم بنقله وترجمته « يحيى بن خالد » البرمكى الذى ندب لترجمته وتفسيره أبا حسان وسلمان صاحبا بيت الحكمة فاتقنا ترجمته وتصحيحه.

.. ولعل أشهر أسماء التراجمة من الفارسية إلى العربية كما ذكر صاحب الفهرست[1]. ابن المقفع، وآل نوبخت، وموسى ويوسف بن خالد، وكانا يخدمان داود بن عبد الله بن حميد بن قحطبة وينقلان له من الفارسية إلى العربية، والتميمى، واسمه على بن زياد، ويكنى أبا الحسن، نقل من الفارسية إلى العربية وإسحق بن يزيد نقل من الفارسى إلى العربى، فمما نقل كتاب سيرة الفرس المعروف « اختيار نامه ».

.. وكما ذكرنا من قبل فإنه يحتمل أن تكون فى مقدمه الترجمات العربية عن الفارسية ترجمة Geoponika بوساطة كتاب ورزنامك الفارسى[2].

.. ويقول ابن النديم[3]. ومن المشهورين بالطب من الفرس ممن وصل إلينا تأليفه ونقل إلى العربى « تيادورس » ونقل له إلى العربية كتاب « كناش » تيادورس.

النقل من الهندية إلى العربية:

.. زادت العلاقات التجارية والثقافية بين المسلمين والهنود خلال العصر الأموى حين فتح المسلمون السند عام ٩١ هـ.. وزادت العلاقات قوة فى عهد العباسيين. وفى عهد المنصور سنة ١٥٤ هـ ٧٧١ م نقل العرب كتاب السدهانتا « السند هند » إلى العربية وألف أبو إسحق إبراهيم

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ٣٤٢.

(٢) تاريخ الأدب العربى بركلمان ص ٩١.

(٣) الفهرست لابن النديم ص ٤٢١ و ص ٤٢٢.

بن حبيب الفزارى كتابا بناه على كتاب السند هند واستخرج فيه زيجا حول فيه سنى الهنود النجومية إلى سنين عربية قمرية وترجم العرب كتاب الأركند وكتاب الأزجبهر» وهما فى علم الفلك أيضا.

.. وقد نقل العرب عن الهنود بعض المصطلحات الرياضية كلفظة الجيب فى حساب المثلثات(١).

---

(١) أخذ العرب عن الهنود نظام الترقيم بدلا من حساب الجمل الذى كانوا يستعملونه، وقد اقتبسوه عن بعض البلاد التى فتحوها وهو كما يقول د. عبد الحليم منتصر فى كتابه محاضرات فى العلوم عند العرب ص ٩٤ ـ ٩٦ (أ ـ ب ـ ج ـ د ـ هـ ـ و ـ زبح ـ ط ـ ى ـ ك ـ ل ـ م ـ ن ـ س ـ ع ـ ف ـ ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ ـ ٦ ـ ٧ ـ ٨ ـ ٩ ـ ١٠ ـ ٢٠ ـ ٣٠ ـ ٤٠ ـ ٥٠ ـ ٦٠ ـ ٧٠ ـ ٨٠ . ض ـ ق ـ ر ـ ش ـ ت ـ ث ـ خ ـ ذ ـ ظ ـ ط ـ غ ـ ٩٠ ـ ١٠٠ ـ ٢٠٠ ـ ٣٠٠ ـ ٥٠٠ ـ ٦٠٠ ـ ٧٠٠ ـ ٨٠٠ ـ ٩٠٠ ـ ١٠٠٠.

بـغ	جـغ	كـغ
٢٠٠٠	٣٠٠٠	٢٠,٠٠٠

.. أما الأرقام الغبارية، التى ما تزال مستعملة فى المغرب والجزائر وتونس والتى انتقلت إلى الأندلس ومن الأندلس إلى أوربا، وهى المعروفة بإسم الحروف العربية.

.. ويرى بعض العلماء أنها مرتبة على أساس الزوايا، فرقم ١ يتضمن زاوية واحدة، ورقم ٢ زاويتين. . وهكذا.

.. والأصل فى تسميتها غبارية أن الهنود كانوا يأخذون غبارا يبسطونه على لوح من الخشب ويرسمون عليه الأرقام التى يحتاجونها فى ـ أعمالهم الحسابية ومعاملاتهم التجارية.

.. كذلك كان الهنود يستعملون «سونيا» أو الفراغ لتدل على الصفة، ثم انتقلت هذه اللفظة الهندية إلى العربية باسم الصفر واستعملها الإفرنج.

.. وتمتاز الأرقام العربية أو الهندية بأنه يمكن تركيب أى عدد منها مهما كان كبيرا، أما الأرقام الرومانية فتحتاج إلى أشكال عديدة، كما أن الأرقام العربية تقوم على النظام العشرى، والقيمة الوضعية بحسب موضعه فى الآحاد والعشرات وكذلك استعمال الصفر ميزة كبيرة.

.. ومن مزايا هذا الترقيم تسهيل جميع أعمال الحساب من جمع وطرح وقسمة بدلا من العمليات الطويلة العويصة التى كانت تحتاج إليها هذه العمليات وكذلك كان لاستخدام الصفر فائدة عظمى.

.. فالعدد «٥» فى خانة الآحاد يدل على خمسة، وإذا وضعنا يمينه صفرا انتقلت منزلته إلى العشرات أصبح خمسين «٥٠» وللصفر ميزات كثيرة فى حل المعادلات الرياضية من مختلف الدرجات.

.. وابتكر العرب علامة الكسر العشرى، وتنسب إلى العالم الرياضى غياث الدين جمشهد الكاشى، وفى كتاب الكاشى الرسالة المحيطية وردت النسبة بين محيط الدائرة وقطرها وهى التى يطلق =

هذا ومن المعلوم أن هناك تعاملا واسعا بين التجار العرب والتجار الهنود وكان العرب يبيعون السلع الهندية بأسمائها الهندية وقد ورد بعضها فى القرآن الكريم مثل « زنجبيل »، « وكافور ».

.. ويقول صاحب الفهرست[1]. أن من أسماء كتب الهند فى الطب الموجودة بلغة العرب كتاب سسرد، عشر مقالات، أمر يحيى بن خالد بتفسيره لمنكه الهندى ويجرى مجرى « الكناش »، وكتاب « استانكر » الجامع تفسير ابن دهن، كتاب « سيرك » فسره عبد الله بن على من الفارسى إلى العربية، لأنه نقل أولاً من الهندى إلى الفارسى.

.. ومن المشهورين من أطباء الهند شاناق وله كتاب السموم خمس مقالات، فسره من الهندى إلى الفارسى منكه الهندى. وقد نقله من

= عليها ط - بالكسر العشرى وقد أعطى قيمة ٢ ط بستة عشرة رقما عشريا كما يلى:

٢ ط = ٦,٢٨٣١٨٥٠٧١٧٩٥٨٦٥

ولم يسبقه أحد فى ايجاد هذه النسبة بهذه الدقة المتناهية ...

كذلك قسم العرب الحساب العملى إلى غبارى يحتاج إلى ورقة وقلم وهو آلى، وهو الحساب الذهنى الذى لا يحتاج استعماله إلى أدوات ولها طرق وقوانين مذكورة فى بعض الكتب الحسابية وهو عظيم النفع للتجار فى الأسفار وأهل السوق من العوام الذين لا يعرفون الكتابة، والخواص إذا لم تتيسر أدوات الكتابة.. وقد وضع العرب مؤلفات كثيرة فى الحساب ترجمت إلى اللغات الأجنبية وكانوا يقسمون الحساب إلى أبواب، منها ما يتعلق بحساب الصحاح ومنها ما يتعلق بحساب الكسور، وثمة فصول للجمع والتضعيف والثانى فى التنصيف والثالث فى التفريق (الطرح) والرابع فى الضرب والخامس فى القسمة والسادس فى التجذير واستخراج الجذور وكان لهم أسلوبهم فى إجراء هذه العمليات ويذكرون لكل منها طرقا عديدة، ومنها ما هو خاص بالمبتدئين مما يصلح للتعلم.

.. وأجادوا فى بحوث النسبة من عددية وهندسية وتأليفية وموضوعاتها التناسب واستخراج المجهول بواسطتها، وكانوا يكثرون من الأمثلة والتمارين فى مؤلفاتهم ويأتون بمسائل عملية تتناول ما يقتضيه العصر ويدور على العملات التجارية والصدقات والغنائم والمواريث والرواتب لقد كانوا يفضلون المسائل العملية التى تتعلق بحاجات العصر ومقتضياته.

.. كذلك عرفوا المتواليات الحسابية والهندسية، ووضعوا قوانين خاصة لجمعها كما أتوا على قواعد لاستخراج الجذور وجمع المربعات المتوالية والمكعبات.

(١) الفهرست لابن النديم ص ٤٢١.

الفارسى إلى العربية ابن حاتم الباجى فسره بأمر يحيى بن خالد البرمكى، ثم نقل للمأمون على يد العباسى بن سعيد الجوهرى مولاه، وكان المتولى قراءته على المأمون.

.. ويقال أن بعض الخلفاء العباسيين استدعوا أطباء هنود لعلاجهم مثلما استدعى هارون الرشيد منكه الهندى لعلاجه من علة شديدة.

.. وهكذا تعرف علماء العرب على طب يونان وفارس والهند من خلال الترجمة واستوعبوا تمامًا طب يونان[1]. ولما استوثق الأطباء العرب من علمهم بالطب اليونانى وأصبحوا يتحدثون بطلاقة عن الطب وعلموا أنهم أدركوا كل ما فى ذلك الطب من أسرار، رأوا أن يؤلفوا كتبًا على غرار المؤلفات اليونانية لا تكون منقولة عنها.

.. وكان أول المؤلفين العرب الذين نهجوا هذا المنهج على بن رين الطبرى[2].

---

(١) الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ص ٢٤. تصدير د. محمد كامل حسين.

(٢) هو أبو الحسن على بن سهل رين الطبرى أحد الأطباء المشهورين فى العصر العباسى كان كتابيًا ثم أسلم وخدم بالطب المتوكل ومن قبله المعتصم العباسى وكان مولده بمدينة مرو من أعمال طبرستان سنة ٧٧٠م. وفى بداية كتابه «فردوس الحكمة» فسر معنى «رين» فقال: «كان أبى من أبناء كتاب مدينة مرو وذوى الأحساب والآداب بها، وكانت له همة فى ارتياد البر وبراعة ونفاذ فى كتب الطب والفلسفة، وكان يقوم الطب على صناعة آبائه، ولم يكن مذهبه التمدح والاكتساب بل التأله والاحتساب فلقب لذلك «بربن» وتفسيره عظيمنا ومصلحنا، وقد انتقل بعد فراغه من التعلم من طبرستان إلى العراق حيث قام، وأخذ يتطبب فيها حتى وفاته حوالى سنة ٨٦١م.

.. وقد ذكر ابن النديم أن من مؤلفاته تحفة الملوك، فردوس الحكمة، كناش الحضرة، كتاب منافع الأدوية والأطعمة والعقاقير كتاب فى الأمثال والأدب على مذهبى الروم والعرب. وأضاف إليها ابن أبى صيبعة كتاب إرفاق الحياة، حفظ الصحة، كتاب فى الرقى، كتاب فى ترتيب الأغذية وكتاب فى الحجامة.

.. وله كتاب لم يلتفت إليه إلا أخيرًا وهو كتاب «الدين والدولة فى إثبات نبوة محمد ﷺ. ويتضمن الكتاب وجوه الخبر وصحيحه، والتوحيد وآيات وبراهين النبوة، وفضائل الخلفاء الراشدين، مع اقتباسات من كتب المزامير لداود، ونبوات أشعياء وهو شع وميخا وحبقوق وصفنيا وزكريا وأرميا وحزقيال ودانيال، وقد ظهر الكتاب أخيرًا فى طبعتين فى بيروت وتونس. حيث نشره وحققه عادل نويهض فى بيروت طبعة دار الآفاق الجديدة اللبنانية، ونشر فى تونس نشر المكتبة العتيقة.

.. وكتب كتابه الذى سماه «فردوس الحكمة»[1]. وهو يدل على ثقة

(١) كتاب فردوس الحكمة لعلى بن ربن الطبرى كما يقول الدكتور فهيم أبادير ص ٣٤، ٣٥ من كتابه تاريخ الطب عند العرب سفر مختصر ولكنه على هيئة الموسوعات لما حواه من البحوث فى الفلسفة وعلم النفس والفلك والظواهر الجوية خلاف أبحاثه فى الطب. وهو مقسم إلى سبعة أنواع، والأنواع تحتوى على ثلاثين مقالة والمقالات تحتوى على ثلثمائة وستين بابًا، ويوجد من فردوس الحكمة نسخة كاملة فى المتحف البريطانى وقد نال هذا المؤلف شهرة عظيمة فى عصره وقد استعان الطبرى فى تأليفه بكتب أبو قراط وأرسطوطاليس وجالينوس ويوحنا ابن ماسوية وحنين بن إسحق.

.. وكما ذكر أن الكتاب يحتوى على سبعة أنواع فالنوع الأول يحوى مواضيع فلسفية والنوع الثانى يحتوى على مقالات فى الحمل وتكوين الجنين وفى وظائف وتركيب بعض الأعضاء المختلفة وكتابات فى علم النفس وعن الحواس والأمزجة وعن بعض العلل العصبية كالكُزاز «وهو تشنج أو رعدة تصيب الإنسان» والخفقان والكابوس وعن الإصابة بالعين وغيرها. النوع الثالث يختص بالغذاء والتغذية، والنوع الرابع يختص بأبحاث فى الأمراض العامة ومقالات فى الفصد والنبض وفحص البول. النوع الخامس فى الطعوم والروائح النوع السادس فى الصيدلة والسموم. النوع السابع فى الطقس والماء وفصول السنة المختلفة وعلاقتها بالصحة وفى الفلك ووصف الكون.

.. ويعتبر براون المستشرق البريطانى أن النوع الرابع الذى يختص بالأمراض العامة هو أنفس ما فى الكتاب ويتكون من أثنى عشر مقالة.

.. فالمقالة الأولى وهى خاصة بدراسة الباتولوجيا العمومية وفيها أبواب فى أعراض وعلامات الأمراض الباطنية وشرح لمبادئ العلاج.

.. المقالة الثانية وهى فى أمراض وإصابات الرأس والدماغ وفى الصرع وأنواع الصداع المختلفة والدوار والغثيان والكابوس الليل والطنين الدوى.

.. والثالثة : وتختص بأمراض العيون والأجفان والأذن والأنف والوجه والفم والأسنان.

.. والرابعة تبحث فى الأمراض العصبية كالتشنج العضلى والكزاز والفالج والارتعاش.

.. والخامسة : خاصة بأمراض الحلق والصدر والحنجرة والربو وعلاجه.

.. والسادسة : عن أمراض المعدة والبطنة.

.. والسابعة : فى أمراض الكبد والاستسقاء.

.. والثامنة : خاصة بأمراض القلب والرئتين والحويصلة المرارية والطحال والبرقان «الماء الأصفر».

.. والتاسعة : فى أمراض الأمعاء كالاستطلاق وأمراض المسالك البولية وأعضاء التناسل.

.. والعاشرة : فى الحميات بأنواعها وذات الجنب والجدرى.

.. والحادية عشر : فى الوركين والنقرس والجذام وداء الفيل والعقد الخنازيرية والحكة والقوباء والصدفة والطاعون والأورام والحروق.

.. والثانية عشر : فى الفصد والحجامة واستعمال الحمامات العلاجية وغيرها.

.. والكتاب كما يظهر يكاد يكون خلوًا من التشريح والجراحة ما عدا أبوابًا بسيطة عن الجروح والرضوض.

المؤلفة بعلمه وكانت هذه الكتب شيئًا جديدًا على الثقافة العلمية والعربية.

.. ومهد عصر الترجمة ثم التأليف إلى العصر الذهبي للطب فى الدولة الإسلامية وكان هذا الكتاب ممهدًا أيضًا لمن جاء بعده واقتفى أثره من أمثال أبى بكر الرازى وعلى بن عباس المجوسى وابن سينا.

.. و «فردوس الحكمة»[1] يعد أقدم كتاب جامع لفنون الطب والصيدلة وصل إلينا من كتب العلماء العرب، قد اعتمد على أهم الكتب الطبية والمعاصرة له، وأورد فى مقاله منه كليات الطب الهندى عند كل من «شركا» Charka وسسرتا Susruta وندانا Nidana واشتانقريردى Ashtangahradaya.

---

(١) طبع الكتاب العالم الهندى الدكتور محمد زبير الصديق سنة ١٩٢٨ وبلغ الكتاب ٦٠٠ صفحة ونيف..

.. وكما يقول الدوميلى فى تاريخ العلم عند العرب ص١٣٤ : ١٣٦ «كان براون يود لو يستطيع نشر نص وترجمة كتاب الحكمة وقد عاق الموت دون ذلك ١٩٢٦ ومن يمن الطالع أن تلميذه محمد زبير الصديق، الذى بدأ معه العمل، حقق جزءًا من تلك الأمنية بنشر النص «فى برلين ١٩٢٨» ونشر مايرهوف بحثًا بعنوان: فردوس الحكمة لعلى الطبرى، من أقدم المختصرات العربية فى الطب. مجلة إيزيس ج ١٦ سنة ١٩٣١ ص٦ - ٥٤.

Max Meyerhof, Ali, At'Tabari's «Pardise of Wisdom, one of the oldest Arobic Compendiums of medicine, Jsis XVI, 1931, p.6-54.

.. وبعد أن فحص مايرهوف المسائل الكثير المتعلقة بحياة على الطبرى وآثاره، ونقد بعض بيانات الصديق ذكر العناوين الكاملة لثلاثمائة وستين بابًا لكتاب الفردوس الحكمة، مع إضافة الملاحظات التكميلية وضم إلى ذلك فهرسين عظيمى الفائدة، أحدهما للأسماء الاصطلاحية: والآخر للعقاقير والأدوية التى ذكرها المؤلف: مع الإشارة إلى الباب الذى يتناوله بالبحث.

.. وهذا الكتاب فى الوقت الحاضر هو الفريد الذى يسمح لغير المتضلعين فى العربية بأخذ فكرة عن ذلك الأثر.

.. وأذكر أيضًا تعليقًا مفيدًا على هذا الأثر لعلى الطبرى. نشر فى المجلة الأسيوية سنة ١٩٣١ ص٢٢٧ - ٣٥٢ بقلم فاديجون وتعليقًا آخر بقلم بويجنس بعنوان على بن ربن الطبرى نشر فى مجلة : Der Islam ج ٢٠ سنة ١٩٣٥ ص١٢٠، حيث ذكر وثيقة تدل على أن الطبرى دخل فى الإسلام وهو ابن سبعين سنة، كما نشر ماكس مايرهوف مرة أخرى دراسة الطبرى فى مجلة الجمعية الشرقية الألمانية ج ١٠ سنة ١٩٣١ ص٣٨ - ٦٩.

المبحث الرابع

العصر الذهبي للطب في الدولة الإسلامية

.. بدأت حركة الترجمة والتأليف تؤتي ثمارها المرجوة في القرن الثالث الهجري «واستوعبت الحضارة العربية الناشئة جميع الحضارات السالفة، وبنهاية هذا القرن أصبحت اللغة العربية هي لغة العلم والمعرفة لقرون طويلة تلت، وعمت النهضة الحضارية العالم الإسلامي بأكمله، وظهر في هذه الحقبة وما تلاها أعظم فلاسفة العرب ومفكريهم وعلمائهم، وبفضل جهودهم ومؤلفاتهم، وصل الطب العربي إلى ذروة عالية، تميزه عما سبقه، حتى أنه ليعد نسيج وحده، ووليد البيئة الجديدة والحضارة الإسلامية التي نشأت وترعرع في أحضانها[1] ولكن التطور الطبي كان محدودًا بالتقاليد التي فرضتها الظروف آنذاك، فلم يكن التشريح مباحًا، وظل علماء التشريح ووظائف الأعضاء جامدين في القالب الذي صبها فيه أبقراط وجالينوس، ولكنه بالرغم من ذلك تقدم الطب في اتجاهات أخرى متعددة وهامة، منها الملاحظة السريرية «الاكلينيكية» الدقيقة للمرض ووصف العلامات المرضية للأمراض، والتدريس إلى جانب أسرة المرضى، وقد ساعد العرب في ذلك كله معرفتهم للكيمياء والنبات، وأصبحت كتبهم مليئة بالمستحضرات والمركبات المعدنية والنباتية والحيوانية والأدوية المفردة والمركبة.

.. وإذا كان الطب في الدولة الإسلامية قد اعتمد في فترة من فتراته على ترجماته وشروحه للتراث الطبي لليونان وفارس والهند فمن الخطأ - كما

---

(١) دورية البحث العلمي والتراث الإسلامي جامعة الملك عبد العزيز - مكة المكرمة العدد الأول عام ١٣٩٨ - بحث صفحات من تراثنا الطبي للدكتور محمد رضا عوضين بكلية الطب جامعة القاهرة.

يقول الدوميلى -[1] «أن نظن أن العرب لم يضيفوا شيئًا جديدًا إلى العلم الذى كانوا أوصياء عليه، بل على النقيض من ذلك وإذا كانت خطوات التنمية والإنضاج التى خطوها فى هذا السبيل كثيرًا ما ضاعت وتفرقت فى الحشد الكبير من الكتب التى تركوها فليست تلك الخطوات أقل أصالة ولا أبعد عن الواقع».

.. وإن ما استحدثه العرب من علاجات مختلفة للأمراض وما استخدموه من أدوات جراحية وما كشفوا عنه من أسباب الأمراض ليدلنا دلالة واضحة على مدى عمق وأصالة الطب فى الدولة الإسلامية.

.. وكان الأطباء فى الدولة الإسلامية من أوائل العلماء الذين عرفوا كيفية تفتيت الحصاة فى المثانة قبل استخراجها، واستخدموا عددا من الآلات الجراحية البسيطة والدقيقة.

والحقيقة أننا نلاحظ أنه منذ منتصف القرن الثالث الهجرى - بدأ التركيز على الأخذ بالأساليب العلمية والاهتمام بالتجريب العلمى وتحضير الأدوية المستعملة فى علاج بعض الأمراض تحضيرًا معمليًا.

.. وقد نشأت مدارس للطب فى العالم الإسلامى كان فيها التدريس على منهجين[2].

.. منهج نظرى فى المدارس الطبية «ومنهج عملى للتدريب والتمرين يجتمع فيه الطلاب حول رئيس الأطباء فيرون كيف يفحص المرضى وما يصف لهم من العلاج. وإذا أجاز الطلاب مدة الدراسة تقدموا للامتحان ثم أقسموا اليمين «عهد أبقراط» ونالوا الشهادة. ثم إذا هم بدأوا ممارسة التطبيب كانوا دائمًا تحت رقابة الدولة.

.. وقد كان فى العصر العباسى عدد كبير من المتطببين «المتمرنين

---

(١) العلم عند العرب الدوميلى ترجمة آبن عمى د. عبد الحليم النجار رحمه الله ص٢٤٣.
(٢) تاريخ العلوم عند العرب عمر فروخ ص٢٧٦.

الذين لا يحملون إجازات، واتفق فى سنة ٣١٩ هـ (٩٣١م) أن أخطأ أحدهم فى معالجة رجل من العامة فمات الرجل فأمر الخليفة المقتدر ألا يتصدى أحدهم لمعالجة الناس إلا إذا أدى امتحانًا، وجعل أمر هذا الامتحان إلى سنان بن ثابت بن قرة فامتحن سنان فى نواحى بغداد وحدها قرابة تسعمائة من المتطببين. أما الذين كانوا ذوى تقدم وشهرة فلم يمتحنهم.

.. ولعل أشهر أطباء المسلمين قاطبة وإمام الطب فى الدولة الإسلامية هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازى الذى يستحق منا أن نقف أمامه وقفة متأنية.

ممثلوا عصر ازدهار الطب
فى الدولة الإسلامية

أولًا: فى المشرق
أبو بكر الرازى

.. أبو بكر محمد بن زكريا الرازى.. واحد من أعظم أطباء القرون الوسطى وهو طبيب المسلمين بلا نزاع.

.. ولد أبو بكر الرازى فى مدينة الرى جنوب طهران حوالى عام ٢٥٠ هـ - ٨٦٤م.. وقد اهتم بدراسة الطب وعلومه ونبغ فى مهنة الطب نبوغًا سريعًا حتى أصبح رئيسًا لمستشفى الرى، ثم قدم إلى بغداد تلبية لدعوة الخليفة المنصور رئيسًا للمستشفى الجديد بها.

.. وقد اختلفت الروايات حول تاريخ وفاته، والمشهور أنه توفى عام ٣٢٠ هـ، ٩٣٢م. إلا أن الصفدى فى «نكت الهميان» يذكر أن الرازى توفى سنة ٣١٠ هـ «٩٢٢م». بينما يذكر القفطى فى «أخبار العلماء بأخبار الحكماء» أن الرازى قد عاش حتى سنة ٣٦٤ هـ ٩٧٤م وأنه اتصل بابن العميد.

.. ولقد ترك الرازى وراءه عشرات الكتب والمؤلفات العلمية وعرف فى أوربا باسم «Rhases» وترجم كتابه الحاوى فى الطب إلى اللاتينية بعنوان Liber Continens كما ترجم له كتاب فى الصحة العامة حيث ظهرت ترجمته اللاتينية بعنوان «Mis Cellanea».

.. وقد اهتم أبو الريحان البيرونى «٣٦٢ هـ - ٩٧٣م» «٤٤٣

هـ - ١٠٥ م» بحصر أعمال الرازى وكتب رسالة فيها أسماء أكثر من مائة وثمانين مؤلفًا علميًا.

.. وقد اعتنى بالرسالة المستشرق روسكا(١).

.. ولقد نشر فهرست كتب محمد بن زكريا الرازى بول كراوس(٢).

هذا وقد ترجمت أكثر كتب الرازى إلى اللغة اللاتينية(٣). وطبعت عدة

---

(١) يقول الدكتور عبد الرحمن بدوى فى بحث بدورية عالم الفكر الكويتية عن «أبحاث المستشرقين فى تاريخ العلوم عن العرب» المجلد التاسع العدد الأول ١٩٧٨ - اهتم يوليوس روسكا بمؤلفات الرازى اهتمامًا كبيرًا. وترجم له كتاب «سر الأسرار» مع مقدمة وشرح وكتب عدة مقالات عن كيمياء الرازى، نذكر منها:

١ - «الرازى رائدًا لكيمياء جديدة» فى مجلة DLZ سنة ١٩٢٣، عمود ١١٧ - ١٢٤.

٢ - «حول الوضع الراهن للبحث فى الرازى» فى مجلة: Archivio Di Storia della Scienza, 5-1924-p. 335'437.

٣ - الكيمياء فى العراق وفارس فى القرن العاشر الميلادى، فى مجلة Der Islam سنة ١٩٢٨ ص ٢٨٠ - ٢٩٣.

٤ - كيمياء الرازى فى مجلة Der Islam سنة ١٩٣٥ ص ٢٨١ - ٣١٩.

٥ - «الكتاب الرئيسى للرازى فى الكيمياء»، نشر فى: Die umschau in Wissen Schaft und Technik سنة ١٩٣٧ ص ٨٥٢ - ٨٥٣.

٦ - «المؤلفات المنحولة المنسوبة إلى الرازى» فى مجلة Osiris سنة ١٩٣٩ ص ٣١، إلى ٩٤.

.. كما نشر المستشرق الروسى U. I. Karimov كتاب «سر الأسرار» للرازى وترجمه إلى اللغة الروسية فى طشقند سنة ١٩٥٧ م.

(٢) نشره عن مخطوط فى ليدن برقم ١٣٣ ورقة ١٧ - ٢٤ «فى باريس سنة ١٩٣٦، وترجم روسكا هذا الفهرست إلى الألمانية فى مجلة إيزيس Isis سنة ١٩٢٣ ص ٢٦ - ٥٠.

.. ومن أهم ما كتب عن حياة الرازى ومؤلفاته كما يذكر الدكتور عبد الرحمن بدوى فى بحثه السابق ص ١٩ رانكنج G. S. A. Ranking فى بحث ألقاه فى المؤتمر الدولى للطب، القسم الخامس بتاريخ الطب» لندن سنة ١٩١٣ ص ٢٣٧ - ٣٦٨.

ف. برونر: «طب العيون عند الرازى» رسالة دكتوراه، برلين ١٩٠٠.

W. Browrer: Dir Awgenheikunde des Rhases: Berlin 1900.

تمكين O. Temkin: «نصوص ووثائق: ترجمة من العصر الوسيط لملاحظات الرازى الإكلينيكية» مقال فى:

Bull. of the history of medicine, 1942pp. 102'117.

(٣) حضارة العرب جوستاف لوبون ص ٥٨٩.

مرات، ولاسيما فى البندقية سنة ١٥٠٨ وفى باريس سنة ١٥٢٨ م وسنة ١٧٤٥ م. وأعيد طبع كتابه فى الجدرى والحصبة سنة ١٧٤٥، وظل مرجعًا فى جامعة لوفان حتى فى القرن السابع عشر من الميلاد، كما ثبت ذلك من برنامجها لسنة ١٦١٧، وظهر من هذا البرنامج، أن مؤلفات علماء اليونان الطبية لم تنل من الحظوة إلا قليلاً، فقد اقتصر أمرها على بعض جوامع الكلم لبقراط وبعض الخلاصات لجالينوس[١].

.. وكان كتاب الرازى فى أمراض الأطفال أول كتاب بحث فى هذا الموضوع.

.. وتقول المستشرقة الألمانية زيغرد هونكة:

«الرازى هو أحد أعظم أطباء الإنسانية إطلاقًا.. وقبل ستمائة عام كان لكلية الطب بباريس أصغر مكتبة فى العالم، لا تحتوى إلا على مؤلَّفٍ واحد هو كتاب «الحاوى» فى الطب للرازى.

.. وكان هذا الأثر العظيم ذا قيمة كبيرة، بدليل أن ملك المسيحية الشهير لويس الحادى عشر، إضطر إلى دفع اثنى عشر ماركًا من الفضة ومئة تالر «Taler» من الذهب الخالص لقاء استعارته هذا الكنز الغالى، رغبة منه فى أن ينسخ له أطباؤه نسخة، يرجعون إليها إذا ما هدد مرض أو داء صحته وصحة عائلته.

.. وكان هذا الأثر العلمى الضخم يضم كل المعارف الطبية منذ أيام الإغريق حتى عام ٩٢٥ بعد الميلاد. وظل المرجع الأساسى فى أوربا لمدة تزيد على الأربعمائة عام بعد ذلك التاريخ، دون أن يزاحمه مزاحم أو تؤثر فيه أو فى مكانته مخطوطة من المخطوطات الهزيلة التى دأب على صياغتها كهنة الأديرة قاطبة، وهو العمل الجبار الذى خطته يد عربى قدير.

---

(١) شمس العرب تسطع على الغرب لهونكه ص ٢٤٣.

.. ولقد اعترف الباريسيون بقيمة هذا الكنز العظيم وبفضل صاحبه عليهم وعلى الطب إجماليًا. فأقاموا له نصبًا فى وسط القاعة الكبيرة فى مدرسة الطب لديهم وعلقوا صورته وصورة عربى آخر هو «ابن سينا» فى قاعة أخرى كبيرة تقع فى شارع سان جيرمان، حتى إذا ما تجمع فيه طلاب الطب وقعت أبصارهم عليها ورجعوا بذاكرتهم للوراء يسترجعون تاريخها».

.. وتقول هونكة[1] :

«لقد امتاز الرازى بمعارف طبية واسعة شاملة لم يعرفها أحد قط منذ أيام جالينوس، وكان فى سعى دائم وراء المعرفة عابا منها كل ما يمكن عبه باحثًا عنها فى صفحات الكتب وعلى أسرة المرضى وفى التجارب الكيمائية، قاطعًا الآفاق من أجلها، وكان يزرع فى نفوس تلاميذه الفضيلة وحسن الأخلاق مؤكدًا لهم قدسية مهنة الطب، محاربًا، قولاً وعملاً، كل أنواع الشعوذة فى أى مكان كانت وفى أية صورة ظهرت. وكان يهتم بعلاج الفقراء ويهبهم بعد العلاج مالاً فى الوقت الذى كان يعيش فيه شخصيًا فى تواضع وبساطة لا مثيل لها.

.. وإلى جانب حبه الشديد للطب فقد كان محبًا للحكمة والفلسفة ويدافع عن أحقيته فى إطلاق اسم الحكيم أو الفيلسوف يقول فى «كتاب السيرة الفلسفية»[2].

.. أما فى باب العلم فلو قيل أنه لو لم تكن عندنا منه إلا القوة على تأليف مثل هذا الكتاب لكان ذلك مانعًا عن أن يمحى عنا اسم الفلسفة[3]. فضلاً عن مثل كتابنا «فى البرهان» و «فى العلم الإلهى»

---

(١) المرجع السابق ص ٢٤٦.

(٢) رسائل فلسفية للرازى، جمع وتصحيح بول كراوس، طبعة جامعة فؤاد الأول سنة ١٩٣٩ ص ١٠٨ إلى ص ١١٠.

(٣) أقام الرازى مذهبه الفلسفى على خمسة مبادئ هى الله والنفس والهيولى والمكان والزمان.. =

و « فى الطب الروحانى ».

وكتابنا « فى المدخل إلى العلم الطبيعى الموسوم « بسمع الكيان »، ومقالتنا « فى الزمان والمكان والمدة والدهر والخلاء » و « فى شكل العالم » وو « سبب قيام الأرض فى وسط الفلك ». و « سبب تحرك الفلك فى استدارة » . . . .

. . وكتبنا فى الطب ككتاب « المنصورى » وكتابنا « إلى من لا يحضره الطبيب » وكتابنا « فى الأدوية الموجودة » والموسوم « بالطب الملوكى » والكتاب

= يقول الأستاذ سعد عبد العزيز فى كتابه فلاسفة الإسلام ص ٥٦ وص ٥٧ « فى نظر الرازى أن هذه الأمور لابد منها لوجود هذا العالم.. فعنده أن الأحاسيس الجزئية تدل على « الهيولى » وإن تواجد أحاسيس مختلفة، يستلزم وجود « المكان »، وإن إدراك الحالات المتغيرة التى تطرأ على « المادة » يؤدى إلى القول بالزمان وأن إدراك وجود الأحياء، يدلنا على وجود « النفس » و « العقل » وواضح أن « العقل » يجعل الإنسان قادرًا على التخيل والتصور، وإتقان الصنعة، وذلك كله، يدل على وجود « خالق أحسن كل شىء خلقه.

.. كذلك نرى « الرازى » يسرد علينا قصة الخلق على النحو التالى : فعنده أنه كان فى البدء « نور روحانى خالص »، وهو روحانية بسيطة : وهو يسمى هذا « الأصل النورانى » الذى تفيض منه « النفس » التى لا تعدو أن تكون « جواهر نشأت منه النفوس، بالنور الفائض من الذات الإلهية... ثم جاء بعد ذلك « ظل » خلقت منه نفوس الحيوان، وذلك لكى تكون خادمة « للنفس الناطقة »... وإن « النفس » وهى النور الروحى البسيط قد حلت بذلك « المركب » الموجود وهو « الجسم » الذى يتألف من عناصر أربعة وهى : الحار والبارد واليابس والرطب.. ويرى فيلسوفنا أن الأجسام العلوية والسفلية كلها مؤلفة من هذه العناصر الأربعة، بل إن الأجرام السماوية مكونة من صميم العناصر التى تتكون منها الأجسام الأرضية، وهى تمتاز بكيفيات أرضية من خفة وثقل واستنارة وظلمة ولين وصلابة وفى رأيه أن العنصرين الكثيفين هما الماء والأرض وهما يتحركان إلى أسفل نحو مركز الأرض على حين أن الجسمين المتخلخلين وهما الهواء، والنار يتحركان إلى أعلى.... كذلك ينظر « الرازى » إلى « النفس » على أنها صنفان : صنف يبلغ العالم العلوى، وذلك عن طريق العلم والفلسفة.. فإن غاية الفلسفة عنده تتمثل فى أن يتشبه الإنسان بالله، حتى يمكنه أن يكتشف علله الحقيق... فينجو من كل ألم ويصفو من كل ضيق وكدر... أما الصنف الآخر.. فيتمثل فى تلك النفوس التى تبقى فى هذا « العالم السفلى » حتى يتسنى لها اكتشاف « السر » الذى يفتح أبواب « العالم العلوى ».. هذا السر إنما يكمن فى ثنايا « الفلسفة والعلم ».. فمن أراد الخلاص من الحضيض الذى يعيش فيه، فعليه أن يسعى إلى تنوير عقله وقلبه عليه أن يكون شغوفًا بالمعرفة.. فبذلك يرتفع عن الدرك الأسفل ويصعد إلى أعلى عليين.

الموسوم « بالجامع » الذى لم يسبقنى إليه أحد من أهل المملكة ولا احتذى فيه أحد بعد احتذائى وحذوى.

.. وكتبنا فى صناعة الحكمة التى هى عند العام الكيمياء..

.. وبالجملة فقرابة مائتى كتاب ومقالة ورسالة خرجت عنى - إلى وقت عمل هذه المقالة - فى فنون الفلسفة من العلم الطبيعى والإلهى..... فإن لم يكن مبلغى من العلم المبلغ الذى استحق أن أسمى فيلسوفًا فمن هو ليت شعرى ذلك فى دهرنا هذا».

وفى كتاب الطب الروحانى للرازى قدم من خلاله محاولة لإصلاح الأخلاق على أسس تربوية ونفسية وبعض أفكاره الفلسفية وقد هوجم الرازى هجومًا عنيفًا من بعض الإسماعيلية المتعصبين الذين اتهموه بالإلحاد وبخاصة أبى حاتم الرازى[١] فى كتابه أعلام النبوة وتلميذه حميد الدين الكرمانى[٢] الذى وضع كتابه الأقوال الذهبية للرد على الطب الروحانى للرازى واتهمه بإنكار النبوة.

أما كتاب « أعلام النبوة لأبى حاتم الرازى فهو من الكتب التى تحويها خزائن الطائفة الإسماعيلية البهروية فى الهند وهو عبارة عن مناظرة دارت بينه وبين أبى بكر الرازى يتهم فيها « أبو بكر الرازى فى كتابه الطب الروحانى بإنكار النبوة والأنبياء. رغم أن كتاب الطب الروحانى، يكذب ادعاءات الإسماعيلية. فليس فيه أى إنكار للنبوة والأنبياء وليس فى كتب الرازى الأخرى أى إنكار للنبوة والأنبياء كما يدعى الإسماعيلية. بل على

---

(١) أبو حاتم الرازى أحد كبار الدعاة الإسماعيلية للمذهب الفاطمى وقد أدى دورًا خطيرًا فى محاولة نشر مبادىء الإسماعيلية فى طبرستان وأذربيجان وأصفهان والرى.

(٢) حميد الدين أحمد بن عبد الله الكرمانى هو كبير دعاة الإسماعيلية بالعراق وفارس أيام الحاكم بأمر الله وهو حجة من حجج الإسماعيلية الكبار وله مؤلفات عدة فى الدعوة للإسماعيلية من أهمها « الأقوال الذهبية » و « راحة العقل ». وقد وفد إلى مصر عام ٤٠٨ هـ وعُيِّن رئيسا لدار الحكمة بالقاهرة وتوفى عام ٤١١ هـ.

العكس كما يقول الدكتور عبد اللطيف العبد[١]: «إن الرازى يوجب احترام تعاليم الدين، ويحث الإنسان على التمسك بها، لينعم فى الآخرة بالجنة، ويفوز برضوان الله تعالى. كما أوجب احترام الأنبياء فى أشخاصهم الكريمة وسيرتهم العطرة».

..وقد وصف الرازى دائمًا أنه[٢]. «كان ذكيًا فطنًا مجتهدًا هادئًا رزينًا يحب الرحمة والعدل، والنصح والعفة، والإقلال من مماحكة الناس ومجاذبتهم، وكذلك كان برًا حنونًا يعطف على الطلاب والمرضى والفقراء».

..ولقد عرف الخليفة العباسى عضد الدولة مقامه وذكاءه[٣]. «ورأى أن يستغل مواهبه ونبوغه، فاستشاره عند بناء البيمارستان العضدى، فى بغداد فى الموضع الذى يجب أن يبنى فيه، وقد اتبع الرازى فى تعيين المكان طريقة مبتكرة يتحدث بها الأطباء وهى محل إعجابهم وتقديرهم. فوضع قطعًا من اللحم فى أنحاء مختلفة من بغداد ولاحظ بسرعة سير التعفن، وبذلك تحقق من المكان الصحى المناسب لبناء المستشفى. وأراد عضد الدولة أن يكون فى مستشفاه جماعة من أفاضل الأطباء وأعوانهم، فأمر أن يحضروا له قائمة بأسماء الأطباء المشهورين، فكانوا يزيدون على المئة، فاختار منهم خمسين بحسب ما وصل إلى علمه من مهارتهم وبراعتهم فى صناعة الطب، فكان الرازى منهم. ثم إنه اقتصر من هؤلاء أيضًا على عشرة كان الرازى بينهم وتبين له أن الرازى أفضلهم، فجعله رئيسًا للبيمارستان العضدى».

.. واتصف الرازى بالأمانة العلمية فما يلخص نصًا أو ينقله إلا نسبه دائمًا لصاحبه. فمثلاً فى كتابه «الحاوى» فى الطب يقول «قال جالينوس سقط رجل عن دابة فصك صلبه الأرض، فلما كان اليوم

---

(١) فى مقدمة تحقيقه لكتاب الطب الروحانى ص ١٣.

(٢) مقدمة تحقيق الطب الروحانى لمحققه د. عبد اللطيف العبد ص ٩.

(٣) العلوم عند العرب للأستاذ قدرى حافظ طوقان ص ١٢٦.

الثالث ضعف صوته وفى اليوم الرابع انقطع البتة واسترخت رجلاه ولم تنل يديه آفة لأن عصبها يجيئها من نخاع العنق»[١].

.. ثم يقول فى صفحة أخرى من نفس المصدر[٢]. إن من عرف منابت العصب الجائى إلى عضو من الأعضاء سهل علاجه».

.. وذلك قول جالينوس «افصد» أبدا عند بطلان جس عضو أو حركة إلى أصل العصب الجائى إليها»[٣].

.. وكان ملمًا بعلوم عصره، واسع الإطلاع والثقافة، لم يدخل عليه أحد إلا وجده قارئًا أو كاتبًا.. وكان يرى أن صناعة الطب تحتاج إلى الإطلاع المستمر والإقتداء بعلم العلماء السابقين وكان يقول:

«من قرأ كتب بقراط ولم يخدم، أفضل ممن خدم ولم يقرأ كتب بقراط»[٤].

.. وكان فاهمًا لطب الفاضلين ابقراط وجالينوس فهمًا عميقًا مطلعًا على طبهم ببصيرة العالم الخبير النافذ.

.. وأحيانًا ما كان يخالفهما فى آرائهما فيما خالف فيه ابقراط وجالينوس قوله: جاء فى فصول بقراط: إذا عرض للمستسق سعال بلا سبب موجب للسعال، كالنزل وغيره، ولكن من نفس علته لغلبة الماء وكثرته، فإنه هالك وذلك أنه يدل على أن الماء قد بلغ إلى قصب الرئة، وأشرف على الاختناق».

.. ويذكر الرازى صراحة هنا أن رأى بقرط خطأ فيقول: «هذا قول سمج. وذلك أن الماء تحت الحجاب، فكيف يبلغ قصبة الرئة؟ ولكن

---

(١) الحاوى: للرازى جـ ١ ص ٥.

(٢) المرجع السابق ص ٨.

(٣) السابق ص ٣.

(٤) مجلة المشرق عدد ٥٤ ص ٦١٣.

الأولى فى ذلك أن كثرة الماء لما يزحم الحجاب جدًا، فيضيق لذلك النفس ويهيج السعال[1].

.. وهم خالف فيه بقراط قوله : «جملة، البول فى الشتاء زيادة كثيرة، والرسوب فيه يكون أكثر، لأن النضج فيه أكثر وأجود.

.. أما الرازى فيقول فى ذلك «أما كثرة كميته عندى فلقلة العرق، وأما الرسوب فكما ذكر[2].

.. ولقد رفع أبو بكر الرازى من شأن العقل واعتبره من أعظم نعم الله تعالى على الإنسان فقال فى كتابه الطب الروحانى[3] «إن البارئ عز وجل إنما أعطانا العقل وحياتنا به لِنَنالَ، ونبلغ به المنافع العاجلة والآجلة غاية ما فى جوهر مثلنا، أن يناله ويبلغه.

.. وإنه أعظم نعم الله عندنا وأنفع الأشياء لنا وأجداها علينا نفعًا. فبالعقل فضلنا على الحيوان غير الناطق حتى سسناها وذللناها وملكناها وصرفناها فى الوجوه العائدة منافعها علينا وعليها.

.. وبالعقل أدركنا ما يرفعنا ويحسن ويطيب به عيشنا ونصل إلى بغيتنا ومرادنا وإنا بالعقل أدركنا صناعة السفن واستعملناها متى وصلنا بها إلى ما قطع وحال البحر ودوننا ودونها «وبه نلنا الطب» الذى فيه الكثير من المصالح لأجسادنا وسائر الصناعات العائدة علينا النافعة لنا. وبه أدركنا الأمور الغامضة البعيدة منا الخفية المستورة عنا وبه عرفنا شكل الأرض والفلك وعظمة الشمس والقمر وسائر الكواكب وأبعادها وحركاتها. وبه وصلنا إلى معرفة البارئ جل وعز الذى هو أعظم ما استدركنا وأنفع ما أحببنا.

---

(١) مجلة المشرق عدد ٥٤ ص ٦١٣.
(٢) مجلة المشرق عدد ٥٦ ص ٢٣٠.
(٣) الطب الروحانى لأبى بكر الرازى ص ٣٥ تحقيق د. عبد اللطيف العبد.

.. وفى الجملة فإنه الشيء الذى لولاه كانت حالنا حال البهائم والأطفال والمجانين وبه نتصور أفعالنا العقلية قبل ظهورها للحس فنراها كأن قد أحسسنا ما ثم نتمثل بأفعالنا الحسية صورتها فتظهر مطابقة لما تمثلناه.

.. فإذا كان هذا مقداره وخطره وجلالته فحقيق علينا ألا نحطه عن مرتبته ولا ننزله عن درجته ولا نجعله وهو الحاكم محكومًا عليه ولا وهو الزمام مزمومًا ولا وهو المتبوع تابعًا.

.. بل نرجع فى الأمور إليه ونعتمد فيها عليه فنمضيها على إمضائه ونوقفها على إيقافه ولا نسلط الهوى الذى هو آفته ومكدره والحائد به عن سننه ومحجته وقصده واستقامته والمانع من أن يصيب به العاقل رشده وما فيه صلاح عواقبه فى أموره بل نروضه ونذلله ونحمله ونجبره على الوقوف عند أمره ونهيه فإنا إذا فعلنا ذلك صفى لنا غاية صفائه وأضىء لنا غاية إضاءته وبلغ بنا نهاية ما قصد بلوغنا به وكنا سعداء بما وهب الله لنا من ومنَّ به علينا!!.

.. وإننا نجد فى الطب فى الدولة الإسلامية مدرستين بارزتين: الأطباء الفلاسفة والفلاسفة الأطباء.

.. الأطباء الفلاسفة ويمثلهم أبو بكر الرازى، والفلاسفة الأطباء ويمثلهم ابن سينا..

.. وكما يقول جورج سارتون: «وهما يمثلان مذهبين مختلفين، ففريق المدرسيين «ابن سينا» درسوا الطب على أنه جزء من المعرفة لا غنى عنه، أما فريق الممارسين «الرازى» فهم يهتمون فى المقام الأول بالمرض والتشخيص والعلاج، الفلسفة لديهم مجرد وسيلة للوصول للغاية وأسلوب الفريقين يختلف: المدرسيون يعنون بالتنظيم والتقسيم المنطق والممارسون يعنون بالمشاهدات والدلالات»[1].

---

(١) سارتون: .. مقدمة تاريخ العلم: المجلد الأول ص ٥٨٧.

الرازى.. كأستاذ ومعلم للطب:

يعد أبو بكر الرازى من معلمى الطب المتميزين فكان من أقدر الأساتذة على الشرح والتبسيط والنصح والإفادة فهو مثلاً كان ينصح المهتمين بالطب ودراسته إلى طريقة دراسة المرض وذلك بطلب تعريفه أولاً ثم معرفة العلة والسبب وهل ينقسم بسببه أو نوعه أم لا.. يقول الرازى «لطالب الطب: أطلب فى كل مرض هذه الرءوس[1]:

المسمى التعريف أولاً،

.. ومثاله أن نقول: إن مرض «ذات الجنب» هو اجتماع - حُمى حادة مع وخز فى الأضلاع، وضيق النفس، وصلابة فى النبض، وسعلة يابسة منذ أول الأمر.

.. ثم اطلب العلة والسبب.

.. ومثال ذلك: أن تعلم أن سبب ذات الجنب ورم حار فى ناحية الغشاء المستبطن للأضلاع.

.. ثم اطلب: هل ينقسم لسببه أو نوعه أم لا.

.. مثال ذلك: تنقسم ذات الجنب إلى الخالصة، وغير الخالصة...

.. ثم اطلب تفصيل كل قسم من الآخر.

.. ثم العلاج...

---

(١) رسائل فلسفية لأبى بكر الرازى مع قطع من كتبه المفقودة، الجزء الأول، مطبوعات جامعة فؤاد الأول سنة ١٩٣٩ ص ١١٣ : ص ١١٥ - نشر بول كراوس. ومحنة الطبيب ص ٤٧١.

ونلاحظ فى هذا النص مدى تأثر الرازى بمعظم منطق أرسطو حيث بدأ بحدّ التعريف وطلبه بعد التعريف بالعلة الانقسام لأجل السبب أو النوع.. أما بالنسبة لحديثه عن الاستعداد والاحتراس والإنذار والعلاج فقد أخذه من جالينوس.

.. ثم الاستعداد، ثم الاحتراس، ثم الإنذار.

.. وكان يهم بنصح طلبة الطب بضرورة الإطلاع وجمع كتب الطب والتدوين فيقول: «إن كنت مَعْنَيًا بالصناعة «أى صناعة الطب، وأحببت أن لا يفوتك ولا يشذ عليك منها شيء.. فأكثر جمع كتب الطب جهدك، ثم اعمل لنفسك كتابًا تذكر فيه فى كل علة، ما قصر الكتاب الآخر وأغفله فى كل نوع من العلل وحفظ الصحة الرتبة، من تعريف أو سبب أو تقسيم أو علامة أو علاج أو استعداد أو إنذار أو احتراس. فيكون ذلك كنزًا عظيمًا، وخزانة عامرة»[1].

..ولعل ذلك هو سر اهتمام الرازى بتفسير كتب الطب وشرحها والتعليق عليها فيقول[2]: «دعانى ما وجدت عليه فصول أبقراط من الاختلاط وعدم النظام والغموض، والتقصير عن ذكر مجوامع الصناعة كلها أو كلها وما أعلمه من سهولة حفظ الفصول وعَلَقِها بالنفوس، إلى أن أذكر جوامع الصناعة الطبية وجعلها عن طريق الفصول.. ليكون مدخلاً إلى الصناعة وطريقًا للمتعلمين».

الرازى طبيبًا حاذقًا:

..الرازى.. وطريقته فى التشخيص المقارن..[3]

التشخيص المقارن نوعان:

النوع الأول: يتناول فيه الطبيب علامة من العلامات المرضية وبعد ذلك يدرس أسبابها مع التمييز بين الأسباب المتعددة للمرض الواحد وذلك عن طريق التقسيم الذى يفيد الطبيب المهارس على وجه الخصوص ومثال

---

(١) مجلة المشرق ص ١٢٤ - ١٢٥.

(٢) الفصول: ص ١١٧.

(٣) الحاوى جـ٦ ص ٨٢.

ذلك ما يذكره الرازى فى احتباس البول وتقسيمه إياه التقسيم الواعى الوافى التام فيقول :

١ - البول يحتبس إما لأن الكلى لا تجتذبه، وعلامته أن يكون البول محتبسًا وليس فى الظهر وجع ثقيل، ولا فى الخاصرة والحالب، ولا فى المثانة متكورة، ولا فى عنق المثانة ضرب من ضروب السدة على ما تستبين. وأن يكون مع ذلك البطن لينًا، وقد حدث فى البدن ترهل واستسقاء وكثرة عرق.

.. وأما الذى يكون من الكى، فيكون محتبسًا بتة وفيها المرض : وذلك إما لورم، أو حجر، أو علق دم، أو مدة. ويعمه كله أن يكون الوجع فى القَطَن : «أى فى أسفل الظهر» مع فراغ المثانة.

إلا أنه إن كان حصاة ظهرت دلائل الحصاة قبل ذلك.
وإن كان ورمًا حارًا كان الوجع أشد.
وإن كانت أوجاع الكلى، فإنما هى ثقل فقط.

وإن كان ورمًا صلبًا، لم يحتبس البول ضربه، لكن قليلاً قليلاً، وكان يشعر بثقل فقط.

وإن كان علق دم ومدة فيتقدمه قرحة.

وإن كان احتباسه من أجل مجارى البول من الكى، فتكون المثانة فارغة والوجع فى الحالب حيث هذا المجرى، مع نخس ووخز، فإن وجع المجرى ناخس لا ثقيل. وعند ذلك استعمل سائر الدلائل فى الكلى :

.. وإن كان من قبل المثانة، فإما أن يكون لضعفها عن دفع البول، فعند ذلك فاغمز عليه، فإنه يدر البول، والمثانة متكورة، فإن لم يدر فالآفة فى رقبة المثانة. وحينئذ استعمل الدلائل المذكورة.

.. وإن كان لورم حار فى هذه المواضع، تبع ورم المثانة حمى موصوفة وورم الكلى حمى موصوفة.

.. وقد ينضم مجرى رقبة المثانة من انضمام يقع له ويكون من البرد واليبس، ومن ثؤلول يخرج فيه، ويكون قليلاً قليلاً. وقد تفسد هذه المجارى بخلط غليظ.[1]

.. وعن الورم فى الكبد يقول: «تفقد فى علل الكبد حال البول فمتى رأيته قد احتبس أصلاً فاعلم أن الورم بالكبد عظيم جدًا»[2].

والنوع الثانى: أن يتناول أمراضًا متقاربة التشابه ويقارن بين علامات كل منها مقارنة دقيقة تفيد الطبيب الممارس عند التشخيص الدقيق مثل معرفة العلامات التى تفرق وتميز بين القولنج وحصاة الكلى وإيلاوس فيقول الرازى «يفصل القولنج من وجع الكلى بأنه مع القولنج مغصًا، وانتفاخ المَرَاقّ: (مراق البطن أى: مارَقّ منه ولآن فى أسفله ونحوها) وفساد الهضم، والتخم قبل ذلك، واستعمال الطعام الغليظ البارد المنفخ. وأن يكون صاحبه مليئًا من ذلك.

.. والوجع فى قدام، وينتقل ويتحرك. وجع القولنج يأخذ مكانًا أكبر، ووجع الكلى يحتبس معه البول.

أما المرض الذى يسمى فى الطب القديم «إيلاوس» فيكون:

.. إما من ورم حار فى الأمعاء الدقاق، ويكون مع هذا حمى، وعطش والتهاب، وحمرة اللون.

.. وإما سدة تحدث من ثقل صلب، ويعرض معه تمدد مؤلم وانتفاخ وغثيان وإما من ضعف القوة الدافعة. ويتقدمه عدم الغذاء أو شرب الماء... ويعم هذين الوجعين احتباس البطن فى الابتداء والوجع الشديد..

---

(١) المشرق ٥٦، ص ٢٤٦ - ٢٤٧، والثؤلول: بثر صغير صلب مستدير، يظهر على الجلد كالحِمّصة أو دونها «المعجم الوسيط جـ١ ص ٩٣».

(٢) الحاوى للرازى جـ٦ ص ٨٣.

.. والذى لا نشك فيه قط أن الرازى كان صاحب مقدرة عظيمة كطبيب ممارس واكلينيكس قدير.. نتيجة لتجاربه فى الممارسة والمقارنة الدقيقة ثم الاستنتاج الصحيح لحقيقة المرض وكيفية العلاج.

أهم مجهودات الرازى الطبية والعلمية

اهتمام الرازى الكبير بالملاحظات السريرية :

.. اهتم الرازى اهتمامًا بالغًا بتدوين الملاحظات السريرية الخاصة بمرضاه فاهتم بمعرفة سير المرض ودراسة أحوال مريضه فى نومه وحياته وصحيانه ومزاجه وعمره وصناعته والأمراض الوراثية فى عائلته وأحوال أسرته الاجتماعية والاقتصادية وعادات المريض فى التغذية وأنواع الأطعمة التى يتناولها باستمرار وكان يقول : « استخرج سبب الوجع من التدبير والسن والزمان والمزاج »[1].

.. ويقول الرازى : « من أبلغ الأشياء فيما يحتاج إليه فى علاج الأمراض بعد المعرفة الكاملة للصناعة، حسن مساءلة العليل وأبلغ من ذلك لزوم الطبيب العليل وملاحظة أحواله »[2].

.. وإلى جانب اهتمامه برعاية المريض ومحاولة علاجه وبرئه ووصف العلاج له كان يهتم برفع قوة العليل من أجل رفع مقاومة الجسم للمرض ولهذا كان يقول : « القوة للعليل كالزاد للمسافر والمرض كالطريق ولذلك ينبغى أن يعنى الطبيب كل العناية ألا تسقط القوة قبل المنتهى »[3].

.. كما كان يهتم بتاريخ المرض ومعرفة تاريخ بداية المرض وزيادته

---

(١) الحاوى للرازى جـ٣ ص ٢٧٩.
(٢) المرشد للرازى ص ١٢١.
(٣) المرشد للرازى ص ٩١.

ومنتهاه وتاريخ تحسن حالة المريض أو انحطاطه وتدهوره متتبعًا بدقة حالات سير المرض وأوقات حدوث النكسات لمرضاه.

.. كما يستدل من البُحْران عن حال مريضه يقول[١]: الذى يريده الأطباء بالبُحْران هو تغيير سريع يحدث للمريض «ينبأ» عن حاله إما إلى ما هو أجود أو إلى ما هو أردأ.

الاهتمام بالجانب النفسى عند الرازى:

.. كان الرازى من الأطباء الذين يهتمون بالحالة النفسية للمريض بل أنه كان يرى أن بعض أمراض الجهاز الهضمى تكون نتيجة لأسباب نفسية بالدرجة الأولى فيقول: «قد يكون لسوء الهضم أسباب بخلاف رداءة الكبد والطحال منها حال الهواء والاستحمام ونقصان الشرب وكثرة إخراج الدم والجماع والهموم النفسانية»[٢].

.. ويذهب الرازى إلى أن النفس هى التى لها الشأن الأساسى فيما بينها وبين البدن من صلات[٣] فواضح أن ما يجرى فى النفس من خواطر وهواجس، وما تلاقيه من آلام ومآسٍ إنما يطفو كل هذا، على السطح من خلال الملامح الظاهرة، ومن أجل هذا، رأيناه ينادى بأنه من الضرورى على طبيب الجسم أن يهتم بالجانب النفسى للمريض ولهذا قام بتأليف كتابه «الطب الروحانى» الذى يهدف من ورائه إلى إصلاح النفس.

اهتمامه بالجراحة:

.. ومن أبرز مجهودات الرازى الطبية اهتمامه بالجراحة ولعله من أوائل الأطباء فى الإسلام ممن أجروا العمليات الجراحية ونجد فى كتابه

(١) المرشد للرازى ص ٧٢.
(٢) الحاوى للرازى جـ٣ ص ٦١.
(٣) فلاسفة الإسلام للأستاذ: محمد عبد العزيز ص ٥٥ طبعة الشعب

الحاوى فى السفر الحادى عشر يختص هذا السفر بالجراحة[1] فيتحدث فى علاج المرضى والفسخ الذى ينشق منه داخلاً «فسخ المفصل: أى أزاله عن موضعه من غير كسر»، وعلاج القروح، وفى أعضاء التناسل والمقعدة، وجراحات العصب والعضل والوتر والأربطة، وفى علاج رض العصب وفى خياطة جراحة البطن والمراق والأمعاء والقرحة، وفى الثرب والقرحة التى إلى جانب الشريان، وفى إدمال العروق، وفى تولد العروق، وفى عسر التئام الجراحات وسهولتها بحسب الأعضاء وفى جراحات الدماغ والخراجات الحادثة فى داخل الأذن، وفى قواعد علاج القروح الباطنة، ونزف الدم من باطن البوق، وفى نزف الدم الكائن عن فسخ العروق أو فتحها.

.. وللرازى وصف جيد لعملية إزالة جزء من العظام المريضة أو استئصالها كلها واستخدامه الماء البارد فى علاج الحروق. «وهى طريقة حديثة جدًّا لم يمض عليها غير سنوات قلائل، وتستعمل فى الوقت الحاضر كإجراء إسعاف أولى لحروق الأطراف حيث يوضع الذراع أو الساق فى ماء بارد. لمدة دقيقتين وقد ثبت أن هذا يؤدى إلى تقليل الألم وتقليل فقدان البلازما وتقليل نسبة الوفيات».

.. كما أن له وصفًا ممتازًا لعملية خياطة البطن «فى الجراحة الواقعة بالبطن والمراق والأمعاء»، «إن انخرق مراق البطن حتى خرج بعض الأعضاء فينبغى أن تعلم كيف تضم المعى وتدخل، وإن خرج شىء من الثرب[2] omentum فيحتاج أن تعلم هل ينبغى أن تقطع أو لا تقطع وهل ينبغى أن تربط برباط وثيق، وهل تخاط الجراحة أو لا، وكيف السبيل إلى الخياطة... فإن كانت الجراحة قد بلغت إلى ما يقرب من الأمعاء حتى

---

(١) كتاب الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب وضع مجموعة من العلماء المصريين نشر جامعة الدول العربية ص ٩٩.

(٢) الثَّرْب: لحم رقيق يغشى الكرش والأمعاء، «المعجم الوسيط جـ١ ص ٩٥».

يصل الخرق إلى تجويفه فالأمعاء الدقاق أعسر برءاً والغلاظ أسهل، والمعى الصايم لا يبرأ ألبته من جراحة تقع فيه لدقة جرحه وكثرة ما فيه من العروق وقربه من طبيعة العصب وكثرة انصباب الحرارة فيه وشدة حرارته لأنه قرب الأمعاء والكبد، وأما الثرب فإن لم يخضر ويسود، فليرد إلى مكانه، أما إن اخضر فليستوثق بما دون الخضرة برباط ليؤمن من نزف الدم، فإن فيه عروقًا ضوارب وغير ضوارب، ثم اقطع ما دون الرباط وارم به، فإن منفعة الثرب فى البدن ليست منفعة جليلة لازمة فى بقاء الحياة ».

.. وللرازى كتاب آخر اسمه المنصورى، وقد سماه على اسم أمير خراسان منصور بن إسحق الذى رعى الرازى فى أول عهده فى فارس، وفيه أفرد المقالة السابعة للجراحة « جمل وجوامع من صناعة الجبر والجراحات والقروح وعلاجاتها »، وهى من تسعة عشر فصلاً.

وكان الرازى طبيبًا اكلينيكيًا كبيرًا يهتم اهتمامًا بالغًا بالتشخيص والمشاهدة الدقيقة لحالات مرضاه يقول الرازى : « كان يأتى عبد الله بن سواده حميات مخلطة تنوب مرة فى ستة أيام ومرة غبا ومرة ربعًا ومرة كل يوم، ويتقدمها نافض يسير وكان يبول مرات عديدة وحكمت أنه لا يخلو أن تكون هذه الحميات تريد أن تنقلب ربعًا وأما أن يكون به خراج فى كلاه فلم يلبث إلا مُدّة حتى بال مِدة أعلمته أنه لا تعاوده هذه الحميات وكان كذلك وإنما صرفنى فى أول الأمر عن أن أبت القول بأن به خُرّاج فى كلاه أنه كان يحم قبل ذلك « حُمى غب » وحميات أخر فكان للظن بأن تلك الحمى المخلطة من احتراقات تريد أن تصير ربعًا موضع أقوى ولم يشك إلى أن قطنه شبه ثقل معلق منه إذا قام وأغفلت أنا أيضًا أن أسأله عنه وقد كان كثرة البول يقوى ظنى « بالخراج فى الكُلى » إلا أنى كنت لا أعلم أن أباه أيضًا ضعيف المثانة ويعتريه هذا الداء وهو أيضًا قد كان يعتريه فى صحته فينبغى أن لا نغفل بعد ذلك غاية التقصى إن شاء

الله، ولما بال المِدّة أكببت عليه بما يدر البول حتى صفى البول من المدة ثم سقيته بعد ذلك «الطين المختوم» و«الكندر» و«دم الأخوين» وتخلص من علته وبرأ برءًا تامًا سريعًا فى نحو من شهرين وكان الخراج صغيرًا ودلنى على ذلك أنه لم يشك ابتداء ثقلاً فى قطنه لكن بعد أن بال مدة قلت له هل كنت تجد ذلك قلت قال نعم فلو كان كبيرًا لقد كان يشكو ذلك وأن المدة تبينت سريعًا يدل على صغر الخراج فأما غيرى من الأطباء فإنهم كانوا بعد أن بال مدة أيضًا لا يعلمون حالته البتة.

ويعلق العالم الكبير الدكتور محمد كامل حسين على هذه الفقرة قائلاً: «لو لم يكن للرازى غير هذه الفقرة لعددته من أكبر الأطباء الإكلينيكيين وفيها الدلالة على ما فى الأطباء من قوة وضعف، فهو يلوم نفسه على عدم معرفة المرض لأول وهلة، وكان يستطيع لو تقصى الحالة أن يصل إلى البت فيها، ثم هو يلتمس لنفسه العذر لأن المريض لم يذكر له العلامة الهامة، ثم يلوم نفسه على أنه لم يسأل عن حالته قبل ذلك وحاله، أبيه، ثم يخرج من ذلك إلى خطوة أدق فى التشخيص مبينًا سبب رأيه هذا، ثم يختم كل ذلك اللوم والعذر والبحث بأضعف صفة فى كبار الأطباء دائمًا وهى شعورهم أن غيرهم لم يكن ليبلغ مبلغًا يستطيع فيه حتى أن يخطئ خطأهم»[١].

والحقيقة أن الرازى كان - بلاشك - طبيبًا دقيقًا فى كشفه وتقديره لنوع المرض وتشخيصه تشخيصًا جيدًا.

.. ومن أبرز مجهودات الرازى الطبية أنه أول من وصف الرشح التحسسى فى التاريخ وقد عرف ذلك بالصدفة «عندما عثرت المستشرقة الألمانية فريد رون او بالصدفة ضمن مجموعة من المخطوطات على رسالة الرازى «مقالة فى العلة التى من أجلها يعرض الزكام لأبى زيد البلخى فى

---

(١) منوعات: للدكتور محمد كامل حسين رحمه الله ص ١٧٦.

فصل الربيع عند شَمِه الورود » فانتبهِ العلماء إلى أن الرازى كان أول من وصف الرشح التحسسى فى التاريخ »[١].

.. هذا والرازى من أوائل العلماء الذين قالوا[٢] « بالعدوى الوراثية ».

.. وكان الطبرى أول من كشف الحشرة التى تسبب داء الجرب، وقد وصفها فى كتابه « المعالجة الأبقراطية » وعن الكشوف والجهود العلمية للرازى يقول الدكتور توفيق الطويل[٣] : « من كشوفاته العلمية أنه كان السابق إلى استخدام أمعاء الحيوان فى التقطيب والإكثار من استعمال الفتائل - وخيوط الجراحة ووصف جراحة استخراج الماء الأبيض « الكتاركتا »، واستخدام المحاجم فى علاج داء السكتة، ووصف الطاعون وما نسميه اليوم بحمى الدريس Hay Ferer. وكان أول من ميز فى دقة بالغة بين الجدرى والحصبة وكانت رسالته فى ذلك أول دراسة علمية فى الأمراض المعدية، وكان أول من أدخل فى الصيدلة الملينات. وطبق فى الطب المركبات الكيماوية، واستخدم الزئبق فى علاج الأمراض الجلدية وسبق إلى الاهتمام بالأحوال النفسية فى تشخيص الأمراض الباطنية وعلاجها. وكان من رواد الكتابة فى أمراض الأطفال وكان أول من فطن إلى الإصابة بدودة Guinea Warm واستخدام الحزام، وعدّ الحمى عرضًا لا مرضًا، وأدخل فى المداواة أساليب جديدة - كاستخدام الماء البارد فى الحميات، وكان أول من كشف « البول السكرى » إذ كان يطلب إلى المريض الذى يشتبه فيه أن يبول على رمل وينتظر قليلاً، فإذا اجتمع النمل فوق الرمل دل هذا على أن البول سكرى.

---

(١) بحث عن الطب العربى للدكتور سليمان قطاتة بدورية عالم الفكر الكويتية المجلد العاشر - العدد الثانى يوليو - سبتمبر ١٩٧٩ ص ٢٨١.

(٢) العلوم عند العرب للأستاذ قدرى طوقان ص ١٨.

(٣) فى تراثنا العربى الإسلامى ص ١٣٩.

وقيل إنه أعاد الحياة إلى شخص فقد حسه فى الشارع. وذلك بأن جلد جسمه ولا سيما قدميه ومع ذلك قال فى رده على الخليفة الذى امتدح براعته أنه تعلم هذه الطريقة من أعراب البادية. وإن فضله لا يعدو تشخيص المرض الذى يرجح أنه كان ضربة شمس.

اهتمام الرازى بالتجربة :

.. كان الرازى يؤكد على أهمية الممارسة والخبرة والتجربة فى علاج المرضى، والطبيب الممارس أفضل عنده ممن عرف الطب عن طريق الكتب فقط يقول الرازى : «إن من قرأ الكتب ثم زاول المرض يستفيد من التجربة كثيرًا»[١].

.. ويفضل الرازى الطبيب الذى يعمل فى العواصم والمدن الكبيرة الآهلة بالسكان حيث يكثر المرض وتزداد الخبرة والتجربة عن الطبيب الذى يعمل فى المناطق غير الآهلة بالسكان فيقول : «ينبغى أن ينظر هل شاهد المرضى وهل كان ذلك منه فى المواضع المشهورة بكثرة الأطباء والمرضى أم لا»[٢].

.. وحين يتعارض النظر مع التجربة والعمل فإنه يفضل دائمًا اختيار الطبيب المجرب «.... فإن لم يتهيأ له إلا أحد الرجلين فليختر المجرب (أى الممارس) فإنه أكثر نفعًا فى صناعة الطب من العارى عن الخدمة والتجربة البحتة»[٣].

.. بل إن الرازى يعتبر أن التجربة علم له أصول وقواعد يجب على الممارس إحكام أصولها.

---

(١) المرشد للرازى ص ١١٩.
(٢) محنة الطبيب للرازى ص ٤٩٥.
(٣) المرشد للرازى ص ١١٩.

.. ولقد قام الرازى بنفسه بإجراء بعض التجارب على الحيوانات كالقردة يقول فى خواص الزئبق : «أما الزئبق العبيط فلا أحسب أن له كثير مضرة إذا شرب، أكثر من وجع شديد فى البطن والأمعاء، وقد سقيت أنا منه قردًا كان عندى فلم أره عرض له إلا ما ذكرت وخمنت ذلك من تَلَوِّيه ووضع فمه ويديه على بطنه، أما إذا صب فى الأذن منه فكان له نكاية شديدة»[١].

.. وكان يجرب أحيانًا بعض المواد والأحماض والعقاقير على نفسه فيقول : «جربت فى نفسى ورأيت أن أجود ما يكون أن ساعة ما يحس الإنسان بنزول اللهاة والخوانيق «يقصد الزور واللوزتين». أن يتغرغر بخل حامض قابض مرات كثيرة»[٢].

.. ولم تكن التجربة عند الرازى مجرد تجربة اتفاقية بل كانت فى معظم الأحيان تجربة لها ضوابط وتجربة موجهة.

.. مثال ذلك أنه كى يتأكد من أثر الفصد لعلاج السرسام[٣]. قسم مرضاه إلى مجموعتين يداوى إحدى المجموعتين بالفصد والمجموعة الأخرى لا يفصدها. ثم يراقب النتيجة ويضبطها يقول عن حالة تؤشر بقرب الإصابة بمرض السرسام «فمتى رأيت هذه العلامات فافْصُدْ فى العضد فإنى قد خلصت جماعة به وتركت متعمدًا جماعة استدل بذلك رأيا فسرسموا كلهم.

.. وداخل المعمل كان للرازى تجارب معملية وكيميائية هامة[٤].

---

(١) رسالة فى الرازى جـ ٢ ص ١٠٧، ص ١٠٨ من مخطوط بمكتبة جامعة كمبردج Marsh 248 يود ليانا نقلاً عن بحث للدكتور محمد كامل حسين عن طب الرازى بدورية رسالة العلم ص ٢٢٢ سبتمبر ١٩٦٣ م.

(٢) الحاوى للرازى جـ ٧ ص ٢٧٩.

(٣) السرسام كلمة فارسية بمعنى مرض أو ورم فى جيب الدماغ.

(٤) تاريخ العلوم عند العرب : قدرى حافظ طوقان ص ١٢٨.

« واستحضر الرازى بعض الحوامض، مثل حامض الكبرتيك وقد سماه « زيت الزاج أو الزاج الأخضر » ونقله عن كتبه البير الكبير وسماه كبريت الفلاسفة.

.. واستخرج الرازى الكحول باستقطار مواد نشوية وسكرية مختمرة.. وكان يستعمله فى الصيدليات لاستخراج الأدوية والعلاجات حينما كان يدرس ويطبب فى مدارس بغداد والرى، .... واشتغل الرازى فى حساب الكثافات النوعية للسوائل « واستعمل لذلك ميزانًا خاصًا سماه الميزان الطبيعى.

أهم الآثار الطبية للرازى:

.. أضاف أبو بكر الرازى إلى المكتبة العربية قرابة مائة وثمانين مصنفًا فى شتى العلوم وقد اهتم أبو الريحان البيرونى بحصر مؤلفات الرازى العلمية ووضع رسالة صغيرة ذكر فيها إحصاء عامًا بهذه المؤلفات[1].

.. وبالنسبة لمؤلفاته فى الطب وهى التى تهمنا فى هذا المقام فإن أهم هذه المؤلفات جميعًا كتابه « الحاوى »[2] الذى يتكون من قسمين كبيرين. القسم الأول منه فى الأقراباذين، والقسم الثانى يبحث فى ملاحظات سريرية تهتم ببحث تطور المرض وسيره مع العلاج وسيره مع تتبع حالة المريض ونتيجة العلاج.

---

(١) نشر الرسالة المستشرق بول كراوس فى باريس سنة ١٩٣٦ تحت عنوان « فى فهرست كتب محمد بن زكريا الرازى ».. ومن الإحصاء العام لمؤلفات الرازى بهذه الرسالة نجد أن الرازى كتب فى الطب والأقرابازين ٥٦ تصنيفًا، الطبيعيات ٣٢ تصنيفًا، الكيمياء ٢١ تصنيفًا، الرياضيات والفلك ١١ تصنيفًا، والإلهيات والفلسفة - وما بعد الطبيعة ٣٨، تصنيفًا، المنطق ٧ تصنيفات، شروح وملخصات واختصارات ٧ تصنيفات فنون مختلفة ١٢ تصنيفًا.

(٢) ترجم الحاوى إلى اللاتينية فى عهد الملك شارل الأول ملك صقلية بواسطة الطبيب اليهودى فراج بن سالم ١٢٧٩، وظل يترجم مرات عديدة فى أوربا حتى عام ١٥٤٢ وكان من أهم المراجع الطبية عند الأوربيين حتى القرن السادس عشر الميلادى.

والكتاب موسوعة طبية زادت على عشرين مجلدًا. لم يبق منها سوى عشرة مجلدات فقط.

.. وقد ذكر ماكس ماير هوف للرازى ٣٣ ملاحظة سريرية مختلفة.

.. وفى هذا الكتاب نلاحظ وصف كل مرض على حدة كما ذكر فى كتب الطب القديمة عند الإغريق والسوريان والعجم والهنود. وبعد ذلك يلون معلوماته ويدلى بمشاهداته وخبراته ثم يكوّن الرأى النهائى للمرض الذى يجثه.

.. ويكاد يكون هناك شبه إجماع بين العلماء على أن كتاب الحاوى تم إنجازه على يد تلاميذه بعد وفاته، لأنه توفى قبل استكمال كتابه هذا الموسوعى الضخم وقيل فى هذا أن ابن العميد طلب إلى شقيقة الرازى بعد وفاته إعطاءه مخطوطة الحاوى وأعطاها مالاً كثيرًا حتى استجابت، وبعد ذلك اجتمع تلاميذ الرازى وأكملوا الكتاب على النحو المعروف به.

.. ولأن الكتاب «الحاوى»[١] قد حوى آراء الأطباء القدماء فإنه قد تضمن فيما تضمن الكثير من خرافات الطب القديم إلا أن أهم ما فى الكتاب تلك الملاحظات السريرية التى شملت ملاحظاته وخبراته الطبية المتميزة.

.. ولأن الرازى توفى قبل استكمال موسوعته وتنظيمها وتبويبها وترتيبها فقد نشرت على يد تلاميذه فى صورة غير مرتبة ترتيبًا دقيقًا وإن كانت تستعرض كافة أمراض جسم الإنسان من الهامة إلى أخمص القدم مبينًا فيها أسباب المرض وعلاماته وطرق التشخيص والمعالجة مستعرضًا آراء الأقدمين مبينًا رأيه فى طرق العلاج القديمة إما موافقًا أو ناقدًا ومقدمًا طرقًا جديدة للعلاج.

.. وطبعة الكتاب فى عشرة أجزاء فقط. الجزء الأول منه يهتم بأمراض الدماغ وقسمه إلى عشرة أبواب، الباب الأول منه يبحث فى

---

(١) طبع كتاب الحاوى فى طبعته الأولى عن نسخة أسكوريال رقم ٨٠٦ ورمزها «أ» وقد طبع بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند ١٩٥٥.

السكتة، والفالج، والخدر، والرعشة وضعف الحس وبطلانه والاختلاجات وعلاج الرأس والمانخوليا.

.. وفى الباب الثانى تحدث عن الرعشة المبتدية والكائنة بعقب الأمراض وأوجاع العصب واسترخائه.

.. والباب الثالث يتحدث من خلاله عن المانخوليا والأغذية الدوائية والمضادة لها.

.. وفى الباب الرابع يتحدث عن اللقوة وانخلاع الفك واشتباكه واللَّقْوَةُ: مرض يَعْرِضِ للوجه يَعْوَجُّ منه الشِّدق.

.. وفى السابع تحدث عن الصرع والكابوس والتفزع من النوم.

.. وفى الثامن تحدث عن التشنج والكزاز، وتعقد العصب والمفاصل والكُزازُ: مرض قتّال يصيب المجروح إذا تلوثت جراحه بتراب الأرض المحتوى على التتيانوس وبقية أبواب القسم الأول تحدث من خلاله عن علاج الكثير من أمراض الرأس.

.. وفى الجزء الثانى من الكتاب تناول أمراض العيون وأسبابها وتشخيصها وعلاجها.

.. ونلاحظ أنه فى سائر الأجزاء العشرة لكتابه الحاوى يتناول عضوًا أو أكثر من أعضاء الجسم ويتحدث عن طبه كطب الرأس وطب العين وطب الأذن والأنف والأسنان وهكذا.

.. ويعتمد على الملاحظات السريرية ووصف الحالات المرضية وعلاجها من خلال علمه وملاحظاته وتجاربه.

.. والرازى يعد من أوائل من وصفوا بدقة تامة مرض الجدرى والحصبة وهو صاحب رسالة من أشهر الرسالات فى الجدرى والحصبة حيث فرق بين الجدرى والحصبة، وكشف عن أعراض كل مرض على

حدة. وتبين له من خلال الملاحظات الدقيقة أن ارتفاع الحرارة يساعد على انتشار الطفح وهي ملاحظة قيمة[١].

.. وقد طبعت هذه الرسالة إلى الإنجليزية وحدها أربعين مرة بين سنتى ١٤٩٨ وسنة ١٨٦٦.

.. وكتاب الجدرى والحصبة للرازى يعد بحق من أفضل الكتب فى علم الأوبئة حيث لم يكتف فيه الرازى بوصف الطفح وعلاقته بارتفاع الحرارة وانتشاره بل أشار أيضًا إلى أهمية فحص القلب والنبض والتنفس والبراز، وهى إشارات هامة لها أهمية فى علم الأوبئة.

.. كما ذكر طرقًا لوقاية العين والوجه والفم مع تجنب حدوث الندب العميقة فى الوجه.

.. ومن الكتب الطبية للرازى كتابه «المنصورى»[٢] ويقع المنصورى فى عشرة أجزاء تتناول الموضوعات الطبية المتعددة كالجراحة وأمراض العيون وأمراض البطن.

.. ومن آثاره الطبية أيضًا كتابه «فيمن لا يحضره طبيب» وقد أطلق بعض الباحثين على مثل هذه المؤلفات لقب طب الفقراء والمساكين.

---

(١) ترجم الرسالة اللاتينية فالا E. Valla ونشرها فى البندقية عام ١٩٤٨، كما نقلها إلى اليونانية جاك جوبيل Jacque Gompy ونشرها فى باريس ١٥٤٨. ونقلت أيضًا إلى الفرنسية فى باريس. عام ١٧٦٣ بواسطة Jacques Paulet وكذا إلى الفرنسية فى باريس عام ١٨٦٦ ترجمها المستشرق لوسيان لوكلير Leclereولينور Lenoir وفى لندن نشرت سنة ١٧٦٦ «النص العربى مع ترجمة لاتينية بواسطة يوحنا تشاتنج. كما ترجمت الرسالة إلى الإنجليزية ترجمة جيدة بواسطة جرينهل W. A. Greenhill طبعت فى لندن ١٨٤٨. وترجمت إلى الألمانية بواسطة كارل أوبيتز Karl Opitz ١٩١١.

(٢) سماه المنصورى نسبة إلى المنصور بن إسحق حاكم خورسان وهو من الذين ساعدوا الرازى ووقفوا بجانبه فقدم الرازى الكتاب إليه.

.. والكتاب نشر لأول مرة فى ميلانو سنة ١٤٨١ م وأعيد نشره بعد ذلك كثيرًا. واشتهرت بعض أجزائه شهرة فائقة فى أوربا وبخاصة جزء التشريح الذى ترجم إلى الفرنسية ترجمة كونتج طبعة لندن ١٩٠٣ وجزء الرمد ترجمه إلى الألمانية برونر طبعة برلين ١٩٠٠.

.. وكتابه هذا يصف بطريقة بسيطة بعض الأمراض وطرق علاجها بالأغذية الرخيصة بدلاً من شراء الأدوية المرتفعة الثمن والتراكيب النادرة.

.. وله فى منافع الأغذية كتاب «منافع الأغذية» ويتكون هذا الكتاب من تسعة عشر بابًا تتحدث عن منافع بعض الأغذية كالحنطة والخبز والماء البارد والماء الساخن والثلج والشراب المسكر والأشربة غير المسكرة واللحوم الطازجة واللحوم المجففة والأسماك وأنواع البطيخ والجبن واللبن والبيض والبقول والتوابل والفواكه الرطبة واليابسة والحلوى.

.. ويتحدث الكتاب أيضًا عن أعضاء الحيوان وطبائعه وإلى جانب ذكره لمنافع كل غذاء من الأغذية التى تحدث عنها فإنه يبين من جهة أخرى مضار بعض هذه الأغذية والأحوال والأوقات التى يجب فيها تناولها أو متى يتجنبها المريض للمساعدة على برئه وشفائه.

.. وله فى علم الكيمياء كتاب «سر الأسرار»[1].

.. ويشرح لنا من خلاله الأجهزة المعملية التى كان يستخدمها مثل آلات الذوب وآلات تدبير العقاقير والمنفاخ والبوتقة والمرجل والمنخل والهاون والقوارير والخرطوم والأقداح والمبرد والغربال والمغرفة والمكثف.

.. ومن الأطباء المعاصرين للرازى على بن العباس المجوسى «ت ٩٩٤ م». الذى عاش فى أواخر القرن العاشر من الميلاد.

.. وهو صاحب كتاب الملكى[2] الذى ألفه لعضد الدولة البويهى

---

(١) نسخة مسعود المارديني سنة ٥٨٧ هـ.

لما المخطوط الذى حققه المستشرق الروسى فتاريخه عام ٩١٢ هـ. وقد نشرته أكاديمية العلوم بطشقند باللغة الروسية عام ١٩٥٧ م «.. وترجمه من قبل كريمونا فى أواخر القرن الثانى عشر الميلادى وكان المرجع الوحيد فى استخدام الاختبارات المعملية وفصل الذهب من سبائكه المغشوشة وتقطير العقاقير وتحضيرها والانتفاع بالتكليس لمركبات جديدة مثل أكسيد الزئبق الأحمر كما حدث مع برستلى ولا فوازييه فى عصر النهضة الأوربية.

(٢) كتاب الملكى أو «كامل الصناعة الطبية» نشر فى القاهرة فى جزئين بالعربية سنة ١٢٩٤ هـ. =

ولذا سماه الكناش الملكي. والذى استند فيه إلى ملاحظاته السريرية فى المستشفيات لا إلى الكتب فاشتمل الكتاب على الطب النظرى والعملى، ونقد من خلاله الطب الإغريقى وبين بعض الأخطاء فى طب أبقراط وجالينوس وأريباسيوس وبولس الأجينى.

= .. وقد ترجم الكتاب من قبل إلى اللاتينية ترجمة اسطفان الأنطاكى سنة ١١٢٧ م ونشرت الترجمة بالبندقية سنة ١٤٩٢، ثم نشرت مع تعليقات ميشيل دى كايلا فى ليون سنة ١٥٢٧ م.

.. وقد اقتبس قسطنطين الأفريقى كتاب الملكى ونشره بعنوان «بانتينى» Pantegni وظهر الجزء الأول من هذا الاقتباس فى بازل عام ١٥٣٩. ونشر يوليوس بلجل سنة ١٩٠٦ الباب التاسع من الجزء الثامن منه، كما نشرت أجزاء كثيرة منه منقولة إلى اللغات الأجنبية خاصة ما خص منها التشريح وطبع فى باريس ١٩٠٣، وما خص الرمد طبع فى برلين ١٩٠٠ م وما خص أمراض الكلى طبع فى لندن ١٨٩٦ وما خص أمراض الجلد طبع بالألمانية ١٩١٢، وتشريح المخ بالألمانية ١٩١٤ م.

.. ويقول بروكلمان جـ ٤ ص ٢٩١ و ص ٢٩٢ إن كتاب الملكى للمجوسى يوجد كاملاً بجميع أجزائه فى برلين ٦٢٦١ - ٦٢٦٥ ولندن ١٣١٥ - ١٣١٦، وينكيبور ١٢/٤ - ١٤. ومنه أجزاء مفردة فى ميونيخ أول ٨١١، وبودليانا ٥٢٣/١، ٥٢٩، ٥٨٧، ٦٢٢ - ٦٢٣، والأسكوريال ثان ٨١٥ : ٢، ٨١٨ : ٥، ٨٣٨، وباريس أول ٢٨٧١ - ٢٨٨٠، والمكتب الهندى ٧٧٤ - ٧٧٦، وجاريت ١٠٧٧ - ١٠٧٨، والمتحف البريطانى أول ١٣٥٨، والمتحف البريطانى ٥٠٦، ٦٥٩١ و ٥٧٧٧ والمتحف البريطانى ثالث ٤٣، وكمبردج أول ١٢٧٦، ومدريد أول ١٢٩ وبطرسبرج ثالث ٨٨٨، وبطرسبرج ثان ١٩٢٦ : ٢٥ والفاتيكان ثالث ٣١٤ وامبروزيانا ١٢٧ «مجلة ZDNG ٦٩/٨٠»، وبرنستون ١٧١، وفاس : جامع القرويين ١٣٦٤، ونور عثمانية ٣٥٧٩، وبيروت ٢٩٣، ومكتبة البارودى، أنظر مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ١٣٢/٥، والقاهرة أول ٢٨/٦، وسباط ١١، ٢٠، ٢، واحمد تيمور باشا، أنظر مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ١٣٥/٥، ٣٦٠/٣ والموصل ٢٣، ١٤٧، ١٠٧، ١٠٦، ١٩٦، ١٠٣، ومشهد ٣١/١٦، ١٠٠ - ١٠١، وأرمبور أول ٤٩٢. وآصفية ٩٣٢/٢، ١٩٦، ٣٧٣، وبانافيا أول ٢٣٦/٣.. ومنه مختصر : الاسكوريال ثان ١٨٢٧ : ٥.

طبع حجر : لاهور ١٢٨٣ وطبع فى بولاق سنة ١٢٩٤ «أنظر مجلة ZDMG ٣٨٨/٤٤، الهامش».

وطبعة المقالة التاسعة فى لكنو سنة ١٩٠٦.

ترجمة تركية : بروسه، حسين جلبى : طب ٢.

ترجمة عبرية : شتا ينشايلر ٤٢٦.

.. ويرى على بن العباس أن يحيى بن سرابيون[1]. يجهل الجراحة، وإنه أغفل ذكر كثير من الأمراض الهامة.

.. ومن خلال كتاب الملكى نجد إشارات حقيقية إلى وجود أوعية شعرية بالجسم[2]. كما يشتمل الكتاب على ملاحظات إكلينيكية متواضعة. وقد تميز كتاب الملكى للمجوسى بحسن تقسيمه وتبويبه تبويبًا يفيد الدارسين.

.. وفى الكتاب الملكى لعلى بن العباس يقول كما تذكر هونكة[3]: «إنى لم أجد بين مخطوطات قدامى الأطباء ومحدثيهم كتابًا واحدًا كاملاً يحوى كل ما هو ضرورى لتعلم فن الطب. فأبوقراط يكتب باختصار، وأكثر تعابيره غامضة بحاجة إلى تعليق... كما وضع جالينوس عدة كتب لا يحوى كل منها إلا قسمًا من فن الشفاء ولكن مؤلفاته طويلة النفس وكثيرة الترديد ولم أجد كتابًا واحدًا له، يصلح كل الصلاح للدراسة.... وأما أنا فإنى سأعالج فى كتابى كل ما يلزم للحفظ على الصحة وشفاء الأمراض، والمستلزمات التى يجب على كل طبيب قدير مستقيم أن يعرفها.

.. وقد قال أبوقراط ومن جاء بعده[4]. : بأن الطفل فى جوف الأم يتحرك بنفسه تلقائيًا ويخرج بواسطة هذه الحركة من الرحم. فجاء على بن العباس ليكون أول من قال بحركة الرحم المولدة التى تدفع بالثمرة إلى الخروج بواسطة انقباض عضلاته[5].

---

(١) يحيى بن سرابيون طبيب مسيحى عاش فى النصف الثانى من القرن التاسع، ألف كتبًا فى الطب بالسريانية ترجمت إلى العربية.

(٢) لعل على بن العباس المجوسى من أوائل من أشاروا إلى وجود صلات بين الشرايين والأوردة وفى ذلك إرهاصة متواضعة إلى وجود الأوعية الشعرية.

(٣) شمس العرب... ص ٢٨٤ و ص ٢٨٥.

(٤) شمس العرب تشرق على الغرب لهونكة ص ٢٧١.

(٥) ومن هنا فإن على بن العباس يعد من أوائل من قدم البراهين على أن الرحم تنقبض أثناء الولادة ويقصد بذلك أن الجنين يطرد ولا يخرج ذاتيًا كما كان يقول أبقراط وغيره.

.. وكتب عن الخراج فى رحم الأم وفى حلقه وعن سرطـان الجـوف الداخلى.

.. وقد أشار على بن العباس فى كتابه الملكى إلى أهميـة العمـل فى المستشفيات لمن أراد أن يكون طبيبًا ناجحًا.

ابن سينا

ولد أبو على الحسين بن عبد الله بن سينا حوالى عام ٣٧٠ هـ - ٩٨٠م وكان والده صيرفيًا من «بلخ» وانتقل منها إلى «بخارى».

ويقال إنه لما بلغ من العمر عشر سنين أتقن حفظ القرآن الكريم وألمّ ببعض العلوم الشرعية والرياضيات.

ثم تتلمذ على يد الحكيم أبى عبد الله الناتلى، فقرأ عليه كتاب «إيساغوجى» وأقليدس.

ثم بدأ الاهتمام بدراسة الطب، ويقال إن أبا منصور الحسن بن نوح القمرى[1] كان من أساتذة ابن سينا فى الطب.

كذلك يقال إن من أساتذته فى الطب «أبى سهل عيسى بن يحيى المسيحى الجرجانى «ت حوالى ١٠٠٠م» وهو صاحب دائرة المعارف المعروفة باسم الكتب المئة فى الصناعة الطبية.

ونظرًا لشهرة ابن سينا الطبية إلى جانب شهرته الفلسفية فقد استوفده الأمير نوح بن نصر السامانى صاحب خراسان، فعالجه حتى برئ، واختلف إلى دار كتب الأمير يَعُبُّ منها علمًا غزيرًا ويقرأ فيها بِنَهَم وحب شديدين للعلم والقراءة. وعرف بأنه قارئ لا يمل القراءة ومثقف بكل علوم عصره «عديم القرين، فقيد المثل» كما يقول ابن خلكان.

وانصرف بعد العشرين من عمره إلى التأليف والكتابة والاشتغال بالفلسفة والطب.

---

(١) لأبى منصور القمرى كتاب فى الطب هو كتاب «غنى ومنى» كتاب الحياة والموت»، وهو كتاب جيد مقسم إلى ثلاثة أقسام : الأمراض الباطنية، والأمراض الظاهرة والحميات.

وكان فى الثانية والعشرين من عمره أشهر أطباء عصره، وأسند إليه منصب رئيس وزرا شمس الدولة أمير ولاية همزان، ثم خدم الأمير علاء الدين فى أصفهان.

وكان يكتب معظم مؤلفاته بالعربية كما كتب بعض كتبه بالفارسية، لغته الأصلية، كما فعل ذلك فى مختصر جامع فى الفلسفة العلمية عنوانه : « دانشى نامه علائى » ولم يتم هذا الكتاب ابن سينا، فأكمله الجرجانى فيما بعد.

ولابن سينا بالفارسية أيضًا كتاب « النبض »[1].

---

(١) يذكر ألدو ميلى فى كتابه العلم عند العرب النسخة العربية صفحة ٢٠٤ - ٢٠٥.
« وللدراسة ابن سينا دراسة شاملة، مع الوقوف على قائمة لكتبه أنظر بحث جبريلى عن ابن سينا فى مجلة أركيون ج ٤ سنة ١٩٢٣ ص ٢٥٨ :
وتحدث « كارادى فو » بتوسع عن ابن سينا فى كتاب : ابن سينا بباريس ١٩٠٠، كما أنه اتجه إلى نفس الاتجاه فى كتاب مفكرو الإسلام.
Les Penseurs de l, Islam « VO. II et n IV, 1921, et 1923 ».
وكتب أبو عبيد الجرجانى، تلميذ ابن سينا المقرب إليه، الذى عاش ٢٥ سنة بعد وفاة أستاذه ترجمة له انتفع فيها بالمذكرات التى دونها الفيلسوف والطبيب المعظم عن حياته ونقل هذه الترجمة إلى الألمانية بول كراوس فى المجلة الأسبوعية الإكلينيكية :
Diekinische Wochenschrift XI, 1923 p. 1882.
وصدرت بعض الدراسات الهامة عن ابن سينا، فقد نشرت جمعية التاريخ التركية كتابًا تذكاريًا ضخمًا « فى استانبول ١٩٣٧ » بمناسبة مرور ٩٠٠ سنة على وفاة ابن سينا، وقد عالج القسم الأول من هذا الكتاب حياة ابن سينا ووطنه، وحلل آراءه الفلسفية، ونظر القسم الثانى فى ابن سينا الطبيب، وقد اشترك عالمان أجنبيان فى هذا الكتاب، هما الزميلان : « جومبو » من بخارست Gomoiu وتريكو روير من أنفرس Tricot Royer مع عدة علماء أتراك حيث درسوا أهمية طب ابن سينا وأثره فى الغرب. وبذلوا أيضًا جهدًا خاصًا فى اعتبار ابن سينا تركى الأصل والتدليل على ذلك. القسم الثالث من الكتاب اختص بالرياضيات، والرابع بالأساطير التى وضعت حول ابن سينا فى تركيا وإيران. وفى القسم التالى لذلك ترجمات تركية لبعض كتب صغيرة لابن سينا. ومن بينها النص العربى لكتاب : الأدوية القلبية، نقلاً عن مخطوط فى مكتبة الفاتح باستنبول، مع مقابلته وتصحيحه بسبعة عشر مخطوطًا موجودة أيضًا فى استانبول. وأخيرًا يشتمل القسم السادس والأخير على قائمة بمائتين وثلاثة وعشرين كتابًا لابن سينا توجد فى ست وخمسين مكتبة باستنبول، وقائمة طويلة أيضًا لجميع الشروح والترجمات لكتب ابن سينا المكتوبة بالمشرق والمحفوظة فى المكتبات المذكورة.
=

وابن سينا يعد من أبرز فلاسفة الإسلام[1] ولقب بالمعلم الثالث « بعد أرسطو والفارابي »، وقد أقام مذهبًا في الوحدانية في محاولة تركيبية للتأليف بين مبادئ الاسلام وتعالم أفلاطون وأرسطو أو بين الفلسفة والدين، بما

= وهكذا نجد في هذا الكتاب وصفًا تاريخيًا للكتب والشروح الشرقية المتصلة بابن سينا لا مثيل له حتى الآن. وجملة العلماء المشتركين في وضع هذا الكتاب ٢٨، وهو يحتوى على ٤٠ بحثًا ولا شك أنه عظيم الأهمية نفيس القيمة، ولا نستثنى من ذلك إلا القسم المتعلق بالتبعية الوطنية لابن سينا « انظر ما كتبه. عدنان عن هذا الكتاب التذكارى في مجلة أركيسون ج ١٩ سنة ١٩٣٧ ص ٤١١ - ٤١٤ ».

(١) الفلسفة عند ابن سينا صناعة نظر، يستفيد منها الإنسان علم الموجود بما هو موجود. وعلم الواجب عليه فعله، لتشرف نفسه وتصير عالمًا معقولاً مضاهيًا للعالم الموجود، وتسعد السعادة القصوى بالآخرة.

وفي الموسوعة المختصرة مادة ابن سينا النسخة العربية نجد أن الدكتور زكى نجيب محمود الذى أضاف الشخصيات الإسلامية إلى الموسوعة يذكر ص١٣ « .. أما في ميدان المنطق فقد كان من جراء تمسك ابن سينا تمسكًا صارمًا بفكرة أرسطو عن العلة والمعلول أن اشتبك في صراع مع علماء الكلام ذلك أن جبريته المنطقية اصطدمت بجبريتهم الدينية.

وفي ميدان علم النفس، مزج ابن سينا بين أرسطو وأفلوطين في فكرته التي كانت موضع القبول على نطاق واسع، وأعنى فكرته عن خلود النفس العاقلة التي هي جوهر من حيث هي صورة.

وأبعد من ذلك مرمى، ما أسهم به ابن سينا في ميدان الميتافيزيقا، فهو ككل « الفلاسفة » فقد استعان بأفلوطين وفورفوريوس الذى حاول أن يوفق بين أفلاطون وأرسطو، وهو بتوجيهه فكر أفلاطون وجهة تقربه من الواحدية الدينية قد مكن المسلمين من أن يوفقوا بين المعتقدات والمعتقدات التقليدية والفكر اليوناني وقد أحرزت فكرة ابن سينا عن الله الذى يتوحد في ذاته الوجود والماهية، أقول إنها أحرزت رواجًا واسعًا في الغرب، وخاصة على يدى موسى بن ميمون اليهودى.

والفيلسوف المسيحى توماس الأكويني. والأمر كذلك فيما يتعلق بما يترتب على هذه الفكرة من نتيجة تنص على أن الماهية في جميع الكائنات المخلوقة منفصلة عن الوجود الذى ليس سوى عرض من الأعراض، ولما كان ابن سينا قد قبل فكرة أرسطو عن العالم وخاصة فكرة قدم المادة، فقد اصطدم بالمسلمة الدينية، مسلمة « الخلق من العدم » يضاف إلى ذلك أن الخليقة نتيجة ضرورية تلزم عن وجود الله من حيث هو وحدة مطلقة بسيطة تنجمع فيها المعرفة والإرادة والقدرة بماهيته : « والله هو العلة الأولى التي لا علة لها، ومن هنا كان هو الخالق بالضرورة، إلا أن موسى بن ميمون والإكويني يعارضان الفكرة السينوية ويقرران موقف الكتاب المقدس الذى ينص على حدوث الخلق من العدم، حدوثه في الزمان نتيجة لإرادة الله الحرة.

ولكي يسد ابن سينا الفجوة بين الوحى والعقل لاذ بنزعة صوفية عقلية « في كتابه =

حاوله من تأويل عقلي لآيات القرآن الكريم وبما أورده من أدلة عقلية لإثبات النبوة وضرورتها الاجتماعية لتدبير أمور الناس في معاشهم، وتبصيرهم بحقائق حياتهم في معادهم.

ومن أهم كتب ابن سينا الفلسفية - كتاب «الشفاء» و «النجاة»[1].

= الإشارات»). فالصوفي المتأمل «العارف» الذي بلغ أعلى مرتبة من المعرفة يصل إلى الاتحاد العقلي مع الله عن طريق الإدراك الحدسي: والفلسفة العملية جزء من «ميتافيزيقا» ابن سينا، لأن بلوغ السعادة الإنسانية لا يتيسر إلا في مجتمع، والنبوة والشريعة «القانون الإسلامي المنزل على النبي» لا غنى عنها لبقاء الإنسان وسعادته. فالنبي المشرع يأتي للبشرية بقانون إلهي يضمن لها الرفاهية في هذه الدنيا والسعادة في الحياة الآخرة وقد وحد الفارابي النبي المشرع بالملك الفيلسوف عند أفلاطون: أما ابن سينا، فلا يذهب هذا المذهب وإنما يسلم للنبي بمعرفة حدسية تلقائية، وبذلك يضعه في مرتبة أعلى من الفيلسوف: والدولة الإسلامية المثلى التي تتخذ من الشريعة المحمدية دستورًا هي «في فلسفة ابن سينا». قسيمة «لجمهورية أفلاطون» التي بينت «للفلاسفة» - مع كتابة «القوانين» - ما للشريعة من دلالة سياسية، وزودتهم بفكرة العدالة والقانون وهما الأساس المشترك بينهم، الذي أتاح لهم أن يحاولوا التوفيق بين العقائد الإسلامية الأساسية والأفكار الإغريقية، وهنا موضع أصالتهم بوصفهم فلاسفة دين يتخذون من الشريعة العليا محورًا لفلسفتهم وأساسًا.

(١) يقول ألدوميلي ص ٢٠٠ المرجع السابق:

«عمل جند يسالفي ترجمة جزئية للنجاة على أساس طبعة القاهرة سنة ١٩١٣ بعنوان ترجمة جزئية لكتاب النجاة.

Dominicus Gundisalvi, une Traduction partiecile d, al Nagat «Paris 1568».

وتوجد أيضًا ترجمة لاتينية جزئية حديثة للقسم الثالث من كتاب النجاة عنوانها: مختصر ما وراء الطبيعة لابن سينا مترجمًا من العربية إلى اللاتينية مع تعليقات لنعمة الله كرامه، رومة ١٩٢٦.

Avicennae Metaphysices Coupendium ex Arabo, Latinum reddidet et adontationibus adornavit Nematallah Carame Roma 1926.

وتوجد ترجمات جزئية كثيرة لكتاب الشفاء، مثل ترجمة ماكس هورتن: كتاب شفاء النفس دائرة معارف فلسفية لابن سينا، ما وراء الطبيعة ويحتوي على موضوعات فيما وراء الطبيعة والإلهيات، والكونيات والأخلاق من الترجمة والشرح:

Max Horten Das Buch der Genesung der Seele, Eine philos-hist. encyclopadie Avicennas. etc Halle 1907-1909.

ومثل المختصر الذي ترجمه إلى الإنجليزية فان ديك «١٩٠٦».

= Edward Abott Van Dyck Compendium on the Soul.

. . . .

= ويلاحظ أن أغلب الدراسات لكتب الشفاء تتصل بالقسمين الثانى والثالث من الكتاب، المتعلقين بالطبيعيات والميتافيزقيا. وتوجد مخطوطات كثيرة من هذين القسمين، بخلاف القسم الأول الذى يبحث فى المنطق، فهو نادر للغاية ولذلك لم يكن موضع نظر المحدثين على الرغم من أن له قيمة تاريخية كبيرة ولكن الدكتور إبراهيم مدكور فى كتابه الحديث: منطق أرسططاليس فى العالم العربى:

L. organon d. Aristote dans Le monde Arabe «Paris 1934».

اتخذ من القسم الأول من كتاب ابن سينا المذكور دليلاً مرشدًا له فى عرض الموضوع كما قدم أيضًا فى أثناء الكتاب ترجمات لكثير من القطع.

والطبعة العظيمة الفائدة لنا بوجه خاص طبعة المؤلفان «هوليارد» و «مانديفل».

وهى تقدم بعض فقرات من الشفاء كانت توجد فى الترجمات اللاتينية لكتاب أرسططاليس:

Liber de Minerolibus Aristotelis.

على أنها تكون الفصول الثلاثة الأخيرة من الجزء الرابع وقد كان ينظر إليها زمنًا طويلاً على أنها «منحولة ولكن منذ زمن قديم» من تأليف أرسططاليس وكانت تسمى:

Liber de Mineralibus Aristotelis.

وقد أبان المؤلفان، مع نشرهما للنص العربى، أن هذه الفصول فى كتاب الشفاء، وأنها ترجمت عنه، أو أخذت عنه بتوسع مع بعض الحذف، من قبل سارشل Alfred of Sarashel «نحو سنة ١٢٠٠م»، ثم وضعت بعد ذلك على أنها ذيل للجزء الرابع من كتاب أرسططاليس السابق Meteorologie وترجمها من اليونانية العالم الصقلى أرتيسبوس Artisppus على حين أن الكتب الثلاثة الأولى إنما هى تلك التى ترجمها جيراردى كريمونا من العربية «هذه المجموعة تكون ما يسمى Vetus Versio من بين النصين اللاتينيين «المستعملين فى القرون الوسطى» والمؤلفان المعاصران اللذان ذكرنا فى أول التعليق أنهما نشرا النصوص العربية لابن سينا عملا ترجمة إنجليزية دقيقة كثيرة التعليقات ذات فائدة مباشرة لتاريخ العلوم، كما نشرا أخيرًا نص سارشل.

وأما فيما يتعلق بمؤلفات ابن سينا الفلسفية فنذكر - ثانيًا - الكتاب الذى كتبته انسة جواشون:

Mille A. M Goichon introduction à Avicenna Son epitre des definitions, Traduction evec notes, Paris 1933.

وكتب مقدمة هذا الكتاب آسين بالاسيوس M. Asin Palasios وهو كتاب عظيم الأهمية، لأن ابن سينا يشرح فيه بنفسه كثيرًا من الاصلاحات الفنية التى يستعملها فى كتاباته.

وعندنا أيضًا نص: تسع رسائل فى الحكمة والطبيعيات، فى طبعة بالقاهرة ١٩٠٨، ونشر ميرن Mehren بعنوان: رسائل فى التصوف، ليدن ١٨٨٩ - ١٨٩٤ Traites mystiques مؤلفات كثيرة لابن سينا لها هذا الطابع الفلسفى.

وآخر كتب ابن سينا - أخيرًا - فى الفلسفة، وهو كتاب الإشارات والتنبيهات نشر نصه وترجمة له فورجيه بعنوان:

= J. Forget. Le Livre de Thèorêmes et avertissements, Leiden 1892.

وكما أشرنا من قبل فإن كتاب الشفاء يعد موسوعة علمية ضخمة نجد فيها معلومات دقيقة عن الطبيعيات والنباتات والحيوانات والمعادن ففى الجزء الخاص بالطبيعيات تحدث ابن سينا عن الجبال والزلازل، كما تحدث عن سرعة الصوت وسرعة الضوء وإن قال أنها آنية وعن السحب والظل والثلج والبرد والضباب، والهالة وقوس قزح، والشمسيات والنيازك والرياح والبرق والرعد، ويقول إن البرق يرى والرعد يسمع ولا يرى فإذا كان حدوثهما معًا رؤى البرق فى آن وتأخر سماع الرعد لأن مدى البصر أبعد من مدى السمع. كما تناول دراسة النباتات وذكر كثيرًا من الآراء والنظريات حول تولد النبات، وذكره وأنثاه، وأصل مزاجه، وقال إن النبات يشارك الحيوان فى الأفعال والانفعالات المتعلقة بالغذاء، وتحدث عن الذكورة والأنوثة فى النبات، كما تكلم عن الثمار فى النباتات المختلفة والشوك وعن النباتات الساحلية والسبخية والرملية والمائية والجبلية وعن التطعيم والنباتات المستديمة الخضرة وتلك التى تسقط أوراقها فى مواسم معينة.

كما عرض ابن سينا فى الجزء الخاص بالحيوان لدراسات وملاحظات ومشاهدات مختلفة فى وصف أنواع الحيوان والطير وتكلم عن الحيوانات المائية، وقال منها لجية وشطية ومنها طينية وصخرية. والحيوانات المائية منها ذات ملاصق كأصناف من الأصداف، ومنها متبرئة أى متحررة الأجساد مثل السمك والضفدع، واللاصقة منها ما تزال تلصق ولا تبرح ملتصقة مثل أصناف من الصدف والإسفنج. وأسهب فى الحديث عن الحيوانات المائية المختلفة من سمك وغيره. ثم انتقل إلى الحيوانات البرية وتكلم عن الأعضاء المتشابهة وغير المتشابهة والعضلات والرباطات والشرايين والأوردة، والأغشية والألياف العصبية والرئة والقلب والحركة الإرادية وغير الإرادية. وفى الجزء الخاص بالمعادن تحدث عن تحويل المعادن الخسيسة إلى نفيسة وقسم الأجسام المعدنية إلى أحجار، وذائبات وكباريت وأملاح، ويقول وأما ما يدعيه أصحاب الكيمياء فيجب أن نعلم أنه ليس فى أيديهم أن يقلبوا

الأنواع قلبًا حقيقيًا فإن جواهرها تكون محفوظة وإنما تغلب عليها كيفيات مستفادة بحيث يغلط في أمرها.

وكما كان ابن سينا فيلسوفًا مفكرًا فقد كان طبيبًا حاذقًا.

وترجع نظرية ابن سينا في المرض في أساسها لتعالم الإغريق من أن العناصر أربعة[1]، نار وماء وتراب وهواء، وطبائعها أربعة حارة جافة، وبارد رطب، وبارد جاف، وحار رطب «على التوالي» ويقابل هذه العناصر والصفات في الإنسان أخلاط أربعة، وهي الدم والإفراز الصفراوي، والبلغم وإفراز الطحال «السوداء» والأخلاط هي أجسام سيالة يستحيل إليها الغذاء، فالدم له خصائص الهواء حار رطب، والصفراء لها خواص النار حارة جافة، والبلغم له صفات الماء بارد رطب، والطحال له خاصية التراب، بارد جاف، وتذهب النظرية إلى أن الإنسان لا يكون في حالة الصحة إلا بتعادل هذه الأخلاط تعادلاً تامًا بحيث يكسر كل منها الآخر بغير غلبة تامة وأن المرض في نظره اضطراب في نسبة تكوين هذه الأمزجة في الجسم، وهذا أقرب ما يكون لنظرية اضطراب الغدد اللاصفاوية التي يعترف بها الطب حاليًا.

ابن سينا وتشخيصه الدقيق لبعض الأمراض:

يبدأ ابن سينا في كتابه القانون الحديث عن السبب والمرض والعرض فيقول:[2] إن السبب في الطب ما يكون أولاً فيجب عنه وجود حالة من حالات بدن الإنسان أو ثباتها والمرض هيئة غير طبيعية في بدن الإنسان يجب عنها بالذات آفة في الفعل، وجوبًا أوليًا وذلك إما مزاج غير طبيعي وإما تركيب غير طبيعي».

---

(١) من تاريخ الطب عند العرب للدكتور فهيم أبادير ص ٤٤.

(٢) القانون جـ ١ ص ٧٣.

والغَرَض عند ابن سينا يتبع المرض، وهو الشيء الذي يتبع هذه الهيئة وهو غير طبيعي سواء كان مضادًا للطبيعي مثل الوجع في القولنج أو غير مضاد مثل إفراد حمرة الخد في مرض ذات الرئة[1].

ويضرب الشيخ الرئيس ابن سينا أمثلة لذلك فيقول[2]: «مثال السبب العفونة» مثال المرض: الحمى. مثال العرض: العطش والصداع.

وأيضًا مثال السبب امتلاء في الأوعية المنحدرة إلى العين، مثال المرض: السدة في العنبية وهو مرض آلي وتركيبي. مثال العرض: فقدان الإبصار.

وأيضًا مثال السبب نزلة حادة. مثال المرض قرحة في الرئة ومثال العرض حمرة الوجنتين وانجذاب الأظافر.

والعرض عند ابن سينا يسمى عرضًا[3]، باعتبار ذاته أو بقياسه إلى المعروض له.

ويسمى دليلًا باعتبار مطالعة الطبيب إياه وسلوكه منه إلى معرفة ماهية المرض وقد يصير المرض سببًا لمرض آخر كالقولنج للفالج أو الصرع بل قد يصير العرض سببًا للمرض كالوجع الشديد يصير سببًا للورم لانصباب المواد إلى موضع الوجع وقد يصير العرض بنفسه مرضًا كالصداع العارض عن الحمى فإنه ربما استقر واستحكم حتى يصير مرضًا وقد يكون الشيء بالقياس إلى نفسه وإلى شيء قبله وإلى شيء بعده مرضًا وعرضًا وسببًا مثل الحمى السُّلِّيَّة فإنها عرض لقرحة الرئة ومرض في نفسها وسبب لضعف المعدة مثلًا. ومثل الصداع الحاد عن الحمى إذا استحكم فإنه

---

(١) القانون جـ ١ ص ٧٣.

(٢) القانون جـ ١ ص ٧٢.

(٣) القانون جـ ١ ص ٧٣ وص ٧٤.

عرض للحمى ومرض فى نفسه وربما جلب البرسام أو السرسام[1] فصار ذلك سببًا للمرضين المذكورين.

وعند وجود تشابه فى الأعراض يفرق بينها تفريقًا دقيقًا معتمدًا فى ذلك على التشخيص المقارن للأمراض فيفرق بين الصرع والدوار، فيقول[2]: «إن الدوار قد يثبت مدة والصراع يكون بغتة ويسقط صاحبه ساكنًا ويفيق. وأما السدر: فهو أن يكون الإنسان إذا قام أظلمت عيناه وتهيأ للسقوط والشديد منه يشبه الصرع إلا أنه لا يكون مع تشنج كما يكون الصرع.

وكان ابن سينا يستدل على تشخيص المرض من البول والبراز والنبض ويقول: ابن سينا[3]: إنه لا ينبغى أن يوثق بطرق الاستدلال من أحوال البول إلا بعد مراعاة شرائط يجب أن يكون البول أول بول أصبح عليه ولم يدافع به إلى زمان طويل ويثبت من الليل ولم يكن صاحبه شرب ماء. أو أكل طعامًا ولم يكن تناول صباغًا من مأكول أو مشروب كالزعفران والرمان والخيار شنبر فإن ذلك يصبغ البول إلى الصفرة والحمرة وكالبقول فإنها تصبغ إلى الحمرة والزرقة والمسرى فإنه يصبغ إلى السواد والشراب المسكر يغير البول إلى لونه ولا لاقت بشرته صباغًا كالحناء فإن المخضب به ربما انصبغ بوله منه ولا يكون تناول ما بشرته خلطًا كما يُدرّ الصفراء أو البلغم، ولم يكن تعاطى من الحركات والأعمال، ومن الأحوال الخارجة عن المجرى الطبيعى ما يغير الماء لونًا مثل الصوم والسهر والتعب والجوع والغضب فإن هذا كله يصبغ الماء إلى الصفرة والحمرة، والجماع يدسم الماء تدسيمًا شديدًا. ومثل القىء والاستفراغ فإنهما أيضًا يبدلان

---

(١) السرسام ورم فى حجاب الدماغ تحدث عنه حمى دائمة، وتتبعها أعراض رديئة كالسهر واختلاط الذهن «المعجم ص٥٢٧ جـ ١ والبرسام مرض ذات الجنب وهو التهاب فى الغشاء المحيط بالرئة. المرجع السابق جـ ١ ص٤٩.

(٢) القانون جـ ٢ ص ٧٣.

(٣) القانون جـ ١ ص ١٣٥ و ص ١٣٦.

الواجب من لون الماء وقوامه وكذلك إتيان ساعات عليه ولذلك قيل يجب أن لا ينظر فى البول بعد ست ساعات لأن دلائله تضعف ولونه يتغير وثقله يذوب ويتغير أو يكشف أشد على أن أقول ولا بعد ساعة وينبغى أن يؤخذ البول بتمامه فى قارورة واسعة لا يصب منه شىء ويعتبر حاله لا كما يبال بل بعد أن يهدأ فى القارورة بحيث لا يصيبه شمس ولا ريح فيثوره أو يجمده حتى يتميز الرسوب ويتم الاستدلال فليس كما يبال يرسب ولا فى تام النضج جدًا ولا يبال فى قارورة لم تغسل بعد البول الأول وأبوال الصبيان قليلة الدلائل وخصوصًا أبوال الأطفال للبنيتها ولأن المادة الصابغة فيهم ساكنة مغمورة وفى طباعهم من الضعف ومن استعمال النوم الكثير ما يميت دلائل النضج وآلة أخذ البول هو الجسم الشفاف النقى الجوهر كالزجاج الصافى والبلور واعلم أن البول كلما قربته منك ازداد غلظًا وكلما بعدته ازداد صفاء وبهذا يفارق سائر الغش مما يعرض على الأطباء للامتحان وإذا أخذ البول فى قارورة فيجب أن يصان عن تغيير البرد والشمس والريح إياه وأن ينظر إليه فى الضوء من غير أن يقع عليه الشعاع بل يستتر عن الشعاع فحينئذ يحكم عليه من الأعراض التى ترى فيه وليعلم أن الدلالة الأولية للبول هى على حال الكبد والمسالك المائية وعلى أحوال العروق وبتوسطها يدل على أمراض أخرى وأصح دلائلها ما يدل به على الكبد وخصوصًا على أحوال خدمته والدلائل المأخوذة من البول منتزعة من أجناس سبعة جنس اللون وجنس القوام وجنس الصفاء والكدرة وجنس الرسوب وجنس المقدار فى القلة والكثرة وجنس الرائحة وجنس الزبد ومن الناس من يدخل فى هذه الأجناس جنس اللمس وجنس الطعم ونحن أسقطناهما تفردًا وتنفرًا من ذلك ونعنى بقولنا جنس اللون ما يحسه البصر فيه من الألوان أعنى السواد والبياض وما بينهما ونعنى بجنس القوام حاله فى الغلظ والرقة ونعنى بجنس الصفاء والكدورة حاله فى سهولة نفوذ البصر فيه وعسره والفرق بين هذا الجنس وجنس القوام أنه قد يكون غليظ القوام صافيًا معًا مثل بياض البيض ومثل غذاء

السمك المذاب ومثل الزيت وقد يكون رقيق القوام كدرًا كالماء الكدر فإنه أرق كثيرًا من بياض البيض وسبب الكدورة مخالطة أجزاء غريبة اللون دكن أو ملوني بلون آخر وتفارق الرسوب لأن الرسوب قد يميزه الحس ولا يفارق اللون فإن اللون فاش فى جوهر الرطوبة وأشد مخالطة منه.

ويتحدث ابن سينا فى الاستدلال على المرض بالبراز عن طريق دلالة قوامه ولونه أو غلظته ورقته فكل ذلك يدل على أحوال المريض فيقول فى الفصل الثالث عشر من الجزء الثانى من كتابه القانون[1] «البراز قد يستدل من كميته بأن ينظر أنه أقل من المطعوم أو أكثر أو مساو ومن المعلوم أن زيادته بسبب أخلاط كثيرة وقلته لقلتها والاحتباس كثير منه فى الأعور والقولون أو اللفائف وذلك من مقدمات القولنج ويدل على ضعف القوة الدافعة وقد يستدل من قوامه فيدل الرطب منه إما على سدد وإما على سوء هضم وقد يدل على ضعف من الجداول فلا تمتص الرطوبة وقد يكون لنزلات من الرأس أو لتناول شيء مرطب للبراز وأما اللزوجة من الرطب فقد تدل على الذوبان وذلك يكون مع نتن وقد تدل على كثرة أخلاط رديئة لزجة وذلك لا يكون مع فضل نتن وقد تدل على أغذية لزجة تنوولت غير قليلة مع حرارة قوية فى المزاج لم يجد بينهما الهضم وأما الزبدى منه فإنه يدل على غليان من شدة حرارة أو على مخالطة من رياح كثيرة وأما اليابس من البراز فيدل على تعب وتحلل أو على كثرة إدرار بول أو على حرارة نارية أو يبس أغذية أو طول لبث فى المعى ما سنصفه فى بابه وإذا خالط اليابس الصلب رطوبة دل على أن يبسه لطول احتباسه فى رطوبات مانعة له عن البروز وعدم مرار لاذع معجل وإذا لم يكن هناك طول احتباس ولا علامات رطوبة فى الأمعاء فالسبب فيه انصباب فضل صديدى لاذع انصب من الكبد مما يليه ولم يمهل بلذعه ريث أن يختلط وقد يستدل من لون البراز ولونه الطبيعى نارى خفيف النارية فإن اشتد

---

(١) القانون ج ١ ص ١٤٧ و ١٤٨.

دل على كثرة المرار وإن نقص دل على الفجاجة وعدم النضج وإن ابيض فربما كان بياضه بسبب سدة من مجرى المرار فيدل ذلك على يرقان وإن كان مع البياض قيح له ريح المدة فإنه يدل على انفجار دُبَيْلة [والدُّبَيْلة : دُمَّل يظهر فى الجوف فيقتل صاحبه غالبًا] وكثيرًا ما يجلس الصحيح التارك للرياضة صديديًا ومديًا فيكون ذلك استنقاء واستفراغًا محمودًا يزول به ترهله الحادث له لعدم الرياضة وكما قلنا فى البول اعلم أن اللون النارى المفرط جدًا من البراز كثيرًا ما يدل فى وقت منتهى الأمراض على النضج وكثيرًا ما يدل على رداءة الحال والأسود يدل على مثل دلائل البول الأسود فإنه يدل على احتراق شديدًا وعلى نضج مرض سوداوى أو على تناول صابغ أو على شرب شراب مستفرغ للسوداء والأول هو الردىء وأما البراز الأخضر فأنه يدل على انطفاء الغريزة والكمد كذلك وقد يستدل من وقته فإن البراز إذا أسرع خروجه وتقدم العادة فهو دليل ردىء يدل على كثرة مرارة وضعف قوة ماسكة وإن أبطأ خروجه دل على ضعف الهاضمة وبرد الأمعاء وكثرة الرطوبة والصوت يدل على رياح نافخة والألوان المنكرة والمختلفة رديئة وأفضل البراز المجتمع المتشابه الأجزاء الشديد اختلاط المائية باليبوسة الذى ثخنه كثخن العسل وهو سهل الخروج لا يلذع ولونه إلى الصفرة غير شديد النتن وهو الذى خروجه فى الوقت المعتاد بمقدار تقارب المأكول فى الكمية واعلم أنه ليس كل استواء براز محمود ولا كل ملاسة فإنهما ربما كانا للنضج البالغ المتشابه فى كل جزء وربما كانا لاحتراق وذوبان ومتشابه وهما حينئذ من شر العلامات واعلم أن البراز المعتدل القوام هو الذى إلى الرقة إنما يكون محمودًا إذا لم يكن مع قراقر ورياح ولا كان منقطع الخروج قليلاً قليلاً وإلا فيجوز أن يكون اندفاعه لصديد يخالطه مزعج فلا بذره يجتمع هذا وقد يراعى علامات تظهر فى العروق وفى أشياء أخر إلا أن الكلام فيها أخص بالكلام الجزئى وكذلك نجد فى الكلام الجزئى فضل شرح لأمر البراز والبول وغير ذلك.

ومن النبض يستدل أيضًا على تشخيص المرض فيتحدث فى تسعة

عشر فصلاً[١] عن النبض المستوى «والمختلف» والطبيعى من أسباب النبض، وأسباب وأنواع النبض ونبض الذكور والإناث، ونبض الأسنان، ونبض الأمزجة، ونبض الفصول، ونبض الأماكن والأبدان، والنبض الذى توجبه بعض المتناولات والمنبهات، وموجبات النوم واليقظة فى النبض، وأحكام نبض الرياضة وأحكام نبض المستحمين، ونبض الحبالى من النساء ونبض الأوجاع والأورام، ونبض العوارض النفسية. والفصل التاسع عشر فى حديثه عن النبض موضوعه : فى جملة تغيير الأمور المضادة لطبيعة هيئة النبض وهكذا من خلال الاستدلالات الثلاثة البول والبراز والنبض يمكن للطبيب فى رأى ابن سينا أن يستدل إلى حد مناسب ويتعرف على المرض وتشخيصه. وذلك يعتمد بالدرجة الأولى على خبرة الطبيب ومهارته وثقافته الطبية وتجاربه المعملية الدقيقة.

أهم مجهودات ابن سينا الطبية :

لعل من أبرز مجهودات ابن سينا الطبية أنه أول من لفت النظر إلى طفيلة الإنكلستوما فقد جاء فى مقال نفيس فى مجلة الرسالة للأستاذ الدكتور محمد عبد الخالق رحمه الله تعليقًا على مقال للأستاذ / قدرى طوقان ما يلى[٢] : «وأود أن ألفت النظر إلى أن ابن سينا أول من كشف الطفيلية الموجودة فى الإنسان المسماة بالإنكلستوما. وقد كان هذا الاكتشاف فى كتابه القانون فى الطب فى الفصل الخاص بالديدان المعوية».

يقول الأستاذ قدرى طوقان[٣] : «وهذه العدوى تصيب الآن نصف سكان المعمورة تقريبًا. وقد بلغ ما كتب عن هذا المرض من المقالات والكتب إلى سنة ١٩٢٢ «٥٠٠٠٠» مرجع، عنيت بجمعها مؤسسة

---

(١) القانون جـ ١ ص ١٢٣ إلى ص ١٣٥.

(٢) العلوم عند العرب الأستاذ فوزى طوقان ص ١٧.

(٣) المرجع السابق ص ١٨.

« روكفلر » بأمريكا. وقد سمى ابن سينا هذه الطفيلية - الدودة المستديرة -، وقد كان لى الشرف فى سنة ١٩٢١ أن قمت بفحص ما جاء فى كتاب القانون فى الطب، وأمكننى أن أقوم بتشخيصها بدقة وتبين من هذا أن الدودة المستديرة التى ذكرها ابن سينا هى ما نسميه الآن بالإنكلستوما وقد أعاد « دوبنى » اكتشافها بإيطاليا سنة ١٨٣٨ أى بعد كشف ابن سينا لها بتسعمائة سنة تقريبًا.. وقد أخذ جميع المؤلفين فى علم الطفيليات بهذا الرأى فى المؤلفات الحديثة، وكذلك مؤسسة « روكفلر ».. ولذلك كتبت هذا ليطلع عليه الناس ويضيفوا إلى اكتشافات ابن سينا العديدة هذا الاكتشاف العظيم لمرض هو أكبر الأمراض انتشارًا فى العالم الآن...

وجاء فى كتاب القانون لابن سينا ما يدل على أن العرب عرفوا السُّل الرئوى وقد أشاروا إليه بوضوح، وقالوا بانتقال الأمراض بالماء والتراب.

وفى كتاب القانون المذكور أول وصف لداء الفيلاريا « مرض الفيل » وانتشاره فى الجسم، وأول وصف للجمرة الخبيثة التى كانوا يطلقون عليها النار الفارسية.

ومن مجهودات ابن سينا الطبية البارزة أنه[1] : تمكن من ملاحظاته السريرية من أن يصف فى دقة تقيح التجويف البلورى وأن يميز بين الالتهاب الرئوى والالتهاب السحائى الحاد، ويفرق بين المغص المعوى والمغص الكلوى، وبين شلل الوجه الناشىء عن سبب مركزى فى الدماغ، وما ينشأ منه من سبب محلى.

وحدد مختلف أنواع اليرقات وأسبابها، وكان صاحب الفضل فى علاج القناة الدمعية بإدخال مسبار معقم فيها... وأوصى ابن سينا بتغليف

(١) فى تراثنا العربى الإسلامى للدكتور توفيق الطويل ص ١٣٩ و ص ١٤٠.

الحبوب التى يتعاطها المريض، وكشف فى دقة بالغة عن أعراض حصاة المثانة السريرية بعد أن أشار إلى اختلافها عن أعراض الحصاة الكُلوية.

ويقول الدكتور خير الله فى كتابه الطب العربى : ويصعب علينا فى هذا العصر أن نضيف شيئًا جديدًا إلى وصف ابن سينا لأعراض حصى المثانة السريرية[1].

وتقول هونكة[2] : كان ابن سينا أول من وضع تشخيصًا دقيقًا عن التهاب الأضلاع والتهاب الرئة وخراج الكبد.

وقدم ابن سينا أول وصف وتشخيص كامل للجمرة الخبيثة وما ينتج عنها من حمى سماها بالحمى الفارسية وليس بالنار الفارسية.

وأشار ابن سينا إلى[3] «عدوى السل الرئوى وإلى انتقال الأمراض بالماء، والتراب. وكذلك أحسن ابن سينا وصف الأمراض الجلدية والأمراض التناسلية. ودرس الاضطرابات العصبية».

ومن مجهوداته الطبية أيضًا وصفه الدقيق لحالات النواسير البولية وحمى النفاس والعقم، وتعليله الصحيح للذكورة والأنوثة فى الجنين ونسبتها إلى الرجل دون المرأة، وفى طب النساء نلاحظ وصفه العلمى لحالات الانسداد المهبلى، والإسقاط والأورام الليفية وغيرها، وكذلك إشاراته إلى أن الحواس الخارجية كالبصر والسمع والذوق لها مركز فى الدماغ.

ومن ناحية الطب النفسى فقد كان ابن سينا يرى أن للعوامل النفسية التأثير البالغ على أعضاء الجسم ووظائفه.

بل إن ابن سينا يسلك العشق فى عداد الأمراض[4] بما له من

---

(١) نقلاً عن العلوم عند العرب للأستاذ قدرى طوقان ص ١٥٦.
(٢) شمس العرب : ص ٢٧٢.
(٣) العلوم عند العرب للأستاذ قدرى طوقان ص ١٥٧.
(٤) الشيخ الرئيس ابن سينا للعقاد ص ١٢٢، ص ١٢٣.

الأعراض الجسدية ثم يصف الحيلة فى علاجه - وقد روى أنه جربها وأفاد بها فيقول :

والحيلة فى ذلك أن يذكر أسماء كثيرة تعاد مرارًا، وتكون اليد على نبضه فإذا اختلف بذلك اختلافًا عظيمًا وصار شبه المتقطع ثم عاود وجربت ذلك مرارًا علمت أنه اسم المعشوق، ثم يذكر كذلك السكك، والمساكن، والحرف، والصناعات والنسب والبلدان. ويضيف كلًا منها إلى اسم المعشوق ويحفظ النبض حتى إذا كان يتغير عند ذكر شىء واحد مرارًا جمعت من ذلك خواص معشوقه من الاسم والحىّ والحرفة وعرفته فإنَّا قد جربنا هذا واستخرجنا به ما كان فى الوقوف عليه منفعة ».

ثم يصف العلاج، فإذا هو يذكر فيه التغذية الصالحة والمنومات التى لا ضرر فيها مع العوامل النفسية على اختلافها.

وقد ذكر أحمد بن عمر بن على النظامى، فى مقالاته الأربعة طريقة نفسية حسنة اتبعها ابن سينا فى علاج فتى من آل بُويْه خولط فى عقله. وتوهم أنه بقرة سائمة فصار يمشى على أربع ويخور خوار الأبقار ويصيحُ بمن حوله. اقتلونى. اقتلونى، واطبخوا أكلة لذيذة من لحمى. فأوصى ابن سينا تلميذًا له أن يقف على مسمع من الفتى المريض فينادى : « ها هو ذا الجزار مقبل إليك ثم دخل ابن سينا، وفى يده مدية كبيرة وهو يقول : أين هذه البقرة لأذبحها ؟ ثم أمر بالفتى فألقى على الأرض وأوثق بالحبال ووضعت المدية على عنقه، ثم نهض الطبيب وهو يقول : كلا إنها بقرة عجفاء لا تساوى مئونة الذبح حتى تعلف وتسمن. . . وكان هذا هو العلاج المطلوب، لأن الفتى المخبول كان قد صدف عن الطعام وأهمل نفسه، فزاده نقص التغذية هزالاً على هزال وخبالاً على خبال. فلما أكل ما ينفعه ويغذيه عاد إليه العقل مع الصحة والاعتدال.

ومن هذه الأمثلة : نعرف بعض الشىء عن منهج ابن سينا فى طبه

وعلاجه. فلا نستعظم تلك المكانة العالمية على طبيب يباشر الطب على أنه علم طبيعى، بعيد عن الأوهام والخرافات، ويستعين فى علاجه بذلك النظر الصائب وتلك الفطنة الرحبة ويحيط بعوارض الأعضاء، ولا ينسى مداخل النفس فى تصحيح الأجسام.

وكتابات ابن سينا فى الطب واضحة بيِّنة يفهمها المتخصص الدارس بسهولة ويسر شديدين. يقول الأستاذ كمستون Cumston فى كتابه «تاريخ الطب من عهد الفراعنة إلى القرن الثانى عشر»[1] «ما على الإنسان إلا أن يقرأ جالينوس، ثم ينتقل منه إلى ابن سينا ليرى الفارق بينهما. فالأول غامض، والثانى واضح كل الوضوح، والتنسيق والمنهج المنتظم سائدان فى كتابات ابن سينا ونحن نبحث عنهما عبثًا فى كتابات جالينوس.. ولعله لم يظهر قبله ولا بعده نظير لهذا النضج الباكر، وهذه السهولة الممتعة، وهذه الفطنة الواسعة، مقرونة بمثل هذه المثابرة فى مثل هذا الأفق الفسيح».

أهم الكتب الطبية لابن سينا :

كتاب القانون[2] فى الطب لابن سينا ظل العمدة المرجع فى تعلم فن الطب حتى أواسط القرن السابع عشر فى جامعات أوربا.

---

(١) الشيخ الرئيس ابن سينا للعقاد ص ١٢٤.

(٢) يقول الدوميلى ص ١٩٧، ١٩٩ المرجع السابق :

«توجد من القانون طبعات شرقية كثيرة، وطبعة بولاق فى القاهرة سنة ١٨٧٧ جيدة على وجه الخصوص.

ولدينا فى الغرب طبعة فاخرة طبعت فى رومة ١٥٩٣، وهى تشتمل أيضًا على كتاب : النجاة.

وترجم «جيراردى كريمونا» كتاب القانون بأكمله، ونشرت ترجمته هذه فى عصر النهضة فى طبعات كثيرة بعضها كاملة وبعضها جزئية. ومن أقدمها «كاملة» طبعة ميلانو ١٤٧٣، بادوا ١٤٧٦، البندقية ١٤٨٣/٢، وكتب ناثان هامئتى فى رومة سنة ١٢٧٩ ترجمة عبرية للقانون طبعت فى نابلى ١٤٩١ - ١٤٩٢ : ومن طبعات القرن السادس عشر - وهى كثيرة ونستحق عناية =

ويقول نوبرجر Neuburger[1] في كتابه المطول عن تاريخ الطب «إنهم كانوا ينظرون إلى كتاب القانون كأنه وحي معصوم، ويزيدهم إكبارًا له تنسيقه المنطقي الذي لا يعاب ومقدماته التي كانت تبدو لأبناء تلك العصور كأنها القضايا المسلمة والمقررات البديهية».

= خاصة – الطبعة التي نشرها في البندقية Les Giunta وهي موجودة منذ سنة ١٥٢٧ والطبعات التي طبعت سنة ١٥٩١ وسنة ١٦٠٨ في جزئين وهي أكمل الطبعات.

والطبيب : نيقولوماسا Niccola Massa « المتوفي ١٥٦٩ ». الذي ترجم الترجمة التي كتبها لابن سينا الجرجاني هو المؤلف المشهور لكتاب :

Liber de Morbo Gallico «Prem, éd. 1532». Liber introductorius anatomieâ Sive dissectionis Corporis humani «Première èd. 1536».

أما عن تراجم القانون التي كتبت في عصر النهضة فنحن مدينون بترجمة جيدة إلى : Gerolamo Ramusio «1450'1486» وقد بقيت هذه الترجمة دون طبع.

ولكن كثيرًا من المتبحرين المتأخرين أمكنهم الانتفاع بها في نصوصهم الخاصة.

ويقابل هذه الكثرة العظيمة من الطبعات في عصر النهضة انعدام ترجمات كاملة في العصر الحديث أوالمعاصر. ويمكن أن نذكر من الترجمات الجزئية ترجمة جرونر:

O. Cameron Gruner, Atreatise on the Canon of Medicine of Avicenna, London 1930.

وقد بدأها بدراسة مفصلة للكتاب برمته، ثم أتبعها بترجمة الجزء الأول.

وترجم دي كونتج القسم الخاص بالتشريح في كتابه :

P. de koning. Trdis Troites d Anatomie Arabe «1903».

كما في القسم الخاص بالتشريح في كتابه :

Traite Sur Le Calcul dans les Reins et la Vessie.

وترجم هرشبرج ولبرت القسم الخاص بالرمد في : علاج العيون لابن سينا ليبزج ١٩٠٢ :

Hiyschberg et J. L. Lippert, La Partie ophtalm ologue dans die Augen' Heikunde des ibn Sina «Leipzig 1902».

وترجم يوسف فون زنتهيمر الكتاب الخامس من القانون في : الأدوية المركبة عند العرب وفقًا للكتاب الخامس من القانون مع الترجمة، فرايبورج ١٨٤٤.

Jos. V. Sontheimer, Die Zusammenegesetzten Heilmittel der Ardaber nach Dem 5' Buch des Canons ubersetzt «Feiburg, 1844».

وتوجد أيضًا بعض رسائل الدكتوراه في جامعة برلين عملها كل من :

ميخايلوفسكي سنة ١٩٠٠ E. Michailowsky واوسبانسكي سنة ١٩٠٠ P. Uspansky Th. Bernipon وكلها تحتوي على ترجمات لفقرات مختلفة.

(١) عن كتاب الشيخ الرئيس ابن سينا لعباس محمود العقاد ص ١٢٠.

وإنما تبوأ كتاب ابن سينا هذه المكانة الرفيعة، بين المراجع العالمية لأنه كان أوفى مرجع من مراجع الطب القديم وظل كذلك إلى عهد الموسوعات العصرية قبيل القرن التاسع عشر بقليل، واجتمعت له مزايا الإحاطة والتحرى والاستقصاء والتنسيق، فاشتمل على تراث أم الحضارة فى أصول الطب وفروعه من شرح الأعراض إلى وصف العلاج إلى سرد أسماء العقاقير والأدوية، ومواصلة الجراحات وأدوات الجراحة مع قدرة على الترتيب الموسوعى قل نظيرها فى زمانه».

وتقول هونكة[1] : «إن كتب أعاظم الإغريق والأسكندريين ليبهت لونها ويقل شأنها أمام كتاب «القانون» لأمير الأطباء الرئيس ابن سينا، ذلك الكتاب الذى كان له أعظم الأثر فى بلاد الشرق وبلاد الغرب على حد سواء قرونًا طويلة من الزمن بشكل لم يكن له أى مثيل فى تاريخ الطب إطلاقًا.

وأية عظمة وأية عبقرية هذه التى جمعت كل هذه المعارف النظرية والعلمية للطب مع كل فروعها، ونظمتها بشكل فريد فى نوعه، ودبجتها ببراعة هى البلاغة والأصالة بعينها «فأصبح الكتاب تحقيقًا هامًا فريدًا من نوعه بين كتب الطب فى كل العصور»، كما يقول سود هوف Sud hoff. هذا وكان قد أزمع الرئيس أن يلحق «بالقانون» مجموعة من ملاحظاته وأبحاثه، ولكنها ضاعت قبل أن تنشر غير أن المقدرة الفائقة وروعة التصوير العظيمة الشأن عند ابن سينا ككاتب قد بهرتا العالم بقوة، بحيث أن الجميع أغفلوا فيه شخصية الباحث والعلامة التجريبى وصرفوا همهم إلى إبداء آيات الإعجاب، فعدوه سيد النظام والشكل، ورأوا فيه ما فقدوه فى بطل الإغريق، جالينوس، لقد رأوا فيه مكمل «الجالينية» العظم.

(١) فى كتابها شمس العرب تسطع على الغرب ص ٢٨٩.

وقد كان هذا التقدير عن استحقاق، ذلك أن الرئيس قد تفوق على الجميع بتنظيمه المنهجى وبتقسيمه المنطقى، وبوضوحه البليغ وبترتيبه الباهر وتماسكه المحمود نقول لقد تقوى بهذا كله على كل طرق جالينوس المعقدة حينًا والعقيمة أحيانًا، والمغلوطة غالبًا، فى الكتابة عن بعض الأشياء كحديثه عن الأمزجة وغيرها.. «كما قال فيلا موفيتز مولندروف «Wilamowitz Mollendorff».

ولقد استفاد ابن سينا من دراساته الفلسفية العميقة وتبحره فى المنطق والفلسفة وعقليته الجبارة فى تحليل المسائل وتبويبها تبويبًا منطقيًا سليمًا. ذلك بائن كل البيان فى كتابه هذا حيث نجد أنفسنا أمام عقلية علمية وفلسفية فى الوقت ذاته[1]، وهذا المد والجزر بين العلم والفلسفة واضح جدًا فى كتاب القانون.

ولعل ابن سينا كان يشعر به فتراه يضع للطبيب حدودًا يجب أن لا يتعداها إلى ما هو من عمل الفلاسفة، وواضح من أقواله أنه يضع الفلسفة قبل العلم أو فوقه وله الحق فى ذلك لأن العلم حينذاك لم يكن من القوة بحيث لا يحتاج إلى الفلسفة أما الفلسفة فكانت فى غنى عن العلم وكتاب القانون حين يعرض للكليات يعرض لها فى اطمئنان وقوة وثقة مستمدة من الفلسفة أما الجزئيات التى لا تمس المبادئ الفلسفية فقوله فيها علمى خالص والمقارنة بين كلياته وطابعها الفلسفى وجزئياته وطابعها العلمى من البحوث الممتعة فى كتاب القانون.

أما ما أفاده الطب من تعمق ابن سينا فى الفلسفة فواضح جدًا فى كتاب القانون، وهو كتاب أظهر ما فيه التنسيق والتبويب فتراه يسير فى ذلك على نظام محكم دقيق والكثير من أرقى الكتابات الطبية سيظل دائمًا مظهرًا لحسن التقسيم والتبويب والتنظيم ولكن التبويب فى كتاب القانون

(١) مجلة رسالة العلم عدد يوليو - سبتمبر ١٩٥٢ ص١٩٢ عن بحث للدكتور محمد كامل حسين الق فى احتفال جمعية تاريخ العلوم بالعيد الألفى لابن سينا.

أقرب إلى ما يعجب الفيلسوف منه إلى ما يعجب الطبيب فقد يحدث أن يذكر ابن سينا بابًا أو فصلاً لا لأهميته الطبية ولكن لحاجته إليه فى التقسيم المنطق الذى هو بصدده، ولو أن المؤلف كان طبيبًا غير فيلسوف لأهمل مثل هذا الفصل إهمالاً تامًا، ولا نزاع أن الطب يفيد كثيرًا من المرانة على التبويب والتقسيم فإنه لو ظل مجرد مشاهدات متناثرة لوقف عن الرقى. إلا أن الأقدمين أسرفوا فخرجوا بالطب عن غايته الأولى وهى التشخيص والعلاج خضوعًا لآرائهم الفلسفية، وكتب الطب القديم تعتمد على المنطق أكثر من اعتمادها على الخبرة والواقع.

ومن بداية القانون يرسم ابن سينا منهجه العلمى فى وضع الكتاب فى أولى صفحاته[1] ورأيت أن أتكلم أولاً فى الأمور العامة الكلية فى كلا قِسْمَىْ الطب أعنى القسم النظرى والقسم العملى، ثم بعد ذلك أتكلم فى كليات أحكام قوى الأدوية المفردة ثم فى جزئياتها ثم بعد ذلك فى الأمراض الواقعة بعضو عضو فابتدأ أولاً بتشريح ذلك العضو ومنفعته. وأما تشريح الأعضاء المفردة البسيطة فيكون قد سبق منى ذكره فى الكتاب الأول الكلى وكذلك منافعها ثم إذا فرغت من تشريح ذلك العضو ابتدأت فى أكثر المواضع بالدلالة على كيفية حفظ صحته ثم دللت بالقول المطلق على كليات أمراضه وأسبابها وطرق الاستدلالات عليها وطرق معالجتها بالقول الكلى أيضًا فإذا فرغت من هذه الأمور الكلية أقبلت على الأمراض الجزئية ودللت أولاً فى أكثرها أيضًا على الحكم الكلى فى حده وأسبابه ودلائله ثم تخلصت إلى الأحكام الجزئية ثم أعطيت القانون الكلى فى المعالجة ثم نزلت إلى المعالجات الجزئية بدواء بسيط أو مركب وما كان سلف ذكره من الأدوية المفردة ومنفعته فى الأمراض فى كتاب الأدوية المفردة فى الجداول والأصباغ التى أرى استعمالها فيه كما تقف أيها المتعلم عليه إذا وصلت إليه لم أكرر إلا قليلا منه وما كان من الأدوية المركبة

---

(١) ص٢ مقدمة ابن سينا لكتاب القانون.

إنما الأحرى به أن يكون فى الأقراباذين الذى نرى أن أعمله ولهذا أخرت ذكر منافعه وكيفية خلطه إليه ورأيت أن أفرغ من هذا الكتاب إلى كتاب أيضًا فى الأمور الجزئية مختص بذكر الأمراض التى إذا وقعت لم تختص بعضو بعينه ونورد هنا لك أيضًا الكلام فى الزينة وأن أسلك فى هذا الكتاب أيضًا مسلكى فى الكتاب الجزئى الذى قبله. فإذا تهيأ بتوفيق الله تعالى الفراغ من هذا الكتاب جمعت بعده كتاب الأقرابازين. وهذا كتاب لا يسع من يدعى هذه الصناعة ويكتسب بها أن لا يكون جعله معلومًا محفوظًا عنده فإنه مشتمل على أقل ما لابد منه للطبيب».

وهكذا نلاحظ أن منهج ابن سنا فى كتابه القانون يبدأ بتشريح الأعضاء ووظائف الأعضاء ثم طبائع الأمراض وبعد ذلك يكون العلاج وهو منهج دقيق لدراسة الطب دراسة أكاديمية صحيحة.

وكما ذكرنا من قبل فإن القانون قُسِّم تقسيمات منطقية مناسبة مترابطة فالكتاب يشتمل على خمسة أجزاء. خصص الجزء الأول منها للأمور الكلية فهو يتناول حدود الطب وموضوعاته والأركان والأمزجة والأخلاط وماهية العضو وأقسامه والعظام وتصنيف الأمراض وأسبابها بصفة عامة والطرائق العامة للعلاج كالمسهلات والحمامات.

وخصص الجزء الثانى للمفردات الطبية وينقسم إلى قسمين:

الأول يدرس ماهية الدواء وصفاته ومفعول كل دواء من الأدوية على كل عضو من أعضاء الجسم، ويسرد الثانى المفردات مرتبة ترتيبًا ابجديًا. وخصص الجزء الثالث لأمراض كل جزء من الجسم من الرأس إلى القدم.

أما الجزء الرابع فيتناول الأمراض التى لا تقتصر على عضو واحد كالحميات وبعض المسائل الأخرى كالأورام والبثور والجذام والكسر والجبر والزينة وفى الجزء الخامس دراسة فى الأدوية المركبة.

ومن كتب ابن سينا الطبية والتربوية كتابه المخطوط «أسباب حدوث الحروف»[١] والكتاب يعد دراسة لعلم الصوتيات من وجهة اللغتين العربية والفارسية.

ويشتمل المخطوط على ستة فصول هى :

الفصل الأول : فى سبب حدوث الصوت، ويعزى ذلك السبب إلى تموج الهواء دفعة وبقوة وبسرعة وللتموج علتان : قرع وقلع.

فالقرع هو تقريب جرم ما إلى مقاوم لمزاحمته تقريبًا، تتبعه ممارسة عنيفة لسرعة حركة التقريب وقوتها.

والقلع تبعيد جرم عن جرم آخر مماس له منطبق أحدهما على الآخر تبعيدًا ينقلع عن ممارسته انقلاعًا عنيفًا لسرعة حركة التبعيد.

والفصل الثانى: فى سبب حدوث الحروف فيقول:

إن حال التموج من جهة الهيئات التى تستفيد بها من الخارج والمحابس فى ملكه هو الذى يفعل الحروف.

والحرف هو هيئة الصوت عارضة له يتميز بها عن صوت آخر مثله فى الحدة والثقل تميزًا فى المسموع، والحروف بعضها مفردة وحدوثها عن حبسات تامة للصوت أو الهواء الفاعل للصوت، وبعضها مركبة وحدوثها عن حبسات غير تامة لكى تتبعها إطلاقات.

والفصل الثالث فى تشريح الحنجرة، وهى تتركب من غضاريف ثلاثة.

١ - الغضروف الدرقى والترسى.

---

(١) الكتاب بدار الكتب المصرية بالخزانة التيمورية مجموعة ٣٠٠ ولم يذكر ناسخه تاريخ نسخ الكتاب.

٢ - والغضروف الثانى خلفه مقابل سطحه، وسطحه متصل به بالرباطات يمنة ويسرة منفصل عنه إلى فوق.

٣ - الغضروف الثالث ويسميه «المكبر» و «الطرجهارى».

والفصل الرابع : فى الأسباب الجزئية لحرف من حروف العرب.

والفصل الخامس : فى الحروف الشبيهة بهذه الحروف وليست فى لغة العرب مثل حرف الجيم الفارسى فنسبة الجيم العربية إلى هذه الجيم نسبة الكاف غير العربية إلى الكاف العربية.

والفصل السادس : فى أن هذه الحروف من أى الحركات غير النطقية قد تسمع، فالهاء مثلاً تسمع عن تصعد الهواء بقوة فى جسم غير ممانع كالهواء مثلاً، والقاف عن شق الأجسام وقلعها.

ومن مؤلفاته الطبية المعروفة أرجوزة فى الطب.

ولقد لخص ابن سينا من خلال أرجوزته فى الطب كتاب القانون والأرجوزة تقع فى حوالى ١٣٢٩ بيتًا وترجمت إلى اللاتينية فى العصور الوسطى. ونقلت إلى الفرنسية فى الجزائر عام ١٩٥٦ وهذه الأرجوزة فى الطب بمنزلة ألفية بن مالك فى النحو.

ويقول الدكتور سامى حمارنة أن هذه الأرجوزة مع شهرتها وسعة انتشارها فهى على العموم سطحية تقليدية فى نقل العلوم الطبية لم تأت بجديد مبتكر ولا بما هو مجرب مستحدث ولكن سهل تناقلها لسبب صياغتها الشعرية المقبولة لدى ذوق السامعين آنذاك[١].

والحقيقة أن الأرجوزة اشتهرت فى الشرق والغرب ونقلها كثير من النساخ والكتاب ويقول الدكتور حمارنة[٢] ويبدو لى من مراجعة كثير من

---

(١) تاريخ الصيدلة والطب العربى للدكتور سامى حمارنه ص ٢٤.

(٢) المرجع السابق ص ٢٥.

النسخ الباقية فى مكتبات كثيرة أن الأرجوزة «أحيانًا كاملة وأحيانًا مجزأة أو حاوية أقسامًا معينة منها» قد نسخت ونقلت وطبعت بزيادات وتغييرات وإضافات أو حذف حسب واقع الحال وهكذا تداولتها الأيدى وإن كثيرين من متعاطى مهنة الطب بناء على شهرة ابن سينا الفلسفية والطبية كتبوا أو نقلوا أو ألفوا أراجيز طبية متقاربة فى أوزانها إلى أرجوزة ابن سينا وقد نسبوها إليه لاسيما النساخ لإعطائها قيمة معنوية أخرى، وآخرين كأحمد بن الحسن الخطيب القسطنطينى نظم سنة ٧١٢ هـ أرجوزة تقع فى ٣٢٠ بيتًا من الشعر ومن قبله نظم الطبيب أبو الثناء سديد الدين محمود بن عمران الشيبانى ابن الرفيعة المتوفى سنة ٦٣٥ هـ أرجوزة فى القصد، ثم إن ميرزًا محمد حسن بن زين العابدين كتب قصيدة وشرحها بنفسه فى سنة ١٢٩٤ هـ مطلعها:

الحمد لله الطبيب الشافى الواهب الصحة والمعافى

لذلك سميت الشافية، وأخرى نظمها محمد بن محمد مهدى المشهور بميرزا قوام الدين السيفى الحسينى القزوينى المتوفى سنة ١١٥٠ هـ نقل عنها محمد تقى الدين القزوينى فى حاشية كتابه نهاية التحرير، وقد ذكر أنها مختصر للقانونجة تحت اسم مفرح العوام. وينسب لابن سينا أرجوزة فى المجربات فى الأحكام النجومية والقواعد الطبية مطلعها:

أبدأ باسم الله فى نظم حسن أذكر ما جربت فى طول الزمن

وحاجى خليفة فى كشف الظنون، ج ٦٣٠١ يقرر أن أرجوزة ابن سينا تبدأ هكذا:

الطب حفظ صحة برء مرض من سبب فى بدن منه عرض

أما هذا المخطوط فأوله:[1]

---

(١) ذكر الدكتور حارنة أن هذا المخطوط يقع فى ٥ ورقات بحجم ١٨×٢٥,٥ وتحوى كل صفحة ١٥ سطرًا والكتابة بخط نسخ كبير جميل.

قال راجى ربه ابن سينا ولم يزل بالله مستعينا
ما الشيخ فى مزاجه كالطفل كلا ولا الصبى كالكهل
والروح لا تشبهها أرض اليمن ولا لبغداد مزاج كعدن
ولا ربيع الوقت كالخريف ولا الشتا فى الطبع كالمصيف

ثم يتحدث المؤلف فيها عن الأمزجة والفصول وينتهى بالقول فى الأغذية وتدابير الطعام والشراب :

فالماعز احذره ولحم البقر والبقر والعجل الردى والجزر
وكل رطب بارد تجنبه ولا تهون فيه واحذر تقربه

علاء الدين ابن النفيس

.. هو علاء الدين بن النفيس القرشي الدمشقي ولد بدمشق في حكم الأيوبيين حوالى سنة ٦٠٧ هـ ، ١٢١٠ م، أثناء ولاية العادل سيف الدين لدمشق الذى وليها حوالى سنة ٥٩٥ هـ - ١١٩٩ م، وتوفى عن نحو ثمانين سنة قرابة سنة ٦٨٧هـ ، ١٢٨٨ م،. وقد وفد إلى القاهرة سنة ٦٣٣ هـ - ١٢٣٦ م في عهد الكامل محمد الأيوبي ، ٦١٤ هـ - ١٢١٨ م - ٦٣٥ هـ - ١٢٣٨ م، ويعد ابن النفيس أبرز تلاميذ الداخوار[1] وتتلمذ ابن النفيس أيضًا في دمشق على يد عمران الإسرائيلي[2] الذى ولد بدمشق سنة ٥٦١ هـ - ١١٦٥ م وتوفى بها سنة ٦٣٧ هـ - ١٢٣٩ م.

.. وقد اهتم ابن النفيس بجانب مهنة الطب بعلم البيان والمنطق والفلسفة، ودرس كتب جالينوس وابن سينا دراسة دقيقة وكان عالمًا بالتشريح حاذقًا لهذا الفن على الرغم من أنه زعم أنه لم يمارس التشريح

---

(١) هو الدخوار مهذب الدين عبد الرحيم علي، المعروف بالدخوار، ت عام ٦٢٨ هـ - ١٢٣٠ م، كان رئيس أطباء سورية ومصر في عهد السلطان سيف الدين أخو صلاح الدين الأيوبي.

.. وقد ترجم له أبو الفضل العمرى في «مسالك الأبصار في أخبار ملوك الأمصار» وكذا ترجم له ابن أبي أصيبعة ترجمة دقيقة.. وكان الدخوار من أطباء العيون الحاذقين في معرفة أمراضها.

(٢) يقول عنه تلميذه ابن أبي أصيبعة «عمران الإسرائيلي» اشتغل بصناعة الطب على الشيخ رضي الدين الرحبي، وصار من أكابر المتعينين من أهلها.. وكان يتردد إلى البيمارستان الكبير ويعالج المرضى به، وكان به أيضًا في ذلك الوقت شيخنا مهذب الدين عبد الرحمن بن علي رحمه الله، وكان يظهر من اجتماعهما كل فضيلة، ويتهيأ للمرضى من المداواة كل خير، وتوفى الحكيم عمران في مدينة حمص في شهر جمادى الأولى سنة سبع وثلاثين وستمائة. «طبقات الأطباء ص ٦٩٧».

لوازع الشريعة والرحمة فكتاباته العلمية الدقيقة عن التشريح تؤكد دقة علمه بالتشريح.

وقد وصل من خلال اهتمامه بالتشريح إلى عدة نتائج هامة منها[1].

أولاً : إن تغذية القلب تحصل بواسطة الدم الذى يجرى فى العروق الموزعة فى أنحاء القلب كله وليس كما ادعى الجميع حتى الآن، فى البطين الأيمن من القلب، وبهذا يكون ابن النفيس أول من اكتشف الدورة الدموية فى الشرايين الأكليلية.

ثانيًا : يجرى الدم إلى الرئتين ليتشبع هناك بالهواء وليس لمدهما بغذاء «وهذا ما أكده هارفى فيما بعد».

ثالثًا : هناك اتصال بين أوردة الرئتين وشرايينهما يعم الدورة الدموية ضمن الرئة «وهذا ما ادعى اكتشافه كولومبو فيما بعد كأول إنسان».

رابعًا : ليس فى شرايين الرئتين أى هواء أو رواسب «كما ادعى جالينوس» بل دم فقط.

خامسًا : إن جدران أوردة الرئتين أسمك بكثير من جدران شرايينها، وهي مؤلفة من طبقتين، وقد نسب، زورًا، بعض المؤرخين إلى سارفيتوس هذه الاكتشافات العظيمة وخاصة الأخيرة.

سادسًا : ليس فى جدار القلب الفاصل بين شطريه أى مسام، بل إن الدم يجرى فى دورة متكاملة : «ليس بين هذين البطينين من القلب أية فتحة إذ أن الحجاب الحاجز الذى يفصلها محكم الإغلاق وليست به أية مسام ظاهرة، كما اعتقد بعضهم، أو غير ظاهرة بل إن كثافته فى

(١) شمس العرب.. هونكة ص ٢٦٥.

هذا الموضع غليظة. ويجرى الدم فى أوردة الرئتين لينتشر فيها ويمتزج بالهواء حتى يتطهر أصفر عناصره من الرواسب، ثم يجرى هذا الدم فى شريان الرئتين ليصل إلى البطين الأيسر بعد امتزاجه بالهواء.

أهم مجهودات ابن النفيس الطبية :

.. من أبرز مجهوداته المعروفة أنه أول من وصف واكتشف الدورة الدموية الصغرى قبل أن يذكرها ميخائيل سرفيتوس بثلاث مائة سنة[١]

(١) تقول زيجريد هونكة فى شمس العرب تسطع على الغرب ص ٢٦٦ - ص ٢٦٨ : «ولد ميخائيل سرفيتوس Migual Servede فى مدينة فيلا نوفا Villa Neuva من أعمال أراجون الأسبانية فى عائلة نبيلة عام ١٥٠٩ أى بعد ١٨ عامًا من طرد العرب من أسبانيا. وكان الاضطراب يعيث فسادًا آنذاك فى أسبانية، اضطراب فكرى واضطراب دينى واضطراب حياتى وكان الصراع مع التأثير العربى المتبقى على أشده. فهناك فريق يدعو إلى نبذه ومحوه من آفاق البلاد ومن ضمائر البشر، وهناك فريقًا آخر يدعو للاستفادة منه وحدث هذا حين وقعت أسبانية فى أيدى الأوروبيين تعبسة مدمأة، وفى أطرافها من تبقى من البربر، فاضطرت إلى ضمهم إليها. وكانت لغة الأعداء الموسيقية منتشرة بين صفوف المسيحيين أيما انتشار، الأمر الذى أثار قلق بطريك قرطبة فقال والنقمة آخذة منه كل مأخذ : «وأسفاه!! إن كل الشبان المسيحيين الذين يريدون إظهار نفوسهم لمجدهم لا يعرفون إلا لغة العرب وآدابهم!» إذن، ألم يتكلم مواطن لسارفيتوس، الطبيب الكبير أرنالد من فيلانوفا اللغة العربية بطلاقة كبيرة، بحيث أنه كان بوسعه أن يترجم الكثير من المخطوطات الطبية عن العربية دون مساعدة عربى أو يهودى؟! وفى خلال ثلاثمائة سنة أكدت المخطوطات نفسها، التى وقعت فى أيدى الغزاة، الإعجاب أو قل الفضول لدى الأوروبيين بعد أن قهروا العرب عسكريًا دون أن ينقص إعجابهم المعنوى بهم قيد شعرة؟ كان سرفيتوس فى الخامسة والعشرين من عمره متحمسًا كل الحماسة مندفعًا كل الاندفاع، كما يكون الشباب فى هذه السن، وعندما صرح بمعارضته لسر الثالوث المقدس، قامت ضجة، تبعها تهديد ووعيد، فاضطر إلى الهرب إلى فرنسا حيث وفق إلى العمل تحت اسم مستعار فى ضيعة هناك.

.. وشاء له الحظ أن يلتقى بالرجل الذى سيؤثر فى حياته كل التأثير فيدفعه ثانية إلى الاطلاع على ثقافة العرب، وهو طبيب مفكر حر اهتم بمقارنة مخطوطات طبية إغريقية وعربية. فأقنع فيلانوفا نوس إلياس ميخائيل سارفيتوس أن يدرس الطب فى باريس وفى فينا وفى بادوا.

وأمضى ردحًا من الزمن وهو يعيش باسمه المستعار ككاتب فى الطب وكطبيب خاص ببعض الأثرياء.

.. وفى عام ١٥٥١ م. نشر رسالة عن «أخطاء الثالوث المقدس» فهبت عاصفة هوجاء من السخط عليه وقد كشف أمره حين كشف كالفين Calvin عن اسمه. فقبض عليه وأودع السجن فى جنيف.

ولعله قد وقعت نسخة فى يد سرفيتوس للترجمة اللاتينية لكتاب ابن النفيس «شرح تشريح القانون» والتى قام بها طبيب إيطالى اسمه «الباجو» والذى زار دمشق عام ١٥٤٧ ميلادية، أى قبل وفاة سرفيتوس بست سنوات.

أهم كتب ابن النفيس الطبية :

.. لكتابات ابن النفيس الطبية مكانة بارزة فى علوم الطب وبخاصة كتابه المعروف بشرح تشريح القانون[1].

.. يقول ابن النفيس فى مقدمة شرح تشريح القانون «وبعد حمد الله والصلاة على أنبيائه ورسله، فإن قصدنا الآن إبراز ما تيسر لنا من المباحث على كلام الشيخ الرئيس أبى على الحسن بن عبد الله بن سينا رحمه الله فى التشريح فى جملة كتاب القانون. وذلك بأن جمعنا ما قاله فى

= .. وظل فى عذاب أليم «يؤله كسر ويطلبه تقطع فى الأمعاء، وتؤذيه فى نفسه أشياء أخرى أخجل من ذكرها، وتنهشه البراغيث، وينخر عظامه البرد. حتى كان عام ١٥٥٣، فحُرق فى جنيف حيًا ومعه كتابه «إعادة بناء المسيحية» الذى ذكر فيه أيضًا اكتشافه المعظم للدورة الدموية الصغرى.

.. لقد اهتم سارفيتوس اهتمامًا بالغًا مباشرًا بالطب العربى المسيطر آنذاك فى أوربة دون أن تزعزعه هزيمة، ووجه نقدًا شديدًا للنظرية العربية القائلة بغليان «الأشربة Sirupe» المؤدى إلى نضج الدم ولنظرية جالينوس القائل «بغليان السوائل الرئيسية».

.. فهل وقعت يا ترى بين يديه مخطوطة ابن النفيس الخاصة بكتاب ابن سينا الطبى الشهير الذى لا تزال نسخته محفوظة فى مكتبة الاسكوريال بالقرب من مدريد؟ وهل أثر اكتشاف العربى يا ترى مباشرة فى العلم الغربى هنا؟ إن كل الدلائل تشير إلى أن الصورة التى رسمها العالم العربى ابن النفيس عن الدورة الدموية الصغرى، قد أراحت الأسباق من عبء مبارزة جالينوس وطعنه فى قلبه.

(١) لهذا الكتاب أهمية كبيرة فى التشريح لأنه ذكر فيه أن الحاجز البطينى خال من المسام غير نضاح. «كما صحّح بعض أخطاء ابن سينا فقال مثلاً» إن القلب لا يتغذى من الدم الذى تحتويه تجاويفه، بل من الأوعية الصغيرة المنبثة فى جوهره». وقد عثر الدكتور محى الدين التطاوى على مخطوطة للكتاب بمكتبة برلين فعنى بدراستها لنيل درجة الدكتوراه من جامعة فرايبورج بألمانيا، وكان موضوع الرسالة «الدورة الدموية تبعًا للقُرَشى».

الكتاب الأول من كتاب القانون إلى ما قاله فى الكتاب الثالث من هذه الكتب، وذلك ليكون الكلام فى التشريح جميعه منظومًا، وقد صدنا عن مباشرة التشريح وازع الشريعة وما فى أخلاقنا من الرحمة، فلذلك رأينا أن نعتمد فى تعرف صور الأعضاء الباطنة على كلام من تقدمنا من المباشرين لهذا الأمر خاصة الفاضل جالينوس، إذ كانت كتبه أجود الكتب التى وصلت إلينا فى هذا الفن مع أنه اطلع على كثير من العضلات لم يسبق إلى مشاهدتها، فلذلك جعلنا أكثر اعتمادنا فى تعرف صور الأعضاء وأوضاعها ونحو ذلك على قوله إلا فى أشيا يسيرة ظننا أنها من أغاليط النساخ أو أخباره عنها لم يكن من بعد تحقق المشاهدة فيها. وأما منافع كل واحد من الأعضاء فإنما نعتمد فى تعرفها على ما يقتضيه النظر المحقق والبحث المستقيم ولا علينا وافق ذلك رأى من تقدمنا أو خالفه.

.. وقد بين فى مقدمة « الشرح » أنه أراد الإعانة على إتقان العلم بفن التشريح، ومقدمة ابن النفيس تشتمل على خمسة مباحث :

المبحث الأول : فى اختلاف الحيوانات فى الأعضاء.

المبحث الثانى : فى فوائد « وجاء فى مخطوط آخر : فى قواعد » علم التشريح.

المبحث الثالث : فى إثبات منافع الأعضاء.

المبحث الرابع : فى المبادئ التى بها يستخرج العلم لمنافع الأعضاء بطريق التشريح.

المبحث الخامس : فى ماهية التشريح وآلاته.

.. « أما تشريح العظام والمفاصل ونحوهما فيسهل فى الميت من أى سبب كان موته وأسهل ما يكون إذا مضى على موته مدة فنى ما عليه من اللحم حتى بقيت العظام متصلة بالأربطة ظاهرة فإن هذا لا يفتقر فيه إلى عمل كثير حتى يوقف على هيئة عظامه ومفاصله.

.. « وأما تشريح القلب والشرايين والحجاب والرئة ونحو ذلك فيوقف

على كيفية حركتها وهل حركة الشرايين مصاحبة لحركة القلب أو مخالفة وكذلك حركة الرئة مع حركة الحجاب، ومعلوم أنه إنما يوقف عليه فى تشريح الأحياء ولكن يعسر ذلك بسبب اضطراب الحى لتألمه.

.. «وأما تشريح العروق الصغار التى فى الجلد وما يقرب منه فيعسر فى الأحياء لما بيناه وكذلك فى الموتى الذين ماتوا لمرض ونحوه وخصوصًا ما كان من الأمراض يلزمه قلة الدم والرطوبات فيخفى تلك العروق كما فى الإسهال والدق والنزف وأسهل تشريح هذه ما يكون فى ميت مات بالخنق لأن الخنق تحرك الروح والدم إلى خارج فتمتلىء هذه العروق وتنتفخ فينبغى أن يكون ذلك بعقب الموت لأن الزمان إذا طال جمد ما يكون فى هذه العروق من الدم فيقل حجمه ويلزم ذلك نقصان انتفاخ تلك العروق: قال جالينوس: إن عادتى أن أخنق الذى أريد تشريحه بالماء لئلا يرضى أو ينفسخ شىء من أجزاء العنق إذا خنق بحبل أو نحوه».

.. ويستخدم ابن النفيس أسلوب التقية فيزعم أنه لم يباشر التشريح لوازع الشريعة والرحمة، ولكن كتاباته فى التشريح تؤكد أنه باشر التشريح فعلاً ذلك أن حديثه عن تشريح العظام والأربطة والقلب لا يكون بغير ممارسة فعلية للتشريح.

.. يقول صاحب ابن النفيس الأستاذ الدكتور بول غليونجى فى تحليل علمى دقيق لبعض نصوص شرح التشريح[1] «ويمكن حصر ما أتى به ابن النفيس من جديد فى الفقرات التالية الخاصة بالروح، والتى يتضح منها مبدئيًا أن المؤلف قبل النظرة السائدة، وهى أن البطين الأيسر والشرايين مليئة بالروح، وأن الروح تتولد فى التجويف الأيسر باختلاط الدم بالهواء قال ابن النفيس: «والذى نقوله نحن والله أعلم أن القلب لما كان من أفعاله توليد الروح وهى إنما تتكون من دم رقيق جدًا شديد المخالطة لجرم

(١) ابن النفيس للدكتور بول غليونجى ص ١٢٢ : ص ١٢٩.

هوائى فلا بد وأن يحجل فى القلب دم رقيق جدًا وهواء ليمكن أن يُحدث الروح من الجرم المختلط منهما وذلك حيث تولد الروح وهو فى التجويف الأيسر.

.. ثم يفسر ضرورة الرقة الشديدة فى الدم الواصل إلى التجويف الأيسر وكيفية حدوث هذه الرقة. فيقول: «ولا بد فى قلب الإنسان ونحوه مما له رئة من تجويف آخر يلطف فيه الدم ليصلح لمخالطة الهواء فإن الهواء لو خلط الدم وهو على غلظة لم يكن جملتها جسمًا متشابه الأجزاء وهذا التجويف هو التجويف الأيمن».

ويقول الدكتور غليونجى:

.. نستطيع إذن أن نستخلص أن وجود تجويف آخر محتم فى نظره لضرورة تلطيف الدم تمهيدًا لمخالطته لهواء. وهذا استنتاج غائى بحت. ونعنى بذلك استنتاجه وجود الشىء من ضرورته وربما قال البعض أنه سبق فى ذلك «لمارك» وأمثاله فى نظريتهم القائلة بأن الوظيفة تكيف العضو، ولكن العلماء المتعلقين كانوا - فى رأينا - كثيرًا ما يبدأون بملاحظة واقعية، ثم يشغلون أنفسهم بعد ذلك بمحاولة استنتاج ضرورتها.

.. ويسترسل ابن النفيس فى سرده لأرائه فيقول:

«وإذا لطف الدم فى هذا التجويف «أى الأيمن» فلا بد من نفوذه إلى التجويف الأيسر حيث مولد الروح». وهذا بالطبع ضرورى لإتمام نظريته فى تكوين الروح.. ثم يضيف: «ولكن ليس بينهما منفذ فإن جرم القلب هناك مصمت ليس فيه منفذ ظاهر كما ظنه جماعة ولا منفذ غير ظاهر يصلح لنفوذ هذا الدم كما ظنه جالينوس فإن مسام القلب هناك مستحصنة وجرمه غليظ.

.. من أين إذن يكون مرور الدم؟ ألم ينكر صراحة وجود مسام فى الحاجز؟ لقد بحث ابن النفيس عن مكان هذا الاتصال، فلم يزد من أن

يقطع بأن الدم بعد أن يلطف فى التجويف الأيمن ينفذ إلى الرئة وهناك - على حد قوله - « يخالط الهواء ويرشح ألطف ما فيه وينفذ إلى الشريان الوريدى « الوريدى الرئوى » ليوصله إلى التجويف الأيسر وقد خالط الهواء وصلح لأن يتولد منه الروح « ويضيف » وما بقى منه أقل لطافة تستعمله الرئة فى غذائها ».

.. وقد أكد هذا فى موضع آخر بقوله : « فإن نفوذ الدم إلى البطين الأيسر إنما هو من الرئة بعد تسخنه وتصعده من البطين الأيمن كما قررناه أولاً ».

.. وكأنه لم يكتف بكل هذا فأراد زيادة التأكيد بأن الدم إنما يجرى فى اتجاه واحد وأنه ليس موضوع مد وجزر فقال أيضًا : « قوله وإيصال الدم الذى يغذو الرئة إلى الرئة من القلب، هذا هو الرأى المشهور وهو عندنا باطل فإن غذاء الرئة لا يصل إليها من هذا الشريان لأنه لا يرتفع إليها من التجويف الأيسر من تجويفى القلب إذ الدم الذى فى هذا التجويف إنما يأتى إليه من الرئة لا أن الرئة آخذة منه. وأما نفوذ الدم من القلب إلى الرئة فهو فى الوريد الشريانى « الشريان الرئوى ». واستطرد فى معرض حديثه عن سبب نحافة جدار الوريد الرئوى فقال : « وليكون أطوع « أى جدار الوريد » ليرشح منه ما يرشح منه إلى الرئة من الدم اللطيف، هذا أيضًا على الرأى المشهور، والحق أنه ليس كذلك بل ليكون أطول لقبول ما ينفذ منه الدم الهوائى الذى يوصله من الرئة إلى القلب.

.. يبدو بوضوح فى كل هذه الفقرات أن ابن النفيس اهتدى إلى العلم بأن اتجاه الدم ثابت وأنه يمر من التجويف الأيمن إلى الرئة حيث يخالط الهواء، ومن الرئة عن طريق الشريان الوريدى « الوريد الرئوى » إلى التجويف الأيسر.

.. ولننظر الآن إلى ما قاله عن الشريان الوريدى « الوريد الرئوى »

والوريد الشريانى «الشريان الرئوى» إذ أن أقواله فى هذا الصدد ترتبط ارتباطًا وثيقًا بما سبق.

.. بدأ ابن النفيس بأن تناول الشريان الوريدى «وهو ما نسميه بالوريد الرئوى»، فقال: «إن هذا العرق شبيه بالأوردة وشبيه بالشريان. أما شبهه بالأوردة فلأنه من طبقة واحدة وأن جرمه نحيف وأنه على قوام ينفذ فيه الدم لغذاء عضو. ويفسر هذا فى فقرة أخرى بقوله: «فلا بد وأن يكون هذا الدم إذا لطف نفذ فى الوريد الشريانى «الشريان الرئوى» إلى الرئة لينبث فى جرمها ويخالط الهواء ويصفى ألطف ما فيه وينفذ إلى الشريان الوريدى ليوصلها إلى التجويف الأيسر ثم فى مكان آخر: «ولذلك جعل الوريد الشريانى «الشريان الرئوى» شديد الاستحصاف «أى: السُمك» ذا طبقتين ليكون مما ينفذ من مسامه شديد الرقة. وجعل الشريان الوريدى نحيفًا ذا طبقة واحدة ليسهل قبوله لما خرج من ذلك الوريد، ولذلك جعل بين هذين العرقين منافذ محسوسة.

.. وفيما يتصل بهذه المنافذ يجب أن تتذكر أن العدسة المكبرة لم تكن قد اخترعت بعد وأن مالبيجى لم يكشف عن الأوعية الشعرية إلا بعده بقرون، مما جعل الشرايين تعد منفصلة انفصالاً تامًا عن الأوردة. ولذلك فإن ابن النفيس لم يبعد كثيرًا عن الحقيقة عندما قال إن الدم يمر من مسام بين العرقين أو من منافذ محسوسة هى بمثابة الأوعية الشعرية.

.. وتابع وصفه للشريان الوريدى «أى الوريد الرئوى» بأن قال: «أما شبهه بالشريان فلأنه ينبض، وينبت على قولهم من القلب. ولما كان نبض العروق من خواص الشرايين لا جرم كان إلحاق هذه العروق بالشرايين أولى.... ونقول إن العروق التى تنبت فى الرئة تخالف جميع عروق البدن لأن فى جميع الأعضاء يكون للعرق الضارب طبقتان ولغير الضارب طبقة واحدة. والضارب مستحصف وغير الضارب نحيف وعروق الرئة بالعكس من هذا».

.. وهنا يبدو جليًا أنه يصف الشريان الوريدى «الوريد الرئوى» بأنه ينبض بينما لا ينسب إلى الوريد الشريانى «الشريان الرئوى» سوى حركة تابعة لحركة الرئة. وفى هذا خطأ واضح. ثم علق على اختلاف أوعية الرئة عن الأوعية الأخرى من حيث تكوين جدرانها فقال: «واختلفوا فى سبب ذلك فقال اسقليبادوس إن ذلك لأن شرايين الرئة شديدة الحركة كبيرتها جدًا فتهزل وذلك لأنها تنبض بنفسها وتنبسط وتنقبض تبعًا لانبساط الرئة وانقباضها والحركة المفرطة مهزلة. وأما أوردتها فإنها تتحرك تبعًا لحركة الرئة فقط». وهذا التعليل يلائم اهتمامه بتفسير كل ظاهرة تفسيرًا عقليًا يتفق مع النظريات السائدة وإن كان لم يستند فى مزاعمه إلى برهان.

.. وهناك نقطة أخرى لم يوافق فيها ابن سينا - وهى عدد تجاويف القلب. «قوله وفيه ثلاثة بطون. وهذا كلام لا يصح فإن القلب له بطنان فقط أحدهما مملوء من الدم وهو الأيمن، والآخر مملوء من الروح وهو الأيسر، ولا منفذ بين هذين البطنين البتة، وإلا كان الدم ينفذ إلى موضع الروح فيفسد جوهرها والتشريح يكذب ما قالوه.

.. وهذه العبارة الأخيرة جديرة بالتأمل. فقد سبق أن قال لنا فى ديباجة «شرح التشريح»: «وقد حدنا عن مباشرة التشريح وازع الشريعة وما فى أخلاقنا من الرحمة، وها هو يقدم لنا الدليل على اعتماده على هذا التشريح إذ يقول: «والتشريح يكذب ذلك». وهو بطبيعة الحال لا يعنى تشريح جالينوس ولا ابن سينا، ولسنا نجد تفسيرًا لهذا التناقض الظاهرى سوى أنه حرص على عدم إثارة حنق رجال الدين شأنه فى ذلك شأن كثيرين من العباقرة المجددين أمثال كوبرنيكوس وجليليو عندما استهلوا مؤلفاتهم الثورية بتأكيد تبعيتهم للعقائد الدينية السائدة فى عصرهم. كما أنه حرص على ألا يتهم بالجهل كما كان يتهم كل من ينكر تعاليم جالينوس إذ اعتذر عن هذا النقد حين قال فى الديباجة نفسها «إلا فى

أشياء يسيرة ظننا أنها من أغاليط النساخ» وذلك لإثارة الشك فى أمانة النساخ لا فى علم الفاضل جالينوس.

ويقول الدكتور غليونجى : وإلى هذا فإن فى هذا الكتاب فقرات عدة تستحق الذكر وتحض على التأمل والاعتبار، وحسبى أن أذكر عبارة واحدة لها أهميتها بالنسبة لتاريخ الطب وهى خاصة بتغذية عضلة القلب التى كان قد قال عنها ابن سينا أنها عن طريق الدم الموجود فى تجويفه. يقال ابن النفيس : «قوله ليكون له مستودع غذاء يتغذى به وجعله الدم الذى فى البطين الأيمن منه يتغذى القلب لا يصح البتة فإن غداء القلب إنما هو من الدم المار فيه من العروق المارة فى جرمه».

.. وهذه العبارة تجعل ابن النفيس أول من فطن إلى وجود أوعية داخل عضلة القلب تغذيها، وهى تضيف دليلاً آخر على أن ابن النفيس مارس التشريح كما أنها تجعل منه أول من وصف الشريان الأكليلس وفروعه.

.. ولعلنا نستطيع الآن أن نتصور الدورة الدموية كما كان يتصورها ابن النفيس مستندين فى ذلك إلى ما سبق أن استشهدنا به من فقرات وردت فى «شرح تشريح القانون».

.. فقد كان يرى أن الدم يأتى غليظًا من الكبد إلى التجويف الأيمن حيث يلطف، ثم يمر فى الوريد الشريانى «الشريان الرئوى» وهو وعاء غير نابض يتحرك بحركة الرئة حركة معتدلة هى سبب غلظ جداره، ثم يصل إلى الرئة حيث ينقسم إلى قسمين : قسم رقيق يصفى من مسام الشريان الرئوى، وقسم غليظ يتبقى فى الرئة لتغذيتها. أما القسم الرقيق فإنه يختلط بالهواء القادم إلى الرئة عن طريق القصبة الهوائية ويدخل الشريان الوريدى «الوريد الرئوى» عبر جداره النحيف. وعلة هذه النحافة أولاً ضرورتها لتسمح بمرور الدم الرقيق، ثم كثرة حركتها إذ أنها كانت - فى زعمه -

نابضة تلقائيًا بالإضافة إلى أنها متحركة تبعًا لحركة الرئة. ثم يصل الدم الرقيق المخلوط بالهواء إلى التجويف الأيسر حيث تتكون الروح التى تخرج منه إلى الأورطة فالشرايين فالأنسجة، أما غذاء القلب فيكون عن طريق أوعية خاصة تمر فى صميم عضلة القلب.

.. ومن كتب ابن النفيس الطبية كتاب الموجز فى الطب «موجز القانون». يقول «لقد رتب هذا الكتاب على أربعة فنون:

الفن الأول: فى قواعد جزئى الطب أعنى علمية وعملية..

يقول كلى.. ذاكرًا العلم بالأمور الطبيعية السبعة كالأركان والأمزجة والأخلاط والأعضاء والأرواح والقوى والأفعال ويتضمن وصف الأسباب الضرورية الستة كالهواء المحيط بنا وما يؤكل ويشرب والحركة والسكون وتدبيرها بدنيًا ونفسيًا والنوم واليقظة والاستفراغ والاحتباس حسبما سبق ورتبها حنين بن إسحق فى القرن التاسع، وذكر التدبير بالحمام والعلاج والفصد والحجامة والحقن وما يعادل تلك الأسباب الستة كالمسخنات والمبردات والمرطبات والمجففات وتكلم فى الدلائل للأمراض وعلاماتها، وأهمية النبض وفحص البول والبراز فى تشخيص الحالة الصحية[1].

الفن الثانى: فى الأدوية والأغذية المفردة والمركبة.

الفن الثالث: فى الأمراض المختصة بعضو دون عضو وأسبابها وعلاماتها ومعالجتها.

الفن الرابع: فى الأمراض التى لا تختص بعضو معين بل هى عامة وأسباب هذه الأمراض وعلاماتها ومعالجتها.

.. هذا هو ابن النفيس أول عالم فى التاريخ اكتشف أن الدم ينساب من البطين الأيمن إلى الرئة، حيث يمتزج بالهواء ثم إلى البطين

---

(١) توجد شروح عدة لكتاب الموجز من أهمها «حل الموجز» لجمال الدين محمد بن محمد الأقصرائى «ت حوالى ١٣٩٦»، وشرح الموجز لنفيس ابن عوض الكرمانى.

الأيسر، وهى الدورة الدموية الصغرى. فابن النفيس هو الذى مهد الطريق «لمازْفى» كى يكتشف الدورة الدموية الكبرى من البطين الأيسر إلى الشرايين، ومنها إلى الأوردة ثم البطين الأيمن. فهو أول من صحح الأخطاء الشائعة فى حركة الدم، وكتب أول وصف صحيح لحركة الدم فى الجسم، وهو من أبرز من عرفوا علم وظائف الأعضاء وصحح بعض آراء جالينوس وابن سينا فى حركة الدم.

ثانيًا: الطب فى الأندلس

فى عصر الازدهار العلمى الأول فى الأندلس العربية ظهر من مشاهير الأطباء الطبيب اليهودى[1] حسداى بن شبروط الذى ترجم إلى العربية نص مخطوط ديسقوريدس الذى أهداه ملك القسطنطينية إلى حاكم قرطبة. وقد ساعد حسداى بن شبروط فى ترجمة نص ديسقوريدس الراهب نيقولادس.

---

(١) يقول الدوميلى فى العالم عند العرب ص ٥٦٥ وص ٥٦٦ :

إن من أهم الدراسات عن الأطباء اليهود فى الشرق الأوسط زمن العصور الوسطى كتاب الدكتور ماكس مايرهوف :

Max Meyerhof, Medlieval Jewish physician in the near East From Arabic Sources.

ومن أهمهم الطبيب ماسرجوية الذى ترجم كتاب هيرون : Pandectae' Ahrom وإسحق بن سليمان الإسرائيلى.

ومن يهود الأندلس حسداى بن شبروط، ويوناه بن بكلارس، وآسان اليهودى، شبطاى بن إبراهيم، وموسى بن إيلى عازار طبيب للعز الفاطمى، الحقير النافع، طبيب الحاكم الفاطمى وكان مختصًا بالجراحة أفرائيم بن زفان، الذى عاش أيضًا فى بلاط الفاطميين فى النصف الثانى من القرن الحادى عشر الميلادى وكان تلميذًا لعلى بن رضوان ولكنه اشتهر ناسخًا على الأخص، بالنظر إلى كثرة عمله فى النسخ، وكان تلميذه : سلمه بن رحمون هو الذى صنف مؤلفات كثيرة وتمتع بمكانة عظيمة، السموأل بن يحيى وأبو البركات هبة الله بن ملكه، الذى عاش فى القرن الثانى فى إيران والعراق.

وعاش فى نفس الوقت بمصر : هبة الله بن جميع الإسرائيلى، أبو البيان السديد بن المدور «المتوفى ١١٨٤»، وأبو الفضائل مهذب الدين الناقد، موسى بن ميمون، وكذلك معاصروه أبو المعالى تمام بن هبة الله، أبو البركات القضاعى «المتوفى ١١٩٦»، أبو البركات ابن شعيا : أسعد الدين بن يعقوب، وأخلافه : إبراهيم بن موسى بن ميمون «المتوفى حوالى ١٢٣٧» وكان طبيب السلطان الكامل وزميل ابن أبى أصيبعة فى بيمارستان القاهرة، وابن عقنين أو عكنين، ودافيد سلومو «السديد بن أبى البيان» المولود سنة ١١٦٠ م وطبيب البيمارستان الناصرى الذى أسسه صلاح الدين سنة ١١٨١ م ومصنف كتاب : الدستور البيمارستانى، الذى نشره حديثًا بول سباط بعنوان : =

وظهر فى عصر الازدهار العلمى الأول فى الأندلس العربية الطبيب عريب بن سعد الذى عاش فى بلاط عبد الرحمن الثالث، والحكم الثانى. وكان مهتمًا بدراسة التاريخ كما كان طبيبًا ماهرًا فى أمراض النساء والولادة وطب الأجنة وله كتاب متعلق بطب الأجنة لم ينشر حتى الآن[1].

Paul Sbath, Le Formulaire d hopitaux d'libn Abil Bayan medecin du Bimaristan = Annacery au Caire au XIII Siècle, Cire 1933.

وعمران بن صدقة، وهو بكل تأكيد نفس موسى بن صدقة الطبيب اليهودى الذى كان أعظم الأطباء بعد موسى بن ميمون. ولد فى دمشق ١١٦٥ م ودرس على رضى الدين الرحبى الطبيب المشهور، وكان زميلاً لعبد الرحيم الدخوار فى البيمارستان الذى أسسه نور الدين محمود بن زنكى سنة ١١٥٤، وتوفى سنة ١٢٣٩ م فى حمص وكان قد دعى إليها لمشورة طبية.

وكثير من كتب الأطباء السماريتانيين من القرنين الثانى والثالث عشر: صدقة ابن منجى «المتوفى بعد سنة ١٢٢٣ م»، مهذب الدين يوسف بن أبى سعيد بن خلف «المتوفى ١٢٢٧ م» إبراهيم بن خلف، جزلة بن أبى سعيد «المتوفى ١٢٥١ م» الذى اعتنق الإسلام وصار وزيرًا لسلطان دمشق: الصالح إسماعيل، سنة ١٢٣٧ م، وكان حاميًا للفنون والعلوم، كما كان أستاذًا لابن أبى أصيبعة الذى أهدى إليه كتابه فى طبقات الأطباء، وأخيرًا موفق الدين يعقوب بن غنيم «المتوفى ١٢٨٢ م».

وكوهين العطار وابن كمونة، أو بعبارة أصح: عز الدولة سعدبن منصور، الذى اعتنق الإسلام سنة ١٢٨٠ م، وألف فى الفلسفة، وله كتاب فى أمراض العيون، والسديد الدمياطى، تلميذ ابن النفيس وصديقه وصديق الصفدى أيضًا، وطبيب المملوكى الناصر بن محمد. «وتوفى ١٣٣٩ م».

وختم المؤلف كتابه بالحديث عن ابن العبرى، الذى «على الرغم من إلحاد والده» كان نموذجًا للعالم اليهودى، فى نهاية عهد كان اليهود لا يزال يسمح لهم فيه أن يقوموا بدور هام فى الحياة العقلية بالمشرق».

(١) وهو كتاب خلق الجنين.. وكان أشهر المهتمين بعريب بن سعد دوزى الذى نشر قطعًا من نص كتاب لعريب فى تاريخ العرب فى الأندلس وأفريقية - كما نشر نصًا عربيًا مع ترجمة لاتينية لكتاب آخر لعريب هو كتاب «الأنواء».

ممثلو الطب فى الأندلس
أبو القاسم الزهراوى

من أشهر الأطباء فى عصر الازدهار العلمى الأول فى الأندلس هو أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوى القرطبى[1]، المتوفى عام ١٠١٣ م وكان جراحًا مبرزًا مبتكرًا فى جراحاته وعملياته الدقيقة.

وهو من أطباء الخليفة عبد الرحمن الثالث.

ومن أهم مجهودات أبو القاسم الزهراوى الطبية أنه «وصف عملية

---

(١) يقول الدكتور عبد الرحمن بدوى:

من الأبحاث الجيدة عن الزهراوى:

لو كلير: «جراحة أبى القاسم» باريس سنة ١٨٦١.

Leclere: La Chirurgie d'albucasis, paris, 1861.

جورلت: «تاريخ الجراحة» جـ ١ ص ٦٢٠ - ٦٤٩.

هـ. فريلش: «أبو القاسم كجراح حربى» فى «محفوظات الجراحة الإكلينيكية».

H. Frohlich: Abul Kasim a Kriegschirurg, in Archiv F. Klinische chrurgie, 1884 pp.364-376.

ر. فالنس: «جراح عربى: أبو القاسم».

R. Valensi: un Chirurgien arobe: Abuicasis. Montpellier, 1908.

شارل نيل: «جراحة الأسنان عند أبى القاسم ومقارنتها بجراحة الأسنان عند المغاربة «طرازا» فى «مجلة طب الفم والأسنان» سنة ١٩١١ ص ١٥٩ - ١٨١ ثم ٢٢٢ - ٢٢٩.

Ch. Niel, in Revue de Stomatologie.

ك. سود هوف: «فى تاريخ الجراحة فى العصر الوسيط «جـ ٢ ص ١٦ - ٨٤».

K. Sudhoff: Beitrage zur Gesch. D. Chirurgie in Mittelalter, II Leipzig 1918, PP. 16 - 48.

هـ . ب . ج. رينو H.P-Renaud أبو القاسم وابن سينا وكبار الأطباء العرب هل عرفوا مرض الزهرى؟ فقال فى «مضبطة الجمعية الفرنسية لتاريخ الطب» سنة ١٩٣٤ ص ١٢٢.

Bull Soc. Frame. de La Medecine, 1934, P. 122.

سحق الحصاة فى المثانة وتفتيت الحصاة فى المثانة وإخراجها على الخصوص، فعدت من اختراعات العصر الحاضر على غير حق.

وقال العالم الفيزيولوجى الكبير هاللر[1] : «كانت كتب أبى القاسم المصدر العام الذى استسق منه جميع من ظهر من الجراحين بعد القرن الرابع عشر».

وهو الذى أشار إلى ربط الشرايين فى الجراحات الدقيقة. كما أجرى عمليات صعبة فى شق القصبة الهوائية واستئصال اللوز بسنارة.

ويعترف العالم «سبرنجل» بأن الزهراوى أول من علم طريقة استئصال الحصى المثانية فى النساء عن طريق المهبل، وأول من وصف الاستعداد الخاص فى بعض الأجسام للنزيف.

ويقول الأستاذ/ قدرى طوقان[2] :

«وقد جمع الدكتور «أحمد عيسى» فى كتاب خاص ما كان يعرفه العرب من الآلات والأدوات الطبية، وضمنه جميع الآلات والعدد التى وردت فى كتاب التصريف مع ذكر مسمياتها ومواضع استعمالها ونقل صورها.

وعلى الرغم من طول النص فإنه نظرا لأهمية الموضوع فإننا سنذكر الآلات والعدد التى وردت فى كتاب التصريف كما ذكرها الدكتور أحمد عيسى رحمه الله.

يقول الدكتور أحمد عيسى بك رحمه الله رحمه واسعة «سنذكر هنا على الترتيب الهجائى للحروف جميع الآلات والعدد التى وردت فى كتاب التصريف ونبين صورها مستعينين بنسخة هذا الكتاب المطبوع فى اكسفورد

---

(١) حضارة العرب : جوستاف لوبون ص ٥٩١.
(٢) فى كتابه العلوم عند العرب ص ١٤٧.

سنة ١٧٧٨ بالعربية واللاتينية وبترجمته الفرنسية المطبوعة فى باريس سنة ١٨٦١ وبكتاب تاريخ الجراحة وممارستها تأليف كولت وقد أكملت [أى د. أحمد عيسى بك رحمه الله] هذا المجموع ببعض ما جاء من أسماء الآلات فى كتاب دعوة الأطباء [المطبوع بالأسكندرية سنة ١٩٠١] لأبى الحسن ابن بطلان المتوفى سنة ٤٤٤ هـ وسنة ١٠٣٢م مما لم يذكره أبو القاسم الزهراوى ولو أنه نوّه عنه بأسماء أخرى لنفس الآلات وألحقت [أى أحمد عيسى بك رحمه الله] هذا المعجم الصغير بجدول أسماء الآلات الجراحية التى كانت تستعمل فى أمراض العين مشفوعا بصورها كما جاءت فى كتاب «الكامل فى الكحل لخليفة بن أبى المحاسن الحلبى (من أهل القرن الثالث عشر الميلادى) المترجم إلى الألمانية[1] وكتاب تاريخ الجراحة فى العصور الوسطى تأليف كارل سودوف[2] وأتبعت ذلك أيضا بصور بعض الآلات التى عثر عليها فى أثناء التنقيب فى خرائب مدينة الفسطاط القديمة والمحفوظة بالمتحف العربى بالقاهرة وقد ساعدنى على جمعها وتصويرها حضرة الأستاذ حسين بك راشد أمين المتحف.

فإذا ما ضمت هذه المجاميع الثلاثة بعضها إلى بعض حصلنا منها على مجموعة صالحة من الآلات الطبية التى استعملت فى عهد النهضة العربية وسدت فراغا كبيرا فى المصطلحات الفنية التى تجهد النفس لإيجادها فلا نوفق.

وهذه أسماء الآلات مرتبة على حروف المعجم.

آلة : كالمِرْوَد وطرفها كالملعقة يملأ دواء كاويا لرضعه على اللهاة لكيها (شكل ٦٩).

آلة لاستخراج الشوك : وما ينشب فى الحلق من الأجسام الغريبة

---

(١) Das bush von genügenden in der wgenheilkand, Jon Haliga Al-Halabi - Übersetzt und erläuterk Jon J. Hirschberg. J. Lippert und E. Mitlwoch. lebzig 1905.

(٢) Beitrage Zur geschichte der chirurgie in Mittelater Jon Karl Sudhof Lip 21919.

وهى آلة كالمِرْوَد أغلظ منه قليلا طرفها معقف كالصنارة يدخل فى الحلق برفق ويرفع بها العظم أو الشوك وغيرهما من الأجسام الغريبة فى الحلق (شكل ٧١).

آلة لحفظ الصفاق : وهى آلة من خشب أو من حديد تشبه ملعقة ليس لها تقعير يكون عرضها حسب ما يحتاج إليه من كبر العظم وصغره أما طولها فعلى حسب ما يمكن للعمل أيضا ولها طرفان أحدهما واسع والآخر ضيق وتوضع فوق الأغشية المراد حفظها من القطع لئلا يغور المبضع فيها شكل (١٤٧).

أنبوبة : وهى أنبوبة من ريش الأوز أو ريش النسر توضع فوق الثملة (Myrmécie) وتشد عليها حتى تقطعها من أصلها ويمكن عمل هذه الأنبوبة أيضا من الحديد أو النحاس ويكون أعلى الأنبوبة رقيقا مُصْمَتًا ومفتولا حتى يمكن إمساكها بين الأصابع وفتلها (شكل ١١٦).

أنبوبة : لإخراج الدود المتولد فى الأذن وهى ضيقة الأسفل واسعة الأعلى يدخل الطرف الرقيق منها فى الأذن بقدر ما يحتمله العليل ويمص به مصا قويا يفعل ذلك مرارا حتى يخرج جميع الدود (شكل ٣٧).

أنبوبة : أخرى لإخراج الدود تصنع من فضة أو نحاس ضيقة الأسفل وبه ثقب صغير واسعة الأعلى وإن أريد يدخل فيها مدفع Piston فى جوف الأنبوبة من نحاس محكم أو مرود Stylet يلف طرفه بقطنة لفا محكما ويلقى الزيت أو ما يشبهه فى الأنبوبة وهى فى الأذن ثم يدخل المرود بالقطنة فى الأنبوبة ويعصر عصرا معتدلا حتى يندفع الدهن فى جوف الأذن وليكن ما يصب فى الأذن قد دفئ قليلا (شكل ٣٨)

أنبوب : تشبه أنبوبا من قصب تصنع من فضة أو نحاس أو من أسباذروية (orichalcum) ملساء مصقولة لها فى أسفلها ثقب صغير وفى جوانبها ثلاث ثقوب اثنان منها من جهة واحدة وثقب من جهة وطرفها

يصنع مبريا على هيئة برية القلم (شكل ٩٢) وتستعمل لبزل الماء فى الحبن (Ascites).

بريد: هو مبضع أشد صلابة من المقلح يثقب به نفس الملتحمة فقط دون التمعن فى الثقب ثم يستعمل المقلح (شكل ٥٠).

بريد[١]: ج برد وهو آلة كالمسبار (Sonde) أو Explorateur وهى تصلح لتفتيش الأورام والخراجات والنواصير وتصنع من نحاس أصفر أو من أسباذ رويه (كلمة مركبة من كلمتين اسفيد بمعنى أبيض ورويه بمعنى نحاس فتكون اسفيدرويه) أو من نحاس أو من حديد أو من فضة وأفضل ما صنعت من اسباذرويه وقد تصنع من الرصاص الأسود وتصلح لسبر النواصير التى يكون فى غورها تعرج لتنعطف بينها مع ذلك التعريج وهى ثلاثة أنواع طوال وأوساط وصغار.

(أشكال ٧٧ و٧٧َ و٧٧ً) بقدر ما يحتاج إليه كل ناصور ويكون غلظها على قدر سعة الناصور.

بيرم[٢]: عتلة صغيرة (levier)وهى من الحديد وطولها سبعة أو ثمانية أصابع وعرضها يتناسب مع الجرح ويجب أن يكون لدى الجراح منها ثلاثة أو أربعة حتى تكفى حاجة المجروح وهى مستديرة وشديدة حتى لا تعطى نفسها إذا ضغط عليها وقت العملية وأحد طرفيها رقيق ومعقوف والآخر أشد وتأخذ فى النقصان فى حجمها ابتداء من وسطها (شكل ١٤٩) وتستعمل لرد العظام المكسورة الناتئة على الجلد وتسويتها.

جبيرة (Attele): هى جهاز معد لشد العضو المكسور وجبره وتصنع الجبائر من أنصاف القصب العراض المهيئة بحكة أو تكون الجبائر من خشب الغرابيل التى هى من الصنوبر أو جرائد النخل أو من الخلنج

---

(١) البريد المرتب والمول.

(٢) بيرم كلمة فارسية بمعنى عتلة.

Bruyere أو من الكلخ (Ferula) (وهو ما لا يزال مستعملا فى الجزائر وشمال أفريقيا ونحوها)[1] وتكون الجبيرة التى توضع على الكسر نفسه أغلظ وأعرض قليلا من سائر الجبائر وطولها يكون بحسب العضو من كبر وصغر (شكل ١٤٢).

جفت[2] **Pince** : هو آلة لاستخراج العظام المكسورة من الفك أو أحد عظام الفم (شكل ٦٢).

جفت لطيف : لإخراج ما سقط فى الأذن من الحصى والأشياء الغريبة (شكل ٣٥).

حمال الورك : (لابن بطلان) لعلها نوع من الجبابر.

خشبة - طولها ذراعان وعرضها قدر أربعة أصابع وغلظها قدر أصبعين ويكون لها رأس مستدير ليسهل دخولها فى عنق الإبط ثم يربط على الرأس المستدير خرقا لينة لئلا تؤذى الخشبة العليل ثم يمد اليد أو الذراع على الخشبة إلى أسفل وتربط الخشبة على العضو والساعد وطرف اليد على عارضة سلم بالعرض وتمد اليد إلى أسفل ويترك سائر الجسد معلقا من الناحية الأخرى فإن المفصل يدخل من ساعته (شكل ١٥٠).

خشبة الكتف : (لابن بطلان) هى بعينها خشبة أبى القاسم الزهراوى.

خشبة الرأس (tête Rade) : هى آله لجرد العظم الفاسد تصنع من الحديد ويكون رأسها مدورا كالزر وقد نقش على رأسها بالمبرد أو الاسكفاج (Scolopax) فتوضع على موضع الفساد من العظم ثم تدار باليد مع الزم حتى ينجرد الفساد وينتهى طرفها بكرة أو قرص (شكل ٤٨).

---

(١) هكذا ذكر L. Leclevco.

(٢) جفت كلمة فارسية بمعنى زوج.

درج المكاحل : (لابن بطلان) هو كالعلبة تصف فيه المباضع.

ذات العشبتين : هى آلة تستعمل لاستخراج بقايا السن وجرد الأسنان (شكل ٦٠).

رمانة : هى مبخرة أو أنبوب وهى آلة مجوفة كالرمانة من أحد طرفيها وطرفها الآخر كالأنبوب تعمل من فضة أو نحاس وتوضع فى قدر فيه البخور ويطين القدر ويدخل الطرف المجوف الرمانة فى فم العليل فيصعد الدخان منها إلى اللهاة ويكرر ذلك مرارا حتى تتكمد اللهاة (أى يذهب عنها الاحتقان والتورم) ويخف ورمها (شكل ٧٠).

زراقات القولنج : (لابن بطلان) مفردها زراقة وهى الحقنة وقد يقال زارق بمعنى (irrigatoir كما جاءت فى المجلة الأسيوية .J. As.

سكين : حادة من الجهة الواحدة وملساء غير حادة من الجهة الأخرى تدخل تحت الأوعية بعد كشفها ويوجه جانبها الحاد إلى فوق نحو الجلد وجانبها الأملس نحو العظم ثم تقطع بها الأوعية دون أن يقطع الجلد (شكل ٣٤).

صنارة : فيها غلظ قليل لئلا تتكسر وبها يجذب الجنين (شكل ١٠٩).

صنارة أخرى ذات شوكتين : لجذب الجنين أيضا (شكل ١١٠).

صنارة ذات ثلاث صنانير : مجموعة فى ساق واحد وتستعمل لتشمير الجلد (شكل ٤٠).

صنارة كبيرة : لقلع بقايا السن وجرد الأسنان وهى مثلثة الطرف المعوج فيها بعض الغِلظ (شكل ٦١).

صنارة لطيفة الثنية : تستعمل فى لقط السبل Panus ثم تقطع بمقص لطيف (شكل ٤٥).

صنارتان : مزدوجتان فى جسم واحد وتستعمل فى نفس العمل الذى تستعمل فيه السابقة (شكل ٤٧).

صناصير : هى أنواع كثيرة وهى إما بسيطة أى أن لها مخطافا واحدا أو مركبة ولها مخطافان أو ثلاث مخاطيف ولكل نوع من هذه الأنواع ثلاثة أشكال كبار وأوساط وصغار ثم صنانير عمية أى كالة الطرف.

شكل ٧٨ صنارة بسيطة كبيرة.
شكل ٧٨′ صنارة بسيطة وسط.
شكل ٧٨″ صنارة بسيطة صغيرة.
شكل رقم ٧٩ صنارة عمية كبيرة.
شكل رقم ٧٩′ صنارة عمية وسط.
شكل ٧٩″ صنارة عمية صغيرة.
شكل ٨٠ صنارة كبيرة ذات مخطفين.
شكل ٨٠′ صنارة وسط ذات مخطفين.
شكل ٨٠″ صنارة صغيرة ذات مخطفين.
شكل ٨١ صنارة كبيرة ذات ثلاثة مخاطيف.
شكل ٨١′ صنارة وسط ذات ثلاثة مخاطيف.
شكل ٨١″ صنارة صغيرة ذات ثلاثة مخاطيف.

عتلة : hevien هذه آلة تستخدم فى حالة ما إذا بقى شيء من جذور ضرس مكسور فتقلعه وهى قصيرة الطرف غليظة قليلا لا طويلة ولا قصيرة لئلا تنكسر (شكل ٥٧).

ومن جنس العتل يوجد صور أخرى منها واحدة مثلثة الطرف فيها بعض الغلظ (شكل ٥٨) وبعضها مثلث الطرف لطيف (شكل ٥٩).

عود : لجبر عظم العَضُد وهو مقوس أملس متوسط الغلظ يربط فى طرفه رباطان ثم يعلق من موضع مرتفع ويجلس العليل على كرسى ثم يلق

ذراعاه المكسوران على العود حتى يصير إبطه ملصقا فى وسط الإنحناء العود ثم يعلق من فوقه شيء ثقيل أو يمده خادم إلى أسفل ثم يسوى الطبيب الكسر بيديه معا حتى يرد الكسر على ما ينبغى.

فاس: آلة كالمبضع فى طرفه شوكة تصلح لفصد بعض الأوردة (شكل ١٣٧).

قاثاطير: هى تعريب Catheter وهى آلة لإخراج البول من المثانة كما هو معلوم وهى طويلة فى نحو شبر ونصف رقيقة ملساء تصنع من فضة مجوفة كأنبوب ريش الطير وفى دقة الميل ولها قمع لطيف فى رأسها (شكل ٩٥).

قصبتان Canules: وتستعمل فى تشمير العين وهما قصبتان بقدر طول الجفن وعرضهما أقل من عرض مبضع وقد قرضتا من أطرافهما حيث تمسك الخيوط وتشد القصبتان من كلتى الجهتين شدا وثيقا وتتركان أياما حتى تموت الجلدة وتسقط من ذاتها أو تقرض بالمقراض إن أبطأت بالسقوط (شكل ٤٢).

كُلَّاب: لإخراج العلق وغيره مما ينشب فى الحلق طرفها معقف وهو الذى يدخل فى الحلق ويشبه فم الطائر وفيه خشونة المبرد إذا قبضت على شيء لم تتركه (شكل ٧٢).

كلاليب Forceps-Pince: هى آلات تخلع بها الأضراس والسنون المتحركة والكلاليب التى يحرك بها الضرس أولا تكون طويلة الأطراف قصيرة المقبض غليظة لئلا ينثنى عند القبض بها على الضرس ولا تعطى أنفسها وهى من الحديد أو الفولاذ وفى طرفها أضراس يدخل بعضها فى بعض فتنقبض قبضا محكما وثيقا وإذا كانت الأطراف كالمبرد يكون قبضها قويا (شكل ٥٥).

كلاليب: تشبه أطرافها فم الطائر الذى يسمى تدرجة Cigogne

وهذه الكلاليب لقلع أصل الأضراس التى تكون قد انكسرت وتصنع كالمبرد أو كالاسكفاج (شكل ٥٦) ولهذه الكلاليب صور أخرى.

لولب Vb : هو آلة يفتح بها فم الرحم وهو شبيه بملزم مجلد الكتب ويكون إما من أبنوس أو من خشب البقس له لولبان فى طرف خشبتين ويكون عرض كل خشبة نحو إصبعين وحرفها نحو إصبع وطولها شبر ونصف وفى وسط الخشبتين زائدتان من جنس الخشبة نفسها قد أوثقتا فيها يكون طول الواحدة منها نصف شبر وأكثر قليلا وعرضها نحو إصبعين أو أكثر قليلا وهاتان الزائدتان هما اللتان تدخلان فى المهبل ليفتح بها عند إدارة اللولب (شكل ١٠٢).

لولب آخر : ألطف وأخف يصنع من خشب الأبنوس أو البقس على شكل الكلاليب إلا أن طرفيه زائدتان طول كل زائدة منها نحو شبر وعرضها أصبعان وعند فتح المهبل تدخل هاتان الزائدتان مضمومتين فى المهبل وطرف الآلة ممسوك أسفل من الفخذين ثم تفتح اليد كما يفعل بالكلاليب سواء بسواء على قدر ما يراد من فتح المهبل حتى تصنع القابلة ما تريد (شكل ١٠٣).

لولب آخر : ذكرته الأوائل (شكل ١٠٤).

مبخرة : للتبخير بها عند احتباس الطمث والشيمة ونحو ذلك وتصنع من نحاس فيوضع طرفها الرقيق فى القبل والطرف الواسع على النار والبخور مجعول على الجمر (شكل ١١٣).

مبرد : من حديد يبرد به الضرس النابت على غيره المتمكن نصابه دقيق النقش كالمبرد ليبرد به الضرس قليلا قليلا وكذلك الضرس الذى انكسر بعضه وباقية بعضه يؤذى اللسان عند الكلام (شكل ٦٤).

مبضع حاد الطرفين : لشق الجلد فوق الشرايين لربطها (شكل ٣١).

مبضع : لشق الأورام والتجمعات الصديدية وهو كالمشرط المدور إلا أن نصله مستدير (شكل ٣٠).

مبضع : تُستر بين الأصابع عند بطّ الأورام لا يشعر بها المريض وهى ثلاثة أنواع كبير ومتوسط وصغير (أشكال ٨٥ و٨٥′ و٨٥″).

مبضع أملس الطرف : وهو مبضع طرفه كال غير محدود وتستعمل فى قطع الظفرة من العين ونتوء لحم الماق (شكل ٤٣).

مبضع دقيق لطيف : لقطع الأشياء الغريبة الساقطة فى الأذن بعد ترطبها برطوبة الأذن (شكل ٣٦).

مبضع زيتونى : وهو مبضع أقل عرضا وأرق طرفا يصلح لفصد العروق الدقاق (شكل ١٣٩).

مبضع شوكى Pointu : هو مبضع طويل محدود الجهتين محدود الطرف وإنما طرفه قصير لئلا يجوز به عند العمل إلى المعاء فتنفذ فيها وهو خاص ببزل البطن فى الحَبَن وهو معد لثقب جلد البطن ثم تدخل مكانه أنبوب رقيقة لتفريغ الماء (شكل ٩٠).

مبضع شوكى آخر : وهى التى يشق بها النواصير طرفها معقف إحدى جهتيه حادة جدا والجهة الأخرى غير حادة لا يقطع بها ما لا حاجة إلى قطعه (شكل ١١٥)

مبضع عريض ريحانى : نصله على هيئة ورقة الآس وهو ينفع فى فَصْد عروق المرفق والعروق المجوفة الممتلئة البارزة الغليظة (شكل ١٣٨).

مبضع لطيف leger : يكون طرفه أى نصله فيه بعض العرض قليلا محدودا وسائر المبضع أملس الجنبين لئلا يؤذى الأذن ويفتح به الأذن المسدودة أى تقطع الزوائد التى قد تكون نبتت فيها (شكل ٣٩).

مبضع لطيف أملس : عندما تكون الظفرة هشة لا يمكن إدخال

الإبرة فيها ولا تثبيت صنارة فإنها تجرد من فوق جردا بلطف بهذا المبضع (شكل ٤٤).

مبضع لقطع اللوز: هو آلة تستعمل عند عدم وجود مقطع اللوزة وهو كالمبضع إلا أن طرفه معقوف وهو حاد من جهة واحدة وغير حاد من الجهة الأخرى (شكل ٦٨).

مبضع نشيل(١):[والنشيل هو السيف الخفيف الرقيق اللسان] وهو الذى يصلح للشق ويكون منه أنواع عراض ورقاق على حسب سعة العروق وضيقها (شكل ١٤٠).

مبضع نشيل آخر: للشق على الحصاة شقا عجانيا (شكل ٩٨).

مبضعان عريضان: لقطع الجنين (شكلا ١١١، ١١٢).

مثقب لا يغوص: لأنه لا يتجاوز عظم القحف إلى ما وراءه وذلك لأن للمثقب حرفا مستديرًا على هيئة طوق أو دائرة فوق طرفه الحاد فيمنعه من أن يغوص ويجاوز ثخن العظم ومن هذه المثاقب عدة يصلح كل واحد منها لمقدار ثخن العظم المراد ثقبه وهذه صورة ثلاثة أنواع من المثاقب كبيرة ومتوسطة وصغيرة (شكل ١٤٥).

مجدع: المجادع تصنع من نحاس وهى كالقضيب تشبه المرود الذى يكتمل به وفى طرفه شبه ملعقة عريضة يكون فى رأسها شفرة المبضع العريض وشفرة المبضع مخفية تشبه لسان الطائر يجرى إلى داخل وإلى خارج متى أحببت (شكل ٨٤) مجدع وسط (وشكل ٨٤′) مجدع صغير وهو من الآلات التى تنصرف للشق والبط.

مِجْرَد: المجارد آلات يجرد بها الأضراس والسنون لرفع السواد والخضرة والصفرة عنها والمجارد مختلفة الصور كثيرة الأشكال على حسب ما

---

(١) النشيل السيف الخفيف الرقيق اللسان.

يتهيأ للعمل فبعضها يجرد به من داخل وبعضها من خارج وبعضها للجرد بين الأضراس (شكل ٥٤).

مِجْرَد آخر: كالملعقة أو كالمبرد وهو المسمى خشنة الرأس (شكل ٤٨).

مجرد لكشط العظام: أى جردها. رأسه كرأسى المسبار مكوكب أى على شكل النجمة ونقشه على هيئة نقش الإسكفاج وبه يحك رأس المفاصل إذا فسدت أو عظم واسع كبير وشكل ١٢٣).

مجرد آخر: ذو تجويف (شكل ١٢٤).

مجرد آخر: معطوف الطرف (شكل ١٢٥).

مجرد آخر: عريض (شكل ١٢٦).

مجرد آخر: (شكل ١٢٧).

مجرد صغير: يشبه المسبار (شكل ١٢٩).

مجرد طرفه كالمبرد: ينفع فى مواضع كثيرة من جرد العظام (شكل ١٣١).

مجرد: يصلح لجرد ما تفتت من العظام طرفه مثلث حاد الحواش يصنع من الحديد (شكل ١٣٢).

والمجارد كلها تصنع من الحديد.

مجرفة الأذن: (لابن بطلان) آلة كالمجرد لرفع الأشياء الغريبة من الأذن.

محاجم: جمع محجم وهى ثلاثة أنواع كبار وأوساط وصغار وهذه المحاجم تصنع من نحاس أو من صينى مدورة إلى الطول قليلا اسطوانية رقيقة الجدر وبها يقطع النزف بسرعة وينبغى أن يكون لدى الطبيب منها

من جميع القياسات (شكل ٨٦) صورة محجم كبير و (شكل ٨٦′) صورة المحاجم المتوسطة و (شكل ٨٦″) صورة المحاجم الصغيرة.

محجمة تستعمل بالنار: يكون سعة فمها إصبعان مفتوحان وعمقها نصف شبر تصنع من النحاس الأصفر غليظة الحاشية ملساء ومستوية مجلوة لئلا تؤذى العضو عند وضعها وفى وسطها قصبة معترضة من نحاس أو حديد حيث توضع الشمعة بالنار وقد تصنع هذه المحجمة كبيرة أكبر من ذلك أو أصغر وذلك بحسب الأمراض وسن مستعملها وفى جنب المحجمة فى نحو النصف ثقب صغير على قدر ما تدخله الإبرة وهذا يوضع الحاجم إصبعه عليه عند الاستعمال فيسده وعند الانتهاء يرفع الإصبع عن الثقب فَتَنْحَلّ المحجمة فى الحال (شكل ١٤١).

محجمة بالماء: هذه المحجمة ليس فيها قضيب صلب لوضع الشمعة فوقه ولا ثقب فى جانبها وإنما تملأ بالماء وتوضع على العضو فقط وهذه المحجمة كلما كانت كبيرة لتسع ماء كثيرا كانت أفضل ويستعمل فيها الماء الحار أو المطبوخ بالحشائش (شكل ٨٦).

محقن كبير (clystère): تصنع أنبوب المحقن من فضة أو من صينى أو من نحاس مفروغ أو مضروب وقد يصنع من هذه الآلة صغار وكبارًا بحسب الاستعمال فالصغار تستعمل للصبيان (شكل ١١٧) وقمة الأنبوب الأعلى تربط فيها الرقة (Parchemin) ويكون واسعًا على شكل القمع وله حاجز حيث تربط فوقه الرقة وطرفه الأسفل الذى يدخل فى المقعدة يكون أملس رقيقا مصمتا وفى أحد جنبيه ثقبان وفى الآخر ثقب واحد واتساع الثقب على غلظ المرود أو أغلظ قليلا والرق الذى يدخله الدواء يكون من مثانة حيوان أو من رق ضأن يعمل على هيئة سفرة (السفرة كيس يزر بخيط) ويكون بقدر شبر ونصف وفى حرف الرق ثقوب كثيرة يدخل فيها خيط وثيق تجمع به الرق كالسفرة فإذا وضع فيه الدواء ربط رأس الكيس هذا فى طرف المحقن فوق الحاجز ربطا وثيقا ثم يحقن الدواء.

محقن لطيف: تحقن به المثانة كالزراقة يصنع من فضة أو من أسبافروبه (Orichalque) رأسها الأعلى تشبه القمع الصغير وتحته حز يقع فوقه الرباط ثم تؤخذ مثانة حَمل ويوضع فيها السائل المراد حقنه وتربط فوق الحزّ ربطا قويا بخيط وتدفأ تلك السوائل قليلا ثم يدخل طرف المحقنة فى الإحليل ثم يشد باليد على المثانة شدا قويا فيندفع السائل إلى المثانة وإذا لم تحضر مثانة يؤخذ رق ويصنع منه مثانة (شكل ٩٧).

محك الجرب: (لابن بطلان) أظنها آلة لحك جرب الأجفان trachqma.

مخالب التشمير: (لابن بطلان) آلات كالصنانير تستعمل فى تشمير الأجفان.

مِخرط المناخير: (لابن بطلان) آلة لقطع اللحم الزائد النابت فى الأنف.

مِدَسّ (Sonde Ou explorateur) **:** هو آلة كالمرود لجس واستقصاء الأورام تؤخذ هذه الآلة فتدس فى أرطب مكان وهى تدار بين الأصابع قليلا قليلا ثم يخرج المدس وينظر إلى ما يخرج معه فى أثره من أنواع الرطوبات.

والمدسات ثلاثة أنواع كبير ومتوسط وصغير (شكل ٧٥).

صورة مدس كبير: (شكل ٧٥) صورة مدس وسط (شكل ٧٥') صورة مدس صغير.

صورة مدس صغير: وتصنع من الفولاذ وهى مربعة الأطراف محكة.

مدفع (repoussoir) **:** يدفع به الجنين وهو على شكل الصنارة يشبك طرفه فى الجنين ويدفع به إلى الأمام (شكل ١٠٥).

مدفع آخر: (شكل ١٠٨).

مدفع مجوف: لاستخراج السهام (شكل ١٣٥).

مدفع مصمت الطرف: كالمرود ليسهل دخوله فى السهم المجوف (شكل ١٣٦).

مزراقة: لعلها الزراقة. آلة لتقطير الماء فى جوف المثانة طرفها العلوى مصمت قليلا وفيه ثلاثة ثقوب اثنان من جهة واحدة وواحد من جهة أخرى وتجويفها الذى فيه المدفع Piston يكون على قدر مايسده حتى إذا جذب به سائل انجذب وإذا دفع به اندفع إلى بعد وكيفية استعمالها كمحقنة الزجاج (شكل ٩٦).

مسبار: مثقوب الطرف كإبرة الإسكاف يدخل فيها خيط مفتول من خمسة خيوط فيدخل المسبار بالخيط فى الناصور (فى علاج النواصير والشق عليها) حتى يبلغ قعره (شكل ١١٤) فإن كان منفوذا فى حاشية المقعدة يخرج الخيط من ذلك الثقب ويجمع بين الطرفين ويشد ويترك يومين أو ثلاثة فينقطع اللحم.

مُسْعُط: وهو آلة تقطر الأدهان فى الأنف ويصنع من فضة أو نحاس شبه القنديل الصغير مفتوحة كالمدهن ومجراها كذلك وأنبوبتها ملفوفة (اسطوانية) كالقصبة ومدهن المسعط مسطح وله مقبض فى آخره (شكل ٥٣).

مِسَلّ[1]: آلة يشق بها الدالية وهو كالمبضع (شكل ١٣٣).

مشداخ Cranioclaste: وهو آلة تشرخ بها رأس الجنين حتى يسهل إخراجها من فم الرحم وهو يشبه المقص وله أسنان فى طرفه (شكل ١٠٦) وقد يكون الطرف مستطيلا كالكلاليب وله أسنان كأسنان المنشار

---

(١) السل انتزاعك الشيء وإخراجه فى رفق.

تقطع بها وترض (شكل ١٠٧).

مشرط: هو آلة تشق وتسلخ بها السلع والأورام وهى ثلاثة أنواع كبار ومتوسطة وصغار وهذه المشارط عريضة النصل وأحد طرفيها حاد والآخر غير محدود وأنها جعلت كذلك ليُستعمان بها فى شق السلعة.

(شكل ٨٢) صورة مشرط كبير.

(شكل ٨٢′) صورة مشرط متوسط.

(شكل ٨٢″) صورة مشرط صغير.

مِشْعَبٌ: هو آلة من حديد الفولاذ مثلث الطرف حاد مغروز فى عود «أى فى مقبض» من الخشب وهى معدة لثقب الحصاة فى جوف مجرى البول والقضيب وذلك لثقب الحصاة وتسليك البول ثم يزم باليد فوق الحصاة فتتفتت وتخرج مع البول (شكل ٩٩).

مفتاح الرحم: (لابن بُطلان) هو آلة كاللولب عند الزهراوى.

مِقْدح[1]**:** هو آلة كالمبضع يستخدم فى قدح الماء النازل فى العين Cataracte (شكل ٥٠).

ويوجد مِقْدح آخر مُنفَذ يمص به الماء وتوجد مقادح أخرى مختلفة عنه (شكل ٥١، ٥٢).

مقدتان[2]**:** مفردها مِقَد وهو نوع من أنواع المباضع ذو حدين إلا أنه أقل حدة من السكين.

مقص: صغير لقطع ما يفضل من الجلد فى عمليات الجفن أو غيرها (شكل ٤١).

---

(١) المقدح والمقداح والمقدحة والقداح كلها الحديدة التى يقدح بها وقدح فى القدح خرقة بسنخ النصل.

(٢) المقد ما قد به والسكين.

مقص التطهير: شعبتان قاطعتان لا عوج فيهما ومساميره فى مستوى النصل الذى يبلغ طول المقبض (شكل ٤٩).

مقص لطيف: يستعمل فى لقط السبل (شكل ٤٧).

مقطع: تقطع به العظام (شكل ١٣٠).

مقطع: آخر صغير للعظام (شكل ١٣٣).

مقطع اللوزة: هى آلة تشبه المقص وطرفها معقوفان وتجويفاهما متقابلان أحدهما بحذاء الآخر وحادان جدا وتصنع من الحديد أو الفولاذ (حديد مسقى) (شكل ٦٧).

مقطع عدسي Couteau Lenticulaire: يصلح لجرد وتسوية خشونة ما بقى من العظم، وهو أدق وألطف من سائر المقاطع وجزؤه العدسى أملس لا يقطع شيئا وجزؤه الحاد من الجانبين فهو ملحوم بالطول فوق الجزء العدسى (شكل ١٤٦).

مقطع لطيف: ضيق الشفرة يقطع به العظم المكسور (شكل ١٤٣).

مقطع آخر: أعرض من الأول قليلا (شكل ١٤٤).

وهذه المقاطع يوجد منها عدة مختلفة وبعضها أعرض من بعض وبعضها أقصر من بعض وتكون فى غاية من حدة أطرافها وهى من حديد أو فولاذ جيد.

مكبس اللسان: هى آلة مجوفة تصنع من فضة أو من نحاس تكون رقيقة كالسكين ومسطحة يكبس بها اللسان لرؤية الحلق وكشف أورامه (شكل ٦٦).

مكمدة الحشا: (لابن بطلان) آلة تستعمل للضماد (اللبخ فى عصرنا).

مكواة : هى ساق من الحديد يبلغ طوله نحو ١٢ أو ١٥ سنتيمترا ولها طرف يتغير شكله بتغير مكان الكى ونوع المرض الذى يكوى فيه وهى لذلك أنواع كثيرة :

مكواة آسية : لأن كيها على شكل ورقة الآس ويكوى بها العشر فى أشفار العين والشتر (شكل ١٠).

مكواة انبوبية : وهى على شكل الأنبوب يكوى بها الأضراس وأشكالها تتعدد كأشكال ١٤ و١٥ و١٦.

مكواة دائرة Cautere nummulaire : يكوى بها فوق الحدبة البارزة فى ابتداء الحدبة gibbosité (شكل ٢٥).

مكواة كسابقتها : إلا أن طرفها هلالى تكوى بها الفتوق وهى درجات بحسب السن (شكل ٢٧).

مكواة أخرى دائرة : تكوى بها فوق المعدة تنقيطا تحت النتوء الخنجرى للقص (شكل ١٨).

مكواة أخرى : يكوى بها الكبد تكوى ٣ نقط (شكل ١٩).

مكواة ذات ثلاث شعب : ويكوى بها تنقيطا (شكل ١٥).

مكواة ذات السكينين : تكون حادة السكينين وشبيهه بالمقدتين ونصلها حاد كالمبضع أو أقل حدة لئلا تسرع إليها البرودة وإذا كانا سميكين تحفظ فيها الحرارة وهى لكى الشريان وقطعه (شكل ٣٢).

مكواة ذات السفودين : وهى مكواة عادية إلا أن بأحد طرفيها ثلاث شعب كرقة المرود يكوى بها فوق المفصل فى الخلع (شكل ١٧ ′).

مكواة زيتونية الشكل : يكوى بها فى الفالج والصداع والسكات (جمع سكتة) ونحوها من الأمراض وخلع الورك وعرق النسا (شكل ١

وشكل ٢٦ صورة مكواة زيتونية متوسطة).

وشكل ٢ صورة ثانية ولكنها ألطف يكوى بها قرن الرأس أى القأس Occiput والمقدم.

مكواة سكينية : وهى نوع من السكينة إلا أنها ألطف وينبغى أن يكون فى نصلها غلظ ويكوى بها فى اللقوة حتى يحرق نصف الجلد (شكل ٦) (وشكل٧) مثال آخر من المكواة السابقة يكوى بها فى الشلل فوق فقار الظهر.

مكواة سكينية أخرى : صغيرة حدها رقيق كحد السكين يكوى بها شعرة Fissuve الشفاة (شكل ١٣).

مكواة أخرى : صورتها كالسكين المعوجة النصل يكوى بها فى أورام الساقين والقدمين (شكل ٢١).

مكواة تشبه العين : أو حرف تاء اليونانية يبط بها الصفاق وهى حامية حتى تخرج الرطوبة كلها فى الأدرة المائية hydrocele (شكل ١٠١).

مكواة كالقدح : لِكَىّ الورك وهى عبارة عن قدح بقدر نصف شبر وسمك نواة تمر فى داخله قدح فى داخله قدح ثالث ويكون بُعد ما بين قدحين بقدر عقدة الإبهام وكلها مفتوحة من الجهتين وارتفاعها نحو عقدة أو عقدتين ولها مقبض من حديد شكل ٢٣.

مكواة مجوفة : وهى كهيئة الأبنوب رقيقة كريش النسر من الطرف الواحد الذى يكون به الكى والطرف الآخر منفوذ أو مصمت كالمرود بحسب الإرادة والمجوفة أفضل ويكوى بها النواصير العينية فى مآق العين (شكل ١١).

مكواة مسمارية : لأن رأسها أو طرفها كرأس المسمار فيه بعض التعقيف وفى وسطها نتوء ويكوى بها فى الشقيقة مكان الوجع وفى أمراض

الكلى والمثانة ويكوى بها بواسير المقعد والرحم (شكل ٣، ٤).

مكواة مسمارية أخرى: يكوى بها فى وجع الظهر فوق وجع الظهر فوق الوجع ثلاثة صفوف فى كل صف خمس كيات (شكل ٢٤).

مكواة منشارية: أو مسمارية كما قال Leclerc (شكل ٨).

مكواة ميلية Styliforme: لسائر الفتوق (شكل ١٨).

مكواة تشبه الميل - تستعمل لبط خراجات الكبد وبعد أن يعلم موضع البط بالمداد تحمى المكواة ويكوى الجلد حتى يحرق وتنتهى المكواة إلى الصفاق وتخرج المدة وهى كشكل الحربة ويكوى بها أيضا الثآليل والشوصة Pleuresie ونواصير المقعد (شكل ٢٠).

مكواة تسمى النقطة Cautère àpointe: وهى كالمسمارية إلا أن طرفها على هيئة رأس الدبوس وينقط بها بعد إحمائها على مكان الوجع (شكل ٥).

مكواة هلالية Sami-Lunaire: وهى كالمكاوى إلا أن طرفها على شكل هلال ويكوى بها جفن العين فى استرخاء الجفن أويكوى فوق الحاجبين (شكل ٩).

مكواة هيلجية: هى آلة نافعة جدا وهى صالحة لنزف الدم وللجرح إذا تعفن وهى عبارة عن قضيب من المعدن وفى طرفه قطعة على شكل هلال (شكل ٩٣).

ملزم البواسير: (لابن بُطلان) آلة كملزم مجلد الكتب تزم بها البواسير لقطعها.

منشار صغير: لنشر الضرس الذى نبت من خلف ضرس آخر أو كان ملصقا بضرس آخر وهو من الحديد حاد الطرف جدا. (شكل ٦٣).

منشار عظيم : المناشير من هذا النوع كثيرة على حسب وضع العظام واتجاهها وغلظها ورقتها وكبرها وصغرها وصلابتها وتخلخلها فلكل نوع من العمل آلة مشاكلة لذلك العمل فى أشكالها (شكل ١١٩ وشكل ١٢٠ وشكل ١٢١ وهو منشار صغير وشكل ١٢٢ وهو منشار كبير وشكل ١٢٨ صورة منشار آخر محكم.

منقب[١] (Perforateur) : يستعمل فى ناصور الأنف وهو أن يكشف أولا عن العظم بالمبضع أو بالدواء الكاوى ثم يوضع على العظم نفسه قرب الملق بعيد عن العين قليلا ويدار باليد حتى ينقب العظم والمنقب طرفه الحديد مثلث وعوده خشب مخروطى رقيق الطرف (شكل ٤٩).

النشاب : (لابن بطلان) آلة كالخطاف (من نشب الشىء بالشىء أى علق به).

والزهراوى هو صاحب كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف وهو الموسوعة الطبية الكاملة التى تحتوى على رسوم إيضاحية للأدوات والآلات الجراحية.

يقول الزهراوى فى مقدمة الجزء الأول لكتابه[٢] «والسبب الذى لا يوجد من أجله صانع محسن فى زماننا هذا أن صناعة الطب طويلة وينبغى لصاحبها أن يرتاض قبل ذلك فى علم التشريح الذى وضعه جالينوس حتى يقف على منافع الأعضاء وهيآتها...

ومن خلال كتاب الزهراوى : «التصريف لمن عجز عن التأليف نلاحظ كما يقول الدكتور محمد رضا عوضين[٣] : تأثره كغيره من الأطباء

---

(١) المنقب حديدة ينقب بها البيطار سرة الدابة (القاموس).

(٢) التصريف لمن عجز عن التأليف للزهراوى جـ ١ ص ٢ وص ٣.

(٣) فى بحث علمى له بدورية البحث العلمى والتراث الإسلامى الصادرة عن جامعة الملك عبد العزيز ص ٢١٩، ص ٢٢٠ العدد الأول ١٣٩٨ هـ وعنوان البحث «من تراثنا الطبى».

فى هذه العصور بنظرية الأخلاط تأثرًا شديدًا. وقد حاول أن يفسر جميع أسباب العلل تبعًا لهذه النظرية، وبالتالى محاولة علاجها حسب الأسباب التى تتصورها هذه النظرية من كسر لحدة الخلط الزائد باستعمال الفصد والمسهلات أو الأدوية أو الأغذية الخاصة بكل خلط حسب الحالة فإذا ما تخطينا هذه العقبة واستثنيناها عند تقييم هذه المقالات، فإننا نلاحظ دقة كبيرة فى وصف العلامات السريرية « الإكلينيكية » الهامة التى تقرب كثيرًا من المشاهدات الموصوفة فى مراجع الطب الحديث، كما نلاحظ دقة متناهية فى الوصف التشريحى لبعض الأمراض مما يوحى بأنه قد قام بتشريح هذه الأجهزة بنفسه.

وفى الجزء الأول يتكلم عن السكتة - وأما ما يسميها بالفالج العظيم - وهو وصف دقيق لما تشاهده اليوم من اضطرابات مختلفة فى الدورة الدموية داخل المخ أو ما يسمى «Cerabralapoplexy» ويقسمها إلى ثلاثة أحوال : الأولى هى المزمنة أى التى لا يبرأ منها المريض، والثانية هى تلك التى يبرأ منها المريض، والثالثة التى تقتل سريعًا، وإذا ما قارنا ذلك بما يوصف فى الوقت الحاضر فى مثل هذه الحالات فلا نجد أنها تخرج عن هذا التقسيم كثيرًا فما زلنا نصنفها إلى ثلاثة حالات : الأولى وهى المزمنة وغالبًا ما تكون لجلطة فى أحد شرايين المخ الرئيسية التى يبرأ منها فقد تكون ناتجة عن ارتفاع مؤقت لضغط الدم العام أو جلطة صغيرة فى أحد شرايين المخ وسرعان وما تتكلل أو يجرفها تيار الدم أو تقلص وقتى فى أحد شرايين المخ، أما الثالثة : أى التى تقتل سريعًا - فغالبًا ما تكون نتيجة عن نزف داخل المخ.

كذلك نلاحظ وصفًا دقيقًا لعلامات « إكلينيكية » هامة فى مثل هذه الحالات، منها اهتمامه بملاحظة التنفس كعلامة لشدة السكتة، وتعريفه الدقيق للغيبوبة فى السكتة القوية « وهى التى تنقطع فيها الأفعال المدبرة الثلاثة وهى التخيل والفكر والذكر والحس والحركة، وكذلك ملاحظته

لمقدمات السكتة من صداع شديد مفاجئ، ودوار، وتخيلات بصرية تسمى اليوم بهلاوس بصرية Visual Hallucinations وعربيتها السهادير وكذلك إدراكه الصحيح بأن خروج الزبد من الفم علامة سيئة لحالة المريض.

وكذلك تفهمه للفالج الناقص أى الشلل النصفى البسيط، أى غير المصحوب باضطراب شديد فى درجة الوعى Hemiplegia أما القوى منها فهى ما تسمى فى الطب الحديث بشلل العصب المخى السابع أو شلل العصب الوجهى Facial palsy ومن أهم أنواعه ما يسمى بشلل « بل » Bell's Palsy ولكنه فيما يبدو لم يستطع أن يتبين أن عصب حس الوجه يختلف عن العصب المحرك لعضلات الوجه واعتبرهما عصبًا واحدًا، وهذا يرجع بالطبع إلى عدم إلمام أطباء هذه العصور بالتشريح الكامل للجسم البشرى، ولكنه فى هذا الجزء أيضًا تجد هناك ملاحظات إكلينيكية دقيقة، منها وصفه للعلامات الإكلينيكية للشلل، وذكره أن الوجه يميل نحو الجانب الصحيح، وكذلك تفرقته بين شلل العصب وتشنج العصب السابع Facial Spasm وفى هذا النوع الأخير يذكر لنا أن الوجه ينجذب نحو الجانب المريض بعكس الشلل فكل هذا يماثل تمامًا المفهوم الطبى الحديث. أما فى القول عن التشنج فتلاحظ كيفية تمييزه بين التشنج Convulsions والحركات اللا إرادية الأخرى involutary.

وكذلك تميزه بين أنواع التشنج المختلفة وأيضًا تفرقته بين التشنج والامتداد «Tanic Spasms» وفى هذا الأخير يصف حالة تقارب تمامًا ما نعرفه اليوم بمرض « التيتانوس » وفيه يصف العلامات الإكلينيكية بدقة متناهية حتى علامة الفم والأسنان « وربما عرض لبعضهم سبب الضحك وكشف الأسنان » وهذه العلامة هى ما تسميها اليوم باسم Risus Sardomnicus وتعتبر علامة أساسية فى تشخيص المرض وفى هذه المقالة أيضًا استطاع تشخيص حالات الشلل الناتجة عن قطع الأعصاب وهو ما يسميها بالاسترخاء ويطلق عليها اليوم بمرض العصاب المحرك السفلى

لوحة ٤

1	2	3	4	5	6
مقص	مِقراض	كاز بمعنى المقص	فتاحات	قمادين	صنانير

7	8	9	10	11	12
وَرْدَة	نصف ورده	حربه	آسه	طَبَر	موسى

13	14	15	16	17	18
مِشْرَط	مِجْرَاد	مِبْضَع مدور الرأس	مِنْجَل	منقاش	مِلقط

صور آلات الكحالة كما جاءت فى كتاب الكافى فى الكحل لخليفة الحلبى

لوحة ٥

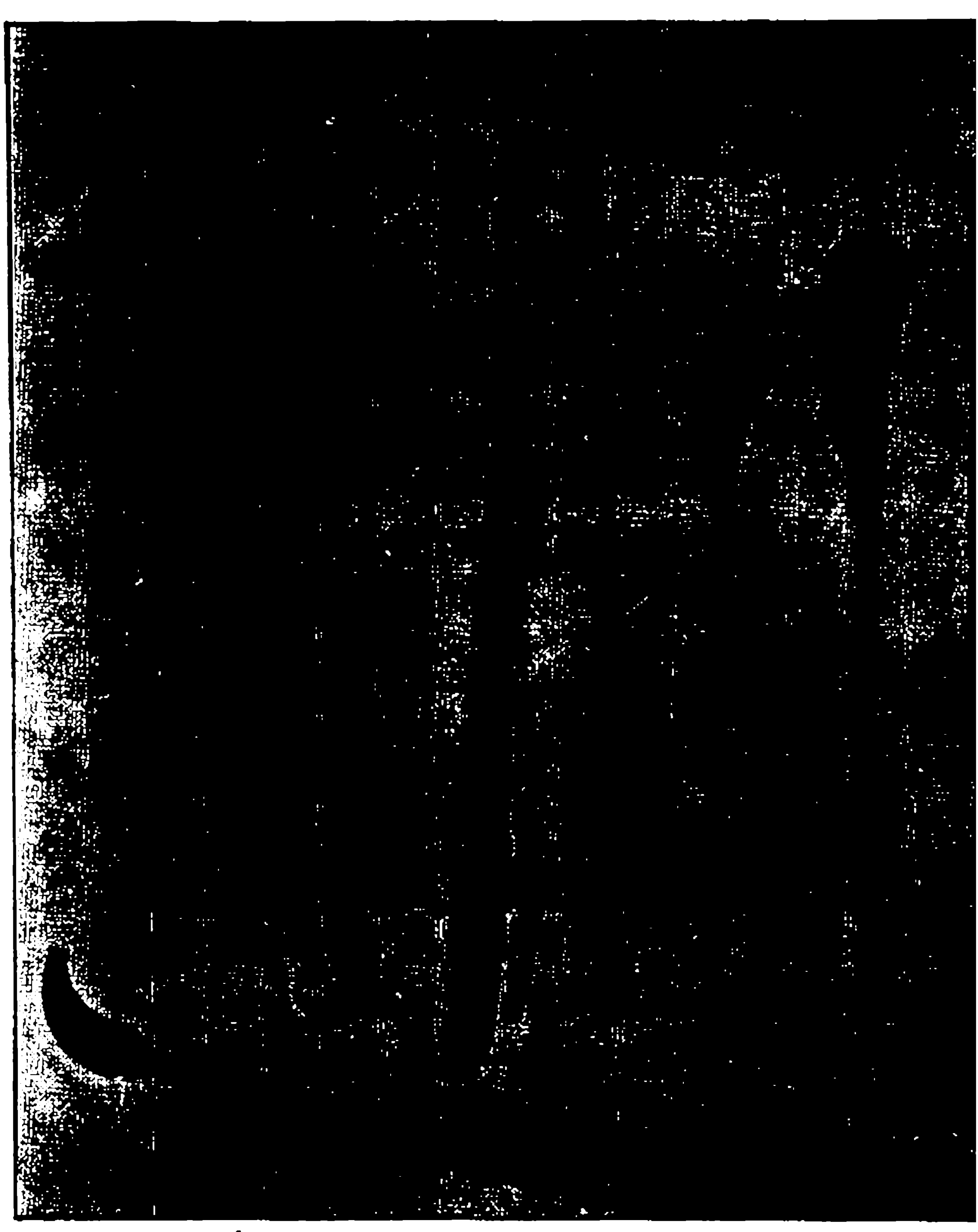
24	23	22	21	20	19
جفت	مِحُف	مكواة موضع الشعر	مِكواة الغَرَب	مكواة الصدغين	مكواة اليافوخ

30	29	28	27	26	25
جركان وابرة	انبوبة النمله	مبهت مجوف	مِبهت مُدُور	سكين تعرف بالشوكة	ذات الشعيرة

36	35	34	33	32	31
حَلْقَة	كلبتان نصولية	مِخْنَف دَقيق	دصاص التثقيل	مِبْعَط وَقرن	دهق التشمير

صور آلات الكحالة كما جاءت فى كتاب الكافى فى الكحل لخليفة الحلبى

لوحة ٦



صور بعض الآلات الطبية والجراحية التى عثر عليها فى أثناء التنقيب
فى خرائب الفسطاط والمحفوظة بدار الآثار العربية

وإدراكه للأسباب المتعددة لذلك، ومنها إخراج Lower Motor Neuroneision العمود الفقرى الذى ينتج فى معظم الأحوال حسب المفهوم الحديث عن تدرن العمود الفقرى أو ما يسمى بمرض « بوت » Pott's disease.

أما الجزء الأخير - وهو القول فى عدم الشم أو نقصانه - فنلاحظ دقة متناهية فى تقسيم أسبابه لا تختلف كثيرًا عن مفهومنا عنه فى الطب الحديث، فقد استطاع أن يميز بين الشم الخِلْقِى Congenital والمكتسب واستطاع أيضًا أن يتتبع بدقة تدعو للدهشة أسباب عدم الشم المكتسب من نهاية العصب فى بطنى الدماغ Orbitalsar Face Qffrontal labe حتى بدايته فى الأغشية المخاطية بالأنف، ونلاحظ كذلك الوصف الدقيق لعظمة المشاش ذوات الثقوب الكثيرة التى تنفذ منها ألياف عصب الشم وهى التى تسمى بالإنجليزية Cribriform Plate of ethmoid bone مما يوحى بل يؤكد ممارسته لتشريح هذا الجزء المعقد الدقيق من الجسم وكذلك يشير فى علاج نقصان الشم إلى كيفية سعوط الأنف، وأهمية أن يقلب المريض رأسه إلى الخلف ما أمكن، ويجذب النفس إلى دماغه حتى يحس بالدواء فيه، وهذا يتفق تمامًا مع مفهومنا الطبى الحديث، حيث ينصح المريض بذلك عند استعمال أدوية الأنف حتى يصل العقار إلى الجيوب الأنفية التى تقع أعلى الأنف وعلى جانبيه.

وأهم أجزاء كتاب التصريف للزهراوى « المقالة الثلاثون » وقد أفرد هذه المقالة للجراحة. ولأهمية هذه المقالة نعرض لفصولها بوضوح لنبين مدى أصالة علم الجراحة عند العرب. ولا بد لنا أن ننسب الفضل لأهله. فقد عثرت على هذا العرض العلمى الدقيق الرائع للمقالة الثلاثين من خلال كتاب الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب بإشراف الأستاذ الدكتور/ محمد حسين كامل رحمه الله[١]. يبدأ الزهراوى هذا الجزء بمقدمة توضح حال الجراحة ومنزلتها فى أيامه يقول فيها: « لما حملت

(١) الموجز فى الطب ص ١٠٦ إلى ص ١٤٣ باختصار.

لكم يا بنى هذا الكتاب الذى هو جزء من العلم بالطب بكماله، وبلغت الغاية فيه من وضوحه وبيانه، رأيت أن أحمله لهذه المقالة التى هى جزء العمل باليد، لأن العمل باليد فى بلادنا وفى زماننا معدومة ألبتة حتى كاد أن يدرس علمه وينقطع أثره، وإنما بقيت منه رسوم يسيرة فى كتب الأوائل، قد صحفته الأيدى وواقعه الخطأ والتدريس، حتى استغلقت معانيه وبعدت فائدته، فرأيت أن أحييه وأؤلف فيه هذه المقالة عن طريق الشرح والبيان والاختصار، وأن آتى بصور جديدة للكى وسائر الآلات للعمل باليد إذ هو من زيادات البيان ومن وكيد ما يحتاج إليه. والسبب الذى لا يوجد صانع محسن بيده فى زماننا هذا لأن صناعة الطب طويلة وينبغى لصاحبها أن يرتاض من قبل ذلك فى علم التشريح الذى وضعه جالينوس حتى يقف على منافع الأعضاء وهيئاتها ودرجتها واتصالها وانفصالها ومعرفة العظام والأعصاب والعضلات وعددها ومخارجها. قال الفاضل أبوقراط أن الأطباء بالإسم كثير وبالفعل قليل ولاسيما فى صناعة اليد «الجراحة». وقد ذكرنا نحن من ذلك طرفًا فى المدخل من هذا الكتاب لأنه من لم يكن عالمًا بما ذكرنا من التشريح لما يخل أن يقع فى خطأ، كما قد شاهدت كثيرًا من تصدر فى حال العلم وادعاه بغير علم ولا دراية.... ولهذا ينبغى لكم أن تعلموا أن العمل باليد ينقسم إلى قسمين :

الأول : تصحبه السلامة، وعمل يكون معه العطب فى أكثر الحالات.

تنقسم هذه المقالة إلى ثلاثة أبواب :

الباب الأول : يختص بالكى وهو مقسم إلى ٥٦ فصلاً.

الباب الثانى : يختص بالشق والبط والفصد وسائر العمليات الجراحية، وبه جزء عن أمراض النساء والولادة والعيون والأنف والحلق وهو مقسم إلى ١٠٠ فصل.

الباب الثالث: يختص بالكسور والخلع.

وسنكتفى بإلقاء الضوء على الباب الأول والثانى فمن خلالها يتبين لنا كيف كان الزهراوى جراحًا عظيمًا.

الباب الأول: الكى

علاج الأمراض بالكى بالنار طريقة قديمة جدًا، والنظرية فى ذلك أن الأقدمين كانوا يظنون أن بعض الأوجاع والأمراض سببها رطوبات فاسدة، لذلك كان علاجها الشافى هو النار وهى الحار اليابس.

ولم يكن الزهراوى أول من استعمل الكى غير أنه وصل به إلى حد يقرب من الكمال، وابتدع له كثيرًا من الأدوات وطرق الصناعة. وفى ٥٦ فصلًا يصف الزهراوى طريقة الكى فى الأمراض المختلفة من الرأس إلى القدم.

وقد صمم عدة أشكال مختلفة للمكاوى التى يستعملها مبينًا مكان استعمال كل واحدة. ومن هذه المكاوى:

١ - المكواة الزيتونية.
٢ - المكواة السكينية.
٣ - المكواة الهلالية.
٤ - المكواة المسمارية.
٥ - المكواة ذات السفودين.
٦ - المكواة ذات العناقيد الثلاثة.
٧ - مكواة الدائرة.
٨ - المكواة التى تشبه الميل[1].

---

(١) الميل: المسبر.

وكان يستعمل كى الرأس لعلاج الصداع ووجع الأسنان وأوجاع الحلق والشقيقة[١]، والنسيان :

واستعمل الكى فوق الرأس وفقرات العنق والظهر لعلاج الفالج «الشلل» واسترخاء البدن والصرع والماليخوليا.

.. وفى حالة الخلع المزمن للإبط يكوى الجلد فوقه بالمكواة ذات السفودين بحيث تنفذ إلى الجانب الآخر ويأتى شكل الكى أربع كَيّات، أو تتخذ المكواة ذات السافافيد الثلاثة، فيكون شكل الكى حينئذ ست كيّات.

.. وإذا حدث فى المعدة برد ورطوبات يكون كيّة واحدة فوق المعدة بمكواة الدائرة، أو يكون ثلاث كيات بمكواة مسمارية.

.. وفى ورم الكبد الناتج من خراج تستعمل المكواة التى تشبه الميل ويحرق الجلد كله إلى الصفاق حتى تخرج المدة كلها. ولكنه يحذر من هذا النوع من الكى فيقول أنه لا ينبغى أن يستعمله إلا من طالت دربته فى صناعة الطب.

.. وفى أمراض الكبد يكوى المريض ثلاث كيات فوق الكبد. وفى أمراض الطحال يكوى ثلاث أو أربع كيات على طول الطحال، وتستخدم فى ذلك مكواة خاصة رأسها بيضاوى. وما زلنا حتى أيامنا هذه نرى مثل اثار هذا الكى فى مرضانا الريفيين الذين يعانون من تضخم الطحال.

وقد استعمل الكى لعلاج الناصور الذى كان فى المقعدة ونواحيها وكان فى موضع لحمى. ولم يكن يفضى إلى خرم المثانة أو إلى خرم المعىّ.

---

(١) الصداع النصفى.

الباب الثانى : فى الشق والفصد والخراجات ونحوها

.. فى الفصل الأول : يشرح مرض تجمع الماء فى رؤوس الصبيان، ونجده يفرق بين حالتين :

(أ) نوع تجتمع فيه الرطوبة بين الجلد والعظم Meningocele

(ب) نوع تجتمع فيه الرطوبة تحت العظم، وعلامته أن ترى خياطات الرأس مفتوحة من كل جهة Hyrocephalus.

.. ونجده يقول : «إن هذه العلة تسرع إلى الموت»، ولذلك رأى ترك العمل به..

.. وفى الفصل السابع والعشرين : يصف الأورام الصغار ويسميها «العقد» التى تعرض لكثير من الناس داخل شفاههم Mucous cysts ويشبه بعضها «حب الكرسنة» وبعضها أصغر، «فينبغى أن تقلب الشفة وتشق على كل عقدة ثم تحشو الموضع بزاج مسحوق[1] حتى ينقطع الدم ثم يتمضمض بالخل».

.. وفى الفصل الرابع والثلاثين : يتكلم عن قطع الرباط الذى يعرض تحت اللسان فيمنع الكلام Tonguetie فيقول : «قد يكون هذا الرباط الذى يعرض تحت اللسان إما طبيعيًا يولد به الإنسان وإما أن يكون من جرح قد اندمل. والعمل فيه أن تفتح فم العليل ورأسه فى حجرك وترفع لسانه ثم تقطع ذلك الرباط بالعرض حتى ينطلق اللسان من إمساكه، فإن كان فيه بعض الصلابة والتعقد وكان ذلك من اندمال جرح فألق السنارة فيه وشقه شقًا بالعرض حتى يبرأ الرباط واحذر أن يكون الشق فى عمق اللحم فيقطع شريانًا هناك فيعرض النزف، ثم يتمضمض العليل فى أثر

---

(١) الزاج الأبيض.

القطع بماء الورد وبالخل وبالماء البارد، ثم يضع تحت اللسان Ranula فتيلة كتان يمسكها العليل فى كل ليلة، لئلا تلتحم ثانية».

.. وفى الفصل الخامس والثلاثين: يتحدث عن إخراج الضفدع المتولد تحت اللسان فيقول: «قد يحدث تحت اللسان ورم شبيه بالضفدع الصغير يمنع اللسان عن فعله الطبيعى، وربما عظم حتى يملأ الفم. والعمل فيه أن يفتح العليل فمه بإزاء الشمس وتنظر الورم، فإن رأيته كمد اللون أو أسود صلبًا ولم يجد له العليل حسًا فلا تعرض له. فإنه سرطان، وإن كان مائلا إلى البياض فيه رطوبة. فألق فيه السنارة وشقه ببضع لطيف من كل جهة، فإن غلبك الدم فى حين عملك فضع عليه زاجًا مسحوقًا حتى ينقطع الدم، ثم عد إلى عملك حتى تخرجه بكماله، ثم تمضمض بالخل والملح». وهذا الكلام ما زال صحيحًا حتى يومنا هذا.

.. وفى الفصل الأبعين: يتكلم عن «بط الأورام وشقها»: وهو يعنى هنا الالتهابات والخراجات فيقول: «إن أنواعها كثيرة، وهى تختلف فى بطها وشقها من وجهين، أحدهما نوع الورم نفسه وما يحوى من الرطوبات والنوع الثانى من قبل المواضع التى تحدث فيها من البدن، لأن الورم الحادث فى المقعدة والورم الحادث فى مفصل، لكل واحد منها حكم من العمل».

.. «ومن الأورام ما لا ينبغى أن يبط إلا بعد نضج القيح فيها وكماله، ومنها ما ينبغى أن تبط وهى نيّة لم تنضج على التمام». ويعطى مثلًا لذلك الخراج الحادث بقرب المقعدة لئلا يعفن فينفذ إلى داخل المقعدة Anal Canal فيسير ناصورًا. وهو رأى صحيح لا يزال متبعًا حتى الآن.

.. وينبغى أن يوقع البط فى أسفل موضع من الورم إن أمكن ذلك ليكون أسهل لسيلان المادة إلى أسفل. وفى أرقّ موضع من الورم وأشده،

نتوءًا وليكن البط ذاهبًا فى طول البدن إن كانت الأورام فى نحو اليدين أو الرجلين ومواضع العضلات والأوتاد والعصب والشريانات. . . » وهذه نصيحة لا نستطيع أن نزيد عليها فى الوقت الحاضر.

. . « وإن كان الورم قد قطعت من الجلد بعضها أو قورته فينبغى أن تحشوه بالقطن أو بهدب الكتان من غير رطوبة وتشده إلى اليوم الثالث، ثم تنزعه وتعالج بما ينبغى من المراهم».

. . وفى الفصل الحادى والأربعين : يتحدث عن الشق على الأورام التى تعرض فى جلد الرأس Sebaceous Cysts and Lipomata فيقول : « يعرض فى جلد الرأس أورام صغار وهى من أنواع السلع[1] ويحويها صفاقات كأنها حويصلة الدجاجة وأنواعها كثيرة، فمنها شحمية، ومنها ما تحتوى رطوبة تشبه الحماة[2] ومنها ما هى متحجرة وصلبة.

. . « والعمل فى شقها أن تبرها أولاً بآلة المدس[3]. حتى تعلم ما تحوى. فإن كان الذى تحوى رطوبة، فشقها على الطول، فإذا انفجرت الرطوبة فاسلخ الكيس الذى كان يحوى تلك الرطوبة واقطعه جميعه ولا تترك منه شيئًا البتة، فكثيرًا ما يعود إذا بقى شىء منه » وهذه الطريقة ما زالت تستعمل حتى الآن لإزالة الكيس الزهمى[4] Sebaceous Cyst.

. . وإن كان الورم يحوى سلعة شحمية Lipoma فشق عليها شقًا مصلبًا، وارم الصنانير فى الجرح، وابذل جهدك فى إخراج الصفاق الذى يحويها، فأن اعترضك شريان فاصنع ما وصفنا لك.

. . والشق على الورم المتحجر أسهل لأنه قليل الدم والرطوبة ».

---

(١) السلعة : ورم غليظ غير ملتزق باللحم يتحرك عند تحركه وجمعها سلع.

(٢) الحماة : ورم قدر الحمصة يحدث فى الجسم غير ملتصق باللحم.

(٣) المدس : آلة مثل الإبرة الطويلة.

(٤) الزهمى : الدهنى.

.. وفى الفصل الثانى والأربعين يتكلم عن الشق على الخنازير التى تعرض فى العنق كثيرًا Tuberculous Lymphadenitis فيقول : « تعرض هذه الأورام فى العنق وتحت الإبطين وفى الأربيتين وتكون كثيرة وتتولد بعضها من بعض وكل خنزيرة منها تكون فى داخل صفاق خاص.

.. وأنواع هذه الخنازير كثيرة، منها متحجرة ومنها ما تحوى رطوبات Coldabscess ومنها خشنة. « فما رأيت منها خشنة الحال فى اللمس وكان ظاهرها قريبًا من لون الجلد تتحرك إلى كل جهة ولم تكن ملتزمة بعصب العنق ولا بودج[1] أو شريان ولا كانت غائرة، فينبغى أن تشقها شقًا بسيطًا من فوق إلى أسفل البدن وتسلخها من كل جهة وتمد شفتى الجرح بسنارة وتخرجها قليلاً قليلا، وتكون على حذر لئلا تقطع عرقًا أو عصبًا، وليكن المبضع ليس بحادٍ جدًا... فإن قطعت عرقًا أو شريانًا وعاقك عن العمل فتجعل فى الجرح زاجًا مسحوقًا وتشد الجرح واتركه حتى تسكن حدة الدم فارجع إلى عملك حتى تفرغ منه، « وما زال الحشو طريقة متبعة لإيقاف النزيف » ثم « تفتش بإصبعك إن كان بقى ثم خنازير أخرى صغارًا فتقطعها. فإن كان فى أصل الخنزيرة عرق عظيم فينبغى أن لا تقطع تلك الخنزيرة من أصلها بل ينبغى أن تربط بخيط مثنى - وتشقها وتتركها حتى تسقط من ذاتها. فإن قطعت الخنازير كلها فينبغى أن تجمع شفتى الجرح وتخيطه من ساعته بعد أن تعلم أنه لم يبق فضله ألبتة ».

.. « وما كان من الخنازير يحوى رطوبات، فتبطها أيضًا بطًا بسيطًا حيث يظهر لك موضع نضجها، واجعل البط مما يلى أسفل البدن، ثم يستعمل بعد البط الفتل بالمرهم المصرى ونحوه ليأكل ما بقى من الفساد ».

.. وخلاصة قوله أنه كان يستأصل الغدد الدرنية الليمفاوية من الرقبة : وإن كانت ملتصقة فى الوريد الودجى أو الشريان السباتى فإنه

---

(١) الودج والوداج : عرق فى العنق، وهو الذى يقطعه الذابح فلا تبق حياة.

يربطها ويشقها ويتركها حتى تسقط، أما إذا كانت تحولت إلى خراج بارد فيكتفى بأن يشق عليها ليستخرج الصديد.

.. وفى الفصل الثالث والأربعين : يقول فى علاج «الورم الذى يحدث فى الحنجرة ويسد حلق العليل حتى يشرف على الموت ويهم نفسه أن ينقطع أن الأطباء الأوائل كانوا يعمدون إلى شق الحنجرة ليتنفس العليل من موضع الجرح بعض التنفس ويسلم من الموت » .. وأمروا بترك الجرح مفتوحًا حتى تنقضى سورة المرض، وتكون سورته ثلاثة أيام ونحوها، وحينئذ أمروا بخياطة الجرح.

.. أما خبرته هو فيحكيها كما يلى : «والذى شاهدته بنفسى أن خادمًا أخذت سكينًا فأرسلته على حلقها فقطعت بعض قصبة الرئة، فدعيت إلى علاجها فوجدتها تخور كما يخور من أشرف على الموت. فكشفت عن الجرح، فوجدت الدم الذى خرج من الجرح يسيرًا فأيقنت أنها لم تقطع عرقًا ولا ودجًا، والريح تخرج من الجرح فخيطت الجرح وعالجته حتى برئ، ولم يعرض للخادم إلا بح فى الصوت وعادت بعد أيام إلى أفضل أحوالها، فمن هاهنا أقول إن جرح الحنجرة لا خطر فيه إن شاء الله تعالى.

.. والفصل السادس والأربعين : يحتوى على صور الآلات ووصفها، وهذا الباب يميز كتاب الزهراوى عن كتب من سبقوه، وهو يقسم الآلات كما يلى :

١ - المدسات : يقول أنها تصنع من الحديد الفولاذ محكمة الأطراف لتسرع الدخول فى الأورام. وهى ثلاثة أنواع، كبار وأوساط وصغار.

٢- الصنانير : منها البسيط ومنها ذات الخطافين وهى أيضًا على ثلاثة أحجام.

المشاريط : التى يشق بها على الأورام وتسلخ بها السلع والأورام

وتكون أطرافها التى يشق بها محدودة، والأطراف الأخرى غير محدودة.

٤ - **المسامير**: وهى على ثلاثة أحجام، وتصلح لتفتيش الأورام والجراحات والنواصير وتصنع من نحاس أو فضة أو حديد.

.. وقد تصنع من الرصاص الأسود ليسير بها النواصير التى يكون فى غورها تعريج لتنعطف مع ذلك التعريج.

٥ - **الجاريد**: تشبه ما نعرفه باسم ملعقة الكحت وتصنع من نحاس شبيه المرود الذى يكتحل به وفى الطرف ملعقة عريضة من طبقتين.

.. وفى الفصل التاسع والأربعين: يصف بدقة الأنوريسم Aneurysm فيقول: «إذا جرح الشريان والتحم الجلد الذى فوقه، فكثيرًا ما يعرض من ذلك ورم، وكذلك يعرض أيضًا للوريد. والعلامات التى يعرف بها إن كان الورم والنفخ من قبل الشريان أو من قبل وريد، فاعلم أن الورم إن كان من قبل الشريان يكون مستطيلاً مجتمعًا فى عمق البدن، وإذا دفعت الورم بإصبعك فحسست كأنه له خريرًا «Thrill» والذى يكون من الوريد يكون الورم مستديرًا فى ظاهر الجسد.

.. ويقول: «إن الشق على هذه الأورام خطر، وينصح بأن تشق عليه فى الجلد شقًا بالطول ثم تفتح الشق بالصنانير، ثم تسلخ الشريان وتخلصه من الصفاقات ثم تدخل تحته إبرة وتنفذها إلى الجانب الآخر، ويشد الشريان بخيط مثنى فى موضعين ثم يشق فى الموضع الذى بين الرباطين حتى يخرج الدم الذى فيه كله وينحل الورم.

والعلاج بهذه الطريقة بواسطة الربط فوق وتحت مكان الأنوريسم ظل ساريًا حتى وقت قريب

.. وفى الفصل الواحد والخمسين: يتكلم عن قطع الثآليل التى تعرض فى البدن، فيقول إنها تشبه الفطر، أصلها دقيق ورأسها غليظ.

« وإذا كان لون الأثلول أبيضًا رطبًا دقيق الأصل فاقطعه بمبضع عريض، وليكن بحضرتك المكاوى فى النار، فكثيرًا ما يندفع عند قطعها دم كثيرة فتبادر إن غلبك الدم فتكويها. فإن رأيت العليل جبانًا ويفزع من القطع بالحديد فخذ خيطًا من رصاص محكم وتشد به الأثلول الذى هذه صفته واتركه يومين، ثم زد فى شد الرصاص فلا تزال تفعل ذلك حتى ينقطع ويسقط من ذاته. . ، واحذر أن تعرض لقطع أثلول يكون كمد اللون قليل الحس سمج المنظر فإنه ورم سرطانى ».

.. وفى الفصل الثانى والخمسين : يتكلم عن نتوء السرة، فيقول : « إنه يكون من أسباب كثيرة، إما من انشقاق الصفاق الذى على البطن فيخرج منه الثرب والمعى على ما يعرض فى سائر الفتوق، وإما من ورم ينبعث من وريد أو شريان.

.. وإن كان من قبل انشقاق الصفاق وخرج الثرب Omentocele فإنه يكون لون الورم شبيهًا بلون الحس ويكون لينًا من غير وجع : Doughy وإن كان من قبل خروج المعى فيكون وضعه على ما وصفنا مع اختلاف، إنك إذا كبسته بإصبعك يغيب ثم يرجع، وربما كان معه قرقرة Gurgle.

ويصف علاج الفتق السرى كما يلى :

« ينبغى أن تأمر العليل أن يمسك نفسه ويقف واقفًا ممتدًا، ثم تعلِّم بالمداد حول السرة كلها، ثم تأمره أن يستلق على ظهره بين يديك، ثم تحز بمبضع عريض حول السرة على الموضع الذى علمت بالمداد، ثم تمد وسط الورم إلى فوق بصنارة كبيرة، ثم تضبط موضع الحز بخيط قوى أو بوتر حرير ربطًا وثيقًا ويكون عقد الرباط أنشوطة، ثم تفتح وسط الورم الممدود فوق الرباط وتدخل فيه إصبعك السبابة وتطلب المعى، فإن وجدتها قد أخذها الرباط فأرخ الأنشوطة وادفع المعى إلى داخل البطن، وإن وجدته ثربًا فمده بصنارة واقطع فضله. . وخذ إبرتين فأدخل خيطين

قويين وتدخل الإبرتين فى الجزء الذى صنعت حول الورم مصلبين قد أنفذتهما ثم تشد الورم فى أربع مواضع على الإبر».

.. وفى الفصل الثالث والخمسين : يتحدث عن علاج السرطان، فيقول : «متى كان السرطان فى موضع يمكن استئصاله كله كالسرطان الذى يكون فى الثدى أو الفخذ ونحوها من الأعضاء الممكنة إخراجه منها بجملته، لا سيما إن كان مبتدئًا صغيرًا، فافعل. وأما متى ورم وكان عظيمًا فلا ينبغى أن تقربه، فإنى ما استطعت أن أبرئ أحدًا منه، ولا رأيت قبلى من وصل إلى ذلك الحد والعمل فيه إذا كان متمكنًا.. «ويصف طريقة استئصاله : «ثم تلقى فى السرطان الصنانير التى تصلح له ثم تقوره من كل جهه مع الجلد على استقصاء حتى لا تبق شيئًا من أصوله.. فإن اعترضك فى العمل نزف دم عظيم من قطع شريان أو وريد فاكوِ العروق حتى ينقطع الدم».

.. وفى الفصل الرابع والخمسين : يتكلم عن علاج «الحبن» والحبن : مرض فى البطن يعظم منه ويعد «الاستسقاء» Ascites فينصح أولاً باستعمال الأدوية، فإذا لم تنجع.. انظر فإن كان العليل قد بلغ به الضعف وإن كان به مرض آخر غير الحبن مثل أن يكون به سعال أو إسهال أو نحو ذلك فإياك أن تعالجه بالحديد.. فإن رأيت العليل وافر القوة ليس به مرض غير الحبن وحده ولم يكن صبيًا ولا شيخًا، فوجه العمل تقيم العليل واقفًا بين يديك، وخادم خلفه يعصر بطنه بيديه ويدفع الماء إلى أسفل إلى ناحية العانة ثم تأخذ مبضعًا شوكيًا، ثم تنظر، فإن كان تولد «الحبن» من جهة الأمعاء، فينبغى أن تبعد بالشق من السرة قدر ثلاثة أصابع إلى أسفل بحذاها إلى فوق العانة فإن كان تولد الحبن من قبل مرض الكبد فليكن شقك يُسرةً من السرة قدر ثلاثة أصابع، وإن كان تولده من قبل مرض الطحال فليكن الشق من الجانب الأيمن بقدر ثلاثة أصابع.. ثم تثقب بالآلة الجلد كله، ثم تدخل الآلة فى ذلك

الشق وترفع يدك بالمبضع بين الجلد والصفاق كأنك تسلخه، ويكون القدر الذى يسلخ قدر الظفر أو نحوه، ثم يثقب الصفاق حتى يصل المبضع إلى موضع فارغ وهو موضع الماء وتخرج المبضع وتدخل فى الثقب أنبوبة تصنع من فضة مصقولة لها فى أسفلها ثقب صغير وفى جوانبها ثلاثة ثقوب، الاثنان من جهة والواحد من جهة : وقد يصنع طرفها مبريًا على هيئة برى القلم : فإن الآلة إذا وصلت إلى الماء فإنه ينزل من ساعته على الآلة فتستفرغ من الماء فى الوقت قدرًا متوسطًا، لأنك إن استفرغت منه أكثر مما ينبغى فى الوقت فربما مات العليل بانحلال روحه الحيوانى، أو يعرض له غشى يقرب من الموت، لكن استفرغ على قدر قوته وما تدلك عليه أحوال العليل وقوة نبضه ومن حسن لونه ثم تخرج الآلة ويحبس الماء لسبب الجلد الذى يمسك الثقب الذى على الصفاق.. ثم تعيد الآلة يومًا آخر إن رأيت العليل محتملاً لذلك، وتخرج من الماء أيضًا القدر اليسير..»

.. ويجدر أن ننوه بنصيحته بعدم سحب جزء كبير من الماء، وبطريقته فى منع تسرب الماء إلى الخارج بعد سحب الآلة وذلك بجعل ثقب الصفاق بعيدًا عن الشق الذى فى الجلد.

.. وفى الفصل السابع والخمسين : يتحدث عن ختان الصبيان Circum cision.

ويصف الطرق المستعملة ثم يبتدع طريقة خاصة له يسميها «التطهير بالمقص والرباط بالخيط» ويعدد مزاياها. ويصفها كما يلى :

.. «ثم يقوم بين يديك منتصب القامة ولا يكون جالسًا، واخف المقص فى كمك أو تحت قدميك حتى لا يقع عين الصبى عليها البتة ولا على شىء من الآلات ثم تدخل يدك إلى إحليله وتنفخ فى الجلدة وترفعها إلى فوق حتى تخرج رأس الإحليل، ثم تنقيه مما يجتمع فيه من

الوسخ، ثم اربط الموضع المعلم بخيط مثنى، ثم اربط أسفل منه قليلاً رباطًا ثانيًا، ثم تمسك إبهامك والسبابة موضع الرباط أسفل إمساكًا جيدًا وتقطع بين الرباطين، ثم ارفع الجلدة إلى فوق بسرعة واخرج رأس الإحليل، ثم تنظفه بخرقة رطبة، ثم ذر عليه من رماد القرع اليابس المحرق.. ».

.. وفى الفصل الثامن والخمسين : يتكلم عن علاج البول المحتبس فى المثانة فيقول : « البول المحتبس فى المثانة يكون عن سدة من حصاة أو دم جامد أو قيح أو لحم نابت أو نحو ذلك، وإذا فشل العلاج ولم ينطلق البول ورأيت أن احتباسه من قبيل حصاة قد صارت فى عنق المثانة.. واشتد الأمر على العليل فينبغى أن يستعجل إخراجه بالآلة التى تسمى قساطير وهى تصنع من فضة وتكون رقيقة ملساء مجوفة، كأنبوبة ريش الطير فى دقة الميل، طويلة فى نحو شبر، ونصفها فم لطيف فى آخرها وهو رأسها.

.. ووجه جذب البول بها أن تأخذ خيطًا متينًا وتربط فى طرفه صوفة أو قطنة ربطًا جيدًا، وتدخل طرف الخيط فى أسفل القساطير وتقرض بالمقراض إن فضل شىء من الصوفة لكى تدخل فى الأنبوبة كالزر، ثم تدهن القساطير بزيت أو بِزُبْد أو بياض البيض، ويجلس العليل على كرسى وتنطل مثانته وإحليله بالأدهان الرطبة أو الزيت أو الماء الفاتر، ثم تدخل القساطير فى الإحليل برفق حتى تصل إلى أصل الإحليل، ثم تحنى الإحليل إلى فوق ناحية السرة، ثم تدفع القساطير إلى داخل حتى إذا وصلت قريبًا من المقعدة فميل الذكر إلى أسفل والقساطير فى داخله، ثم تدفعها حتى تصل إلى المثانة ويحس بها العليل وقد وصلت إلى شىء فارغ، وإنما تصنع على هذه الرتبة لأن المجرى الطبيعى الذى يسلك فيه تعويج، ثم تجتذب الخيط بالصوفة قليلاً، فإن البول يتبع الصوفة ثم تخرجها ويخرج البول ».

.. وهذا الوصف لطريقة إدخال القساطير المعدنية وصف ممتاز

ولا تزال هذه الطريقة متبعة حتى الآن فى إدخال القساطير والممددات ومنظار المثانة.

.. وفى الفصل التاسع والخمسين: يصف «كيف تحقن المثانة بالزراقة وصورة الآلات التى تصلح لذلك فيقول: «إذا عرض فى المثانة قرحة، أو جمد فيها دم، أو احتقن فيها فتح، وأردت أن تقطر فيها المياه والأدوية، يكون ذلك بآلة تسمى الزراقة». وهذه الآلة تشبه حقنة المثانة التى نستعملها الآن.

.. وفى الفصل الستين: يتكلم عن «إخراج الحصاة» فيفرق بين حصاة الكلية والمثانة ويقول إن الشق يكون فقط على حصاة المثانة أو قناة مجرى البول.

.. ويصف طريقة الشق على حصاة المثانة كما يلى:

«فينبغى أن تمسح بالدهن الأصبع السبابة من اليد اليسرى إن كان العليل صبيًا أو الأصبع الوسطى إن كان العليل غلامًا تامًا، فتدخلها فى مقعده وتفتش على الحصاة حتى إذا وقعت تحت اصبعك نقلتها قليلاً قليلا إلى عنق المثانة ثم تكبش عليها باصبعك وتدفعها إلى خارج نحو المكان الذى تريد شقه، وتأمر خادمًا حاذقًا أن يعصر المثانة بيده وتأمر خادمًا آخر أن يمد بيده اليمنى الأُنْثَيَيْن إلى فوق وبيده اليسرى الجلدة التى تحت الأنثيين ناحية عن الموضع الذى فيه يكون الشق ثم تأخذ أنت المبضع النشيل، وتشق بين المقعدة والأنثيين لا فى الوسط بل إلى الجانب الأيسر، أو يكون الشق على نفس الحصاة وأصبعك فى المقعدة يدفعها إلى الخارج، ويصيرَ الشق مواربًا، لئلا يكون الشق من خارج واسعًا ومن داخل ضيقًا على قدر ما يمكن خروج الحصاة الأكبر، فاضغط الأصبع الذى فى المقعدة عند الشق فتخرج الحصاة من غير عسرة واعلم أن قد يكون من الحصاة مالها زوايا وحروف فيعسر خروجها لذلك، ومنها ملساء تشبه البلوط

ومدورة فيسهل خروجها. لما كان لها زوايا وحروف فتزيد فى الشق قليلاً فإن لم تخرج هكذا فينبغى أن تتحايل عليها، فإما أن تقبض عليها بجفت محكم يكون طرفه كالمبرد ليضبط على الحصاة، فلا تفلت منه، وإما أن تدخل من تحتها آلة لطيفة معقدة الطرف، فإن لم تستطع القبض عليها فوسّع الثقب قليلاً، فإن غلبك شىء من الدم فاقطعه بالزاج، فإن كانت أكثر من واحدة فادفع أولاً الكبيرة إلى فم المثانة، ثم تشق عليها ثم ادفع الصغيرة بعد ذلك، وكذلك تفعل إن كانت أكثر من اثنتين. فإن كانت عظيمة جدًا، فإنه جهل عظيم جدًا أن تشق عليها شقًا عظيمًا لأنه يعرض للعليل أحد أمرين إما أن يموت وإما أن يحدث له تقطير البول دائمًا incontinence من أجل أنه لا يلتحم الموضع البتة لكن حاول جذبها حتى تخرج، أو تتحايل فى كسرها بالكلاليب حتى تخرجها قطعًا Litholapaxy وإذا فرغت من عملك فاحش الجرح بالكندر والصبر والنشا وشده، وصير فوقه خرقًا مبلولة بزيت وشراب، ليسكن الورم الحار. ثم يستلق على قفاه ولا يحل الرباط إلى اليوم الثالث. فإذا انحل نطلت الموضع بماء وزيت كثير ثم تعالجه بالمرهم النحلى «والمرهم الباسليقون» حتى يبرأ.

.. من هذا الوصف يتضح لنا أنه كان يستخرج حصاة المثانة عن طريق الشق على العجان أو ما نسميه Perineal uretherotomy ونجده يحذر من أن يكون القطع كبيرًا وإلا أدى إلى سلس البول incontinence ونصح فى حالة ما إذا كانت الحصوة كبيرة بتكسيرها بالكلاليب وإخراجها قطعًا وهذا أول وصف فى الجراحة لعملية تفتيت الحصوة التى نعرفها باسم: Litholapaxy.

.. وفى علاج حصاة قناة مجرى البول يقول: «إن كانت الحصاة صغيرة وصارت فى مجرى القضيب ونشبت فيه وامتنع على البول الخروج، فخذ مشعبًا من حديد الفولاذ مثلث الطرف حادًا مغرزًا فى عود. ثم تأخذ خيطًا وتربط القضيب تحت الحصاة لئلا ترجع إلى المثانة، ثم تدخل

حديدة المشعب فى الإحليل برفق حتى يصل المشعب إلى نفس الحصاة وتدير المشعب بيدك فى نفس الحصاة قليلاً قليلاً وأنت تروم ثقبها حتى تنفذها من الجهة الأخرى فإن البول ينطلق من ساعته، ثم تزم يدك على ما بقى من الحصاة من خارج القضيب فتتفتت وتخرج مع البول ويبرأ العليل». وهذا وصف آخر لتفتيت حصاة مجرى البول لم يسبقه إليه أحد كذلك.

.. «فإن لم يتهيأ لك هذا العلاج فاربط خيطًا تحت الحصاة وخيطًا آخر فوقها ثم يشق على الحصاة فى نفس القضيب بين الرباطين ثم تخرجها ثم تحل الرباط ويجب ربط الخيط تحت الحصاة لئلا ترجع إلى المثانة والرباط الآخر من فوق لكيما إذا انحل الخيط بعد خروج الحصاة فيرجع الجلد إلى مكانه».

.. وفى الفصل الثانى والستين : يتكلم عن الشق على الأدرة المائية فيقول : «الأدرة المائية Hydrocele هى اجتماع الرطوبة فى الصفاق الأبيض الذى يكون تحت جلدة الخصى المحيطة بالبيضتين ويسمى الصفاق. وقد تكون فى غشاء خاص تمد به الطبيعة فى جهة من البيضة حتى يظن أنها بيضة أخرى وتكون بين جلدة الخصى وبين الصفاق الأبيض الذى قلنا». وهذه ما نسميها : Spermatocele.

.. «وتولد هذه الأدرة من ضعف يعرض للأنثيين، وقد يعرض عن ضربة على الأنثيين. وهذه الرطوبة تكون ذات ألوان كثيرة، إما أن يكون لونها إلى الصفرة، وإما أن تكون دمية حمراء، وإما أن تكون سوداء، وإما أن تكون مائية بيضاء وهى أكثر ما تكون.

.. والعلامات التى تعرف بها حيث اجتماع الماء، فإن كان الصفاق الأبيض الذى قلنا فالورم يكون مستديرًا إلى الطول قليلاً كشكل البيضة ولا تظهر الخصية لأن الرطوبة تحيط بها من جميع النواحى Hydrocele، وإن

كانت الرطوبة فى غشاء خاص بها فإن الورم يكون مستديرًا لجهة من البيضة، ولهذا يتوهم الإنسان أنها بيضة أخرى : Spermatocele.

.. وأما إذا أردت معرفة لون الرطوبة «فاسْفِذْ الورم بالمِدسّ المربع، فما خرج فى أثر المدس حكمت عليه».

.. هذا التفريق الإكلينيكى بين القيلة المائية والكيس المنوى يعتبر رائعًا ولا يمكن أن نزيد عليه فى وقتنا هذا ثم إن استعمال المدس يشابه ما نعرفه «بالبزل».

.. ثم يتكلم عن العلاج فيقول : «يستلق العليل على ظهره على شىء عال قليلاً وتضع تحته خرقًا كثيرًا، ثم تجلس أنت على يساره وتأمر خادمًا يقعد على يمينه، يمد ذكره إلى أحد جانبى الخصى وإلى ناحية مراق البطن، ثم تأخذ مبضعًا عريضة وتشق جلدة الخصى من الوسط بالطول إلى قريب من العانة، ويصير الشق على الاستقامة موازيًا للخط الذى يقسم جلدة الخصى حتى يصل إلى الصفاق الأبيض الحاوى، فتسلخه وتَحَفَّظْ من أن تشقه، ويكون سلخك من الجهة التى تلصق بالبيضة أكثر، وتستقصى السلخ على قدر ما يمكنك، ثم تبط الصفاق المملوء بطًا واسعًا وتخرج جميع الماء، ثم تفرق بين شفتى الشق بصنارات، وتمد الصفاق إلى فوق ولا تمس جلدة الخصى الحاوية وتقطع الصفاق كيف ما أمكنك قطعًا إما بجهاته وإما قطعًا قطعًا ولا سيا جانبه الرقيق. فإنك إن لم تستقص قطعه لم تأمن الماء أن يعود. فإن برزت البيضة إلى خارج عن جلدها فى حين عملك، وإذا فرغت من قطع الصفاق فردها إلى موضعها ثم أجمع شفتى جلدة الخصى بالخياطة.

.. فإن أصبت البيضة قد فسدت من مرض آخر فينبغى أن تربط الأوعية التى هى المعلاق خوف النزيف، ثم تقطع الخصية مع المعلاق وتخرج البيضة. وإن كان الماء المجتمع فى الجهتين جميعًا، فاعلم أنهما أدرتان

فشق الجهة الأخرى على ما قد فعلت فى الأولى سواء، وإن استوى لك أن يكون العمل واحدًا فافعل».

.. يصف لنا الزهراوى وصفًا دقيقًا عملية استئصال أنصفاق المحيط بالخصية وهى العملية التى تعرف باسم Subtotal excision of tunica vaginalis.

ويقول أن هذا أساسى حتى لا يرجع الماء. ثم ينصح باستئصال الخصية إذا كانت مريضة بعد ربط الحبل المنوى.

.. وفى الفصل الرابع والستين: يتكلم عن «علاج الأوردة التى مع الإلية وتسمى الدالية» وهذه ما نعرفها باسم دوالى الكيس Varicocele ويقول فى وصفها الإكلينيكى: «هو ورم ملتو بعض الالتواء يشبه بعنقود، مع استرخاء الأنثيين. ويعسر على العليل الحركة والرياضة والمشى». ثم يستطرد إلى طريقة العلاج فيقول: «ينبغى أن تجلس العليل على كرسى مرتفع ثم تدفع معلاق الأنثيين إلى أسفل، ثم ترفع جلدة الخصى بأصابعك مع الأوعية التى هى قريب من القضيب ويمسكها خادم غيرك، وتمدها مدًا شديدًا، ثم تشق ببضع عريض حاد شقًا موازيًا بحذاء الأوعية حتى تنكشف الأوعية، ثم تسلخ من كل جهة كما ذكرت لك فى سَلّ الشريانات التى فى الأصداغ، ثم تغرز فيها إبرة خيط مثنى، وتربطها فى أول الموضع وتربطها أيضًا فى آخرها ثم تشقها فى الوسط شقًا قائمًا على طول البدن، وتخرج ما اجتمع فيها من الرطوبات العكرة الفاسدة».

.. وفى هذه العملية المبتكرة التى يصفها الزهراوى نجده يشرح الأوردة المتضخمة واحدًا واحدًا، ثم يربطها من أولها ومن آخرها ثم يقطعها طولية بين الرباطين، وهذا قريب مما نفعله نحن حتى الآن.

.. وفى الفصل الخامس والستين: يتكلم عن علاج الأدرة المعوية ويعنى هنا الفتق الأربى الذى ينزل إلى الصفن فيقول: «تحدث من شق

يعرض فى الصفاق الممتد على البطن فى نحو الأنثيين من مراق البطن، فتنصب المعى من ذلك الفتق إلى أحد الأنثيين. وهذا الفتق يكون إما من الصفاق وإما من امتداده ويحدث هذان النوعان من أسباب كثيرة، إما من ضربة وإما من وثبة أو صيحة أو لرفع شىء ثقيل ونحو ذلك.

.. وعلامته إذا كان من امتداد الصفاق أن يحدث قليلاً قليلاً فى زمن طويل ويكون الورم مستويًا إلى نحو العمق من قبل أن الصفاق يعصر المعى.

.. وعلامته إذا كان من شق الصفاق أنه يحدث من أوله وجع عظيم وقعه، ويكون الورم مختلفًا ظاهرًا تحت الجلد بالقرب، وذلك بخروج المعى إلى خارج الصفاق.

.. وقد يخرج مع المعى الثرب فتسمى هذه الأدرة: «معوية ثربية» وقد تجر فى المعى الزبل ويحتبس هناك، فيكون معه هلاك العليل، لأنه يحدث وجعًا صعبًا وقرقرة ولا سيما إذا عصره».

.. وفى طريقة العلاج يقول: «تأمر العليل أن يرد بيده المعى إلى داخل جوفه، ثم يستلق على قفاه بين يديك ويرفع ساقيه، ثم تمد الجلد الذى يلى «الأربية» إلى فوق وشق جلد الخصى كلها بالطول، ثم تغرز فى شفتى الشق الصنانير على قدر ما يحتاج الفتق وتمسك الشق بها، ويكون الشق على قدر ما يمكن أن تخرج منه البيضة، ثم تسلخ الصفاقات التى تحت جلدة الخصى، حتى إذا انكشف الصفاق الأبيض الصلب من كل جهة. فحينئذ أدخل أصبعك السبابة فيما يلى البيضة فيما بين الصفاق الأبيض الذى تحت جلدة البيضة. ويشق الصفاق الأبيض الثانى وتطلق به الالتصاق الذى من خلف البيضة، ثم تثنى باليد اليمنى إلى داخل جلدة الخصى ومع هذا تمد الصفاق الأبيض إلى فوق باليد اليسرى وترفع البيضة مع الصفاق إلى ناحية الشق، وتأمر الخادم بمد البيضة إلى فوق، وتطلق

أنت الالتصاق الذى من خلف إطلاقًا ثانيًا، وتفتش بأصابعك ألا يكون هناك شيء من المعى الملتوى فى الصفاق الأبيض الصلب، وإن أصبت منه شيئًا فادفعه إلى البطن أسفل. ثم تأخذ إبرة فيها خيط غليظ قد فتل من عشرة أخياط وتدخلها عند آخر الصفاق التى تحت جلدة الخصى الذى يلى الشق، ثم تقطع أطرافها حتى يكون أربعة خياط ثم تركب بعضها على بعض على شكل مثلث، وتربط بها الصفاق الذى قلنا إنه تحت جلدة الخصى رباطًا شديدًا من ناحيتين، ثم تلف أيضًا أطراف الخيوط وتربطها أيضًا رباطًا شديدًا حتى لا يقدر شيء من الأوعية أن يعلوها لئلا يعرض من ذلك ورم حار، ويصير أيضًا رباطًا ثان خارجًا من الرباط الأول بعيدًا منه أقل من أصبعين، وبعد هذين الرباطين تدع من الصفاق الذى تحت جلدة الخصى قدر عظم الأصبع وتقطع الباقى كله على استدارة. وتنزع معه البيضة. ثم تشق أسفل جلدة الخصى شقًا يسيل منه الدم والمدة. ثم تستعمل الصوف المغموس فى الزيت ويوضع على الجرح ثم يستعمل الرباط.

.. فى هذه العملية يصف الزهراوى طريقة استئصال كيس الفتق وطريقة تشريحه من البيضة والكيس المحيط بها وبعد إدخال الأمعاء إلى البطن يصف طريقة ربط عنق الكيس ربطًا مزدوجًا، بعدها يقص الكيس وأخيرًا يشق جلد الصفن من أسفله لخروج الدم والمدة عندما يحدث الالتهاب Drainage.

.. وفى الفصل السابع والستين: يتكلم عن «علاج الفتق الذى يكون فى الأربية ويقصد هنا ما نسميه بالفتق الأربى المباشر Direct inguinal Hernia فيقول: «قد يعرض الفتق فى الأربية، فيفتق الموضع ولا ينحدر إلى الأنثيين من المعى. وإن انحدر كان ذلك يسيرًا ويرجع فى كل الأوقات، ولكن إن طال الزمان زاد الفتق فى الصفاق حتى ينحدر المعى أو الثرب فى الصفاق ويعرض ذلك من امتداد الصفاق الذى يكون فى الأربية كما قلنا، وذلك أنه يمتد الصفاق ثم يسترخى.

.. وفى طريقة العلاج يقول : «يضطجع العليل على ظهره بين يديك ثم تشق شقًا بالعرض على قدر ثلاثة أصابع ثم تضبط الصفاقات التى تحت الجلد حتى إذا تكشف الصفاق الأبيض الذى تحت الجلد الذى يليه، فتأخذ مرودًا فتضعه على الموضع الناتىء من الصفاق وتكبسه إلى عمق البطن، ثم تخيط الموضعين النابتين على طرف المرود من الصفاق، وتلزق بالخياطة أحدهما بالآخر، ثم تسل طرف المرود ولا تقطع الصفاق البتة، ولا تمس البيضة ولا غير ذلك كما أعلمتك فى علاج الأدرية المعوية».

.. فى هذا النوع من الفتق لا يستأصل الزهراوى كيس الفتق، بل يكتفى بدفعه إلى الداخل بواسطة المرود، ثم يخيط المنطقة الضعيفة التى برز منها كيس الفتق من خلال جدار البطن. وهذه أول محاولة فى تاريخ الجراحة لعمل الرتق الجراحى للفتق الأربى : Hernial Repair.

.. وفى الفصل التاسع والستين : يتكلم «فى الإخصاء» فيقول إنه محرم فى شريعتنا وقد ذكرته لوجهين، أحدهما ليكون فى علم الطبيب إذا سئل عنه، والوجه الآخر أنا نحتاج إلى إخصاء بعض الحيوانات لمنافعنا كالحملان والتيوس.

والإخصاء على نوعين إما بالرض وإما بالشق والقطع.

.. فالذى يكون بالرض، فطريق عمله أن يجلس الحيوان فى الماء الحار حتى تسترخى أنثياه وتلين وتتدلى، ثم ترضها بيديك حتى تنحل ولا توجد عند اللمس.

.. وأما الإخصاء بالشق والقطع، فينبغى أن تمسك الحيوان وتقبض جلدة خصيته باليد اليسرى ثم تربط المعاليق وتشق على كل بيضة شقًا واحدًا حتى إذا برزت البيضتان فاقطعها بعد أن تسلخها ولا تترك عليها من الصفاقات شيئًا غير الصفاق الرقيق الذى يكون على الأوعية وهذا

الضرب من الإخصاء خير من الذى يكون بالرض لأن الرض ربما بقى من الأنثيين شىء فاشتهى الحيوان الجماع ».

.. وفى الفصل التاسع والسبعين : يتكلم فى « علاج المقعدة غير المثقوبة » أو ما نعرفه باسم : Imperforate anus فيقول : « قد يولد كثير من الصبيان ومقاعدهم غير مثقوبة، قد سدها صفاق رقيق ينبغى للقابلة أن تثقب ذلك الصفاق بإصبعها وإلا فَتَبُطه بمبضع حاد وتحذر العضلة لا تمسها، ثم يوضع عليها صوفة مغموسة فى الشراب والزيت، وإن خشيت أن ينسد فاجعل فى الثقب أنبوبة رصاص أيامًا كثيرة وتنزع متى أراد الطفل البراز ».

.. وفى الفصل الثمانين : يتكلم « فى علاج النواصير التى تحدث فى الأسفل » فيقول : « النواصير التى تحدث فى الأسفل هو تعقد وغلظ يحدث بقرب المقعدة من خارج أو فى الفضاء من أحد الجهات، ويكون الناصور واحدًا وأكثر. فإذا أزمن ذلك التعقد انفتح وجرت منه رطوبة مائية بيضاء أو قيح رقيق. وقد يكون من هذه النواصير منفوذة أو غير منفوذة.

.. فالمنفوذة قد تعرف بما يخرج منها من البراز والريح عند استعمال العليل للبراز وربما خرج منها الدود، وقد يكون منها نواصير إذا كانت فى الفضاء منفوذة إلى المثانة أو إلى مجرى القضيب، وقد يكون منها منفوذة إلى مفصل الفخذ وعجز الذنب.

.. ومما يعلم به الناصور المنفوذ إلى المقعدة من غير المنفوذ أن تدخل إصبعك السبابة فى المقعدة، وتدخل فى الناصور مسبارًا رقيقًا من نحاس أو حديد إذا لم يكن فى الناصور تعريج فإن كان فيه تعريج فأدخل فيه مسبارًا من رصاص دقيق أو شعره من شعر الخيل حتى تحس بالمسبار أو الشعرة فى إصبعك، فإن لم تحس به ألبتة ولم يبرز من الثقب شىء من البراز ولا ريح ولا دور كما قلنا فاعلم أنه غير منفوذ.

.. إن كان الناصور منفوذًا إلى المثانة أو إلى البول فدليله خروج البول منه وامتناعه من أن يلتحم بالأدوية.

.. وأما إن كان منفوذًا إلى مفصل الفخذ أو إلى عظم الفخذ فعلامته وصول المسبار إلى هناك.

.. وهذه المنفوذة كلها ليس منها برء البتة وعلاجها عناء وباطل لمن يجسر عليها من جهال الأطباء».

.. نرى الزهراوى من هذا الوصف يفرق بين الناصور غير النافذ والناصور النافذ إلى المستقيم أو القناة الشرجية إلى المثانة ومفصل الفخذ وبعد هذا ينصح بإجراء العملية على الناصور غير النافذ فقط ويصف العملية كما يلى:

«يضطجع العليل بين يديك على ظهره ويرفع ساقيه إلى فوق، وفخذاه مائلة إلى بطنه ثم تدخل مسبارًا من الرصاص أو النحاس إن لم يكن فى الناصور تعريج حتى يعلم حيث ينتهى المسبار، فإن أحس العليل به نحو المقعدة، فينبغى أن تدخل إصبعك السبابة فى المقعدة، فإن احسست فى إصبعك المسبار وقد نفذ بنفسه ملتويًا من غير أن تحس بين إصبعك وبينه بصفاق أو بلحم فاعلم يقينًا أنه منفوذ، فلا تتعب فيه، فليس فيه برء كما قلنا. ومن العلاج الذى يرجى له النفع أن تحمى مكواة رقيقة على حسب سعة الناصور وتدخلها حامية فى الناصور حتى تبلغ نحو المقعدة، ثم تعيده مرتين أو ثلاثة حتى تعلم أنه قد احترق جميع تلك اللحوم الزائدة.

.. وأما إن أدخلت المسبار فلم ينفذ إلى إصبعك التى فى المقعدة، وكان بينه وبين المسبار حجاب كثيف من لحم أو من صفاق، ورأيت الناصور فيما يلى سطح الجلد، فتشق حينئذ الجلد من أول الناصور، ثم بالشق مع المسبار وهو فى الناصور حتى يبلغ بالشق حيث انتهى طرف المسبار ويتخلص المسبار ويسقط».

.. ويصف الزهراوى صورة المبضع الشوكى الذى يستعمله فى الشق على الناصور حيث يكون التعقيف منه حادًا جدًا، والجهة الأخرى غير حادة.

.. ثم يستطرد ويقول: «يخاف من الشق على الناصور المنفوذ لئلا يقطع العضل المحيط بالمقعدة فيحدث على العليل خروج البراز من غير إرادة.

.. وإذا أدخلت المسبار فى الناصور وكان فى جانب المقعدة نحو سطح البدن مع الجلد وطرف المقعدة، فخذ حينئذ مسبارًا مثقوبًا كإبرة الإسكاف.

.. فأدخل فيها خيطًا مفتولاً من خمسة خيوط أو أكثر، ثم أدخل المسبار بالخيط فى الناصور حتى يبلغ قعره، فإن كان منفوذًا فى حاشية المقعدة من داخل فأخرج الخيط من ذلك الثقب بأن تدخل إصبعك فى المقعدة وأخرج من طرف الخيط واجمع الطرفين جميعًا وشدهما. واتركه يومًا أو يومين، فكلما قطع الخيط فى اللحم زدته شدًا حتى تنقطع تلك اللحوم التى بين طرفى الخيوط وتسقط ثم تعالج الجرح حتى يندمل».

.. من هذا الوصف التفصيلى لعملية الناصور الشرجى، نجد أن الزهراوى يصف عملية الشق أو القطع على الناصور غير المنفوذ كما نمارسها نحن فى هذه الأيام إلا أنه يخاف من القطع على الناصور النافذ إلى المستقيم أو الشرج حتى لا يقطع العضلة المحيطة بالمقعدة ويحدث للمريض خروج البراز من غير إرادة، ولعلاج هذا النوع من النواصير فهو ينصح إما باستخدام الكى بالنار أو بإدخال خيط سميك من خلال الناصور وإخراجه من المقعدة ثم ربط طرفى الخيط بشدة تزداد تدريجيًا كل يوم حتى يتم القطع بواسطته على الناصور.

.. وفى الفصل الواحد والثمانين: يتكلم عن «حزم البواسير التى يسيل منها الدم وقطعها وعلاج الشقاق».

.. يقصد الزهراوى بالبواسير فى هذا الفصل، نفس مدلولها كما نفهمه فى هذه الأيام أو Piles ويقصد بالشقاق الشرخ الشرجى أو Anal Fissure.

.. ويقول: «تكون البواسير على ضربين، إما أن تكون فى داخل المقعدة تشبه نفاخات حمراء وكأنها حب العنب، ويكون منها صغار وكبار، والدم يسيل منها دائمًا، وتكون واحدة وتكون كثيرة، وتكون خارج المقعدة وفى أطرافها إلا أن هذه التى تكون من خارج المقعدة تكون فى أكثر الأمر قليلة الرطوبة، يسيل منها ماء أصفر وقليل دم سيلانًا مزمنًا ويكون على لون البدن.

.. وعلاج التى تكون من داخل المقعدة أن تأمر العليل أن يتبرز و «يتزحر» (والزحار: مرض يتميز بتبرّز متقطع معظمه دم ومخاط ويصحبه ألم وَتَعَنٍّ) حتى تخرج المقعدة وتظهر إليك الثآليل بسرعة، فتعلقها بالصنانير وتمسكها بظفرك، ثم تقطعها عند أصولها. فإن لم تحتبس فيها الصنانير لرطوبتها واسترخائها فخذها بخرقة خشنة، واجذبها بأصابعك ثم اقطعها وذر عليها بعض الذرورات الحادة لكى تقوم لها مقام الكى، أو فاكوها على ما تقدم فى باب الكى.

.. فإن لم تجبك المقعدة للخروج فاحقن العليل بحقنة فيها لذع قليل لتغسل بها ما فى المقعدة وتنقاد للخروج بسرعة عندما يتزحر العليل.

.. فلما الثآليل الخارجة عن المقعدة فأمرها هين، وهو أن تأخذها بظفرك أو تعلقها بصنارة وتقطعها ثم تعالجها.

.. ومن كره القطع بالحديد ينبغى أن يستعمل حزمها على هذه الصفة، وذلك أن تأخذ خيطًا مفتولاً وتدخله فى إبرة، ثم تجذب الأثلول إلى فوق وتنفذه بالإبرة فى أصله من الجهة الأخرى، وتلف طرفى الخيط أسفل الإبرة وهى معترضة وتشد الأثلول بالخيط شدًا وثيقًا، ثم تعقد

الخيط وتخرج الإبرة تفعل ذلك بجميع الثآليل وتترك منها واحدة لا تحزمها ليسيل منها فضلة الدم، ثم تضع على المقعدة خرقة مغموسة فى دهن ورد.. وتأمر العليل بالسكون ثم تتركها حتى تسقط فإذا سقطت الثآليل فعالجها بالمراهم».

.. من هذا الوصف نجد أن الزهراوى يعالج البواسير بإحدى طريقتين إما بقطعها ثم كيها، وإما بربطها بالخيط عند أصلها وتركها حتى تسقط.

.. ثم يتحدث عن الشقاق أو الشرخ الشرجى فيقول: «كثيرًا ما يعرض من جفوف الزبل [أى: البراز الجاف] فإذا أزمن ولم ينفع فيه دواء فينبغى أن تجرده بشفرة المبضع أو بظفرك حتى يصير رطبًا ويزول عنه القشر الأعلى الذى يمنعه من الالتحام ثم تعالجه حتى يندمل. فإن لم يندمل فعالجه بجرد أشد من الأول حتى يصير رطبًا ويزول عنه القشر.

.. من هذا الوصف نجد أنه يعرف أن السبب الأساسى فى حدوثه هو البراز الجاف، إلا أنه يعالجه بواسطة كحت الشرخ.

.. وفى الفصل الرابع والثمانين: يتحدث عن «علاج الجراحات» وهو يعنى هنا جروح الإصابات التى تنتج من قطع سيف أو سكين أو طعنة برمح أو سهم أو نتيجة لصكة حجر. ويتكلم فى هذا الفصل عن جروح الرأس والعنق والصدر وما بين الكتفين.

.. ويقول فى جروح الرأس: «متى حدث فى الرأس جرح بسيط ولم يكن كسر عظيم نظرت فإن كان من صكة حجر ونحوه وكان قد شرخ الجلد فقط، وكان الجرح كبيرًا، وخشيت على العليل حدوث الورم الحار. «الالتهاب الحاد» فافصده.. ويحمل على الجرح إن حدث به ورم حار قطنة مغموسة فى دهن الورد وحده أو مع شراب فيه قبض. وإن كان الجرح كبيرًا وكان من قطع سيف أو نحوه ولم تجتمع شفتاه بالرفائد فاجمعها

بالخياطة على ما أنا واصفه فى خياطة جراح البطن.

.. فإن حدث مع الجرح كسر فى العظم وكان يسيرًا فاجذبها بالجفت.

.. ويقول فى جراحات العنق: «إذا كان قد قطع عصبًا فليس فيه علاج. وإذا كان كبيرًا فاستعمل الخياطة أو ضم شفتيه بالرفائد، وإن كان للجرح غور وحدث فيه مخبأ Pocket فى أسفله قد اجتمع فيه القيح فبطه فى أخفض موضع فيه، فإن كان قد انقطع فى الجرح شريان فابتره، واربطه أو اكوه، وإن كان الجرح قد قطع بعض خرزات الحلقوم فاجمع شفتى الجرح بالخياطة على قصبة الحلقوم، ولا تمس الحلقوم بل سَوِّه ورده على شكله الطبيعى».

.. وفى جراحات الصدر وما بين الكتفين يقول: «إن كانت طعنة سكين أو رمح ورأيت لها غورًا فانظر فإن خرج منها الريح إذا تنفس العليل فاعلم أنه جرح إقبال.

.. واجعل فى فم الجرح قطنة بالية لتمتص ما يخرج منه من الرطوبات، واجعل نوم العليل على الجرح ليسيل ما يجتمع فيه، فإن كان قد مضى للجرح ثلاثة أيام أو أكثر ولم يحدث للعليل تشنج ولا احتقان، ولا ضيق فى النفس، فاعلم أن الجرح سالم فعالجه بالفتل وساير العلاج، فإن تعذر برؤه وقد انتفخ دائمًا فاعلم أنه قد صار ناصورًا فعالجه من بابه... وإن كان الجرح بسيطًا فى سطح الصدر أو الظهر فعالجه بما تقدم من الخياطة إن كان كبيرًا.. وإن كان قد أثر فى العظم وقطع منه شظايا ففتش الجرح وبادر تلك الشظايا».

.. وفى الفصل الخامس والثمانين: يتكلم عن «جراح البطن وجراح المعى وخياطتها» فيقول: «قد يخرج من الجرح معى أو عدة أمعاء.. ترد المعى إلى الداخل فى أسرع وقت وإلا عرض لها نفخ وصعب إدخالها»

وفى هذه الحالة ينصح بأن «تغطى بخرقة رطبة فى الماء الفاتر، فإن تعذر رجوعه يشق فى الجرح بآلة تشبه المشرط المعوج تكون جهتها الواحدة المعوجة محدودة وجهتها الأخرى غير محدودة الطرف فإذا اتسع الجرح دخلت المعى».

.. وبعد ذلك يصف أربع طرق لخياطة البطن يضم فيها الجلد والصفاق، ويسمى الطريقتين الأوليين خياطة عامة أولى وثانية، ويسمى الطريقتين الأخيرتين خياطة خاصة أولى وثانية وذكر ما قاله جالينوس فى هذا.

.. ثم يتكلم عن جرح الأمعاء كما يلى: «وإن كان العفن قد بلغ فى المعى وصار جرحًا نافذًا إلى جوفه، فاعلم أن ما كان من المعى غليظًا فهو أسهل برءًا، وأما المعى المعروف بالصائم فإنه لا يقبل البرء، وذلك لكثرة ما فيه من العروق وعظمها ورقة جرمه وقربه من طبيعة العصب».

.. ونلاحظ هنا أن الكلام نفسه قد كتبه من قبل الرازى وابن سينا، وقد يعلل ما كتبوه عن سهولة شفاء جرح الأمعاء الغليظة أنها إذا خرجت من الجرح فإنها تؤدى إلى ما يشبه الشرج الصناعى : Colostomy لكنها إذا أدخلت إلى البطن فستؤدى إلى التهاب بريتونى قاتل. أما جرح الأمعاء الدقيقة فإنه يؤدى إلى ناسور معوى وحالة جفاف شديدة : Dehydration تؤدى بحياة المريض بسرعة.

.. ثم يستطرد الزهراوى ويقول: «وأما إذا كان الذى برز من الجرح «الثرب» وأدركته طريًا فرده على حسب ردك للمعى. وإن كان مضى له مدة وقد أخضر أو أسود فينبغى أن تشده بخيط فوق الموقع الذى اسود منه، لئلا يعرض نزف دم، فإن فى الثرب عروقًا وشريانات كثيرة، ثم تقطع ما دون ذلك الرباط وتجعل طرفى الخيط متعلقة من أسفل الجراحة خارجًا منها ليسهل عليك سله وإخراجه عند سقوط الثرب وتقيح الجرح».

.. وفى الفصل السادس والثمانين : يتكلم عن «إخراج المعى» فيقول : «وإذا عرض خرق فى المعى وكان صغيرًا فقد يمكن أن يبرأ فى بعض الناس، ومن أجل أنى رأيت إنسانًا قد جرح فى بطنه برمح وكان الجرح عن يمين المعدة فأزمن الجرح وصار ناصورًا يخرج منه البراز والريح Foecal Fistula or Colostomy. فجعلت أعالجه على أننى لم أطمع فى برئه. ولم أزل ألاطفه حتى برىء والتحم الموضع.

.. وذكر البعض أن الجرح الصغير فى المعى يمكن أن يخاط بواسطة النمل كبار الرؤوس، تجمع شفتا الجرح وتوضع نملة منها وهى مفتوحة فمها على شفتى الجرح فإذا قبضت عليه وشدت فاها قطع رأسها..

.. وقد يمكن أيضًا أن يخاط المعى بالخيط الرقيق الذى يسل من مصران الحيوان اللاصق به بعد أن يدخل فى إبرة».

.. ويعتبر الزهراوى أول جراح استخدم الخيط الذى يسل من مصران الحيوان أى ما نسميه الآن : «Catgut» فى خياطة الأمعاء.

.. وفى الفصل السابع والثمانين : يتكلم عن : «علاج النواصير والزكام» وهو يعنى هنا ما نسميه Sinuses فيقول : «الناصور أو الزكام ينتج من جرح لم يلتحم، وكان يمد القيح دائمًا، وله تجويف كتجويف ريش الطير، ويكون فى بعض الأوقات رطبًا يمد القيح وربما انقطعت الرطوبة فى بعض الأوقات.

.. وقد يحدث الناصور والزكام فى جميع أعضاء الجسم.

.. وفى الفصل الثامن والثمانين : يتكلم عن «قطع الأطراف ونشر العظام» فيقول : «وقد تعفن الأطراف إما من سبب من خارج وإما من سبب من داخل وإذا رأيت الفساد يسعى فى العضو لا يرده عنه شىء، فينبغى أن تقطع ذلك العضو إلى حيث بلغ الفساد لينجو العليل بذلك من الموت.

.. علامة من ظهر له ذلك أن يَسْوَدّ ذلك العضو حتى يظن أن النار أحرقته. وكذلك إن كانت سبب الفساد عن لسع بعض الهوام كعقرب البحر أو الأفعى أو نحو ذلك.

.. فإن كان الفساد أو اللسعة فى طرف الأصبع فلا تهمل الفساد حتى يسعى ويأخذ فى زندى الذراع، فإن حدث فاقطع الذراع عند المرفق فى المفصل نفسه، فإن جار الفساد ورأيته أخذ إلى نحو المنكب فإن ذلك موت العليل.

.. وكذلك تفعل بالرجل، إذا أخذ الفساد الأصبع فاقطع عند أحد السلاميات وإن أخذ فى مشط الرجل فاقطع الرجل بأسرها، فإن صعد إلى الركبة فاقطع الساق عند مفصل الركبة، فإن كان الفساد قد بلغ الركبة فليس فيه حيلة إلا تركه وإسلام العليل إلى الموت».

.. من هذا الوصف نجد أن الزهراوى يصف الغنغرينا وصفًا جيدًا وينصح بإجراء عملية البتر. وهو يجرى العملية حتى مفصل المرفق فى الذراع ومفصل الركبة فى الساق، وفيما يلى يصف طريقة قطع العضو ونشره :

.. «تشد رباطًا فى الموضع الذى تريد قطعه وشد رباطًا آخر فوق الموضع ويمد خادم الرباط الواحد إلى أسفل وخادم آخر يمد الرباط الأعلى إلى فوق، وتجرد أنت اللحم بين الرباطين بمبضع عريض حتى ينكشف اللحم كله، ثم تقطع أو تنشر، فإن حدث نزف دم فى خلال عملك فاكو الموضع بسرعة».

.. وفى الفصل الواحد والتسعين : يتكلم عن «قطع الدوالى وعلاجها» فيقول : «الدوالى هى عروق ملتوية غلاظ، مملوءة فضولاً سوداوية تحدث فى أكثر أعضاء الجسم، وأكثر حدوثها فى الساقين ولا سيما سوق الشيوخ والحمالين والأكارين.

.. وعلاجها بالحديد يكون على ضربين أحدهما أن تشق ويخرج الدم الأسود والوجه الآخر أن تسلّ العروق بأسرها».

.. ثم يصف عملية سل العروق وهى شبيهة جدًا بالعملية التى نمارسها فى وقتنا الحاضر ونسميها : Stripping of the Veins فيقول : «تحلق ساق العليل إن كان فيه شعر ثم تدخله الحمام وتنطل ساقه بالماء الحار حتى تحمر وتدر العروق أو يرتاض رياضة قوية إن لم يحضره حمام، حتى يسخن العضو ثم تشق الجلد قبالة العرق شقًا بالطول إما فى آخره عند الركبة وإما أسفله عند الكعب، ثم تشد الجلد بالصنانير وتسلخ العرق من كل جهة حتى يظهر للحس، وهو أول ظهوره تراه أحمر قانيًا فإذا خلص من الجلد تراه أبيض كأنه الوتر ثم تدخل تحته مرودًا حتى إذا ارتفع وخرج عن الجلد، علقه بسنارة ملساء.

.. ثم تشق شقًا آخر بالقرب من ذلك الشق بثلاثة أصابع، ثم اسلخ الجلد من على العرق حتى يظهر، ثم ارفعه بالمرود كما فعلت، وعلّقه بسنارة أخرى كما فعلت أولاً، ثم تشق شقًا آخر وشقوقًا كثيرة إن احتجت إلى ذلك، ثم سله واقطعه فى آخر الشق عند الكعب، ثم اجذبه وسله حتى يخرج من الشق الثالث أعلى الشقوق كلها حتى إذا خرج جميعه فاقطعه. وإن لم يجبك للجذب والسل، فأدخل إبرة بخيط قوى مثنى واربطه واجذبه وأدخل تحته المرود، وافتل يدك إلى كل جهة وتحفظ لا ينقطع، فإن انقطع عسر عليك سله جدا وتدخل على العليل منه مضرة، فإذا سللته كله تضع على مواضع الجراحات صوفًا مغموسا فى شراب ودهن ورد أو زيت».

.. وبهذا يكون الزهراوى أول جراح استخدم طريقة سل العروق لعلاج دوالى الساق، وذلك منذ حوالى ألف عام تقريبًا. ولم تستخدم هذه الطريقة فى وقتنا الحاضر إلا منذ حوالى ثلاثين عامًا فقط بعد إدخال بعض التعديل عليها.

.. وفى الفصل الثانى والتسعين : يتكلم عن «سل العرق المدنى» وهو يعنى هنا دودة المدينة Medium Worm فيقول : هذا العرق يتولد فى الساقين فى البلدان الحارة كالحجاز وبلدان العـرب وفى الأبـدان الحـارة القليلـة الخصب، وربما تولد فى مواضع أخرى من البدن غير الساقين.

.. وعلامة ابتداء حدوث هذا العرق أن يحدث فى الساق تلهب شديد ثم يتنفط الموضع، ثم يبتدىء العرق يخرج من موضع ذلك التنفط كأنه أصل نبات أو حيوان. فإذا ظهر منه طرفه فينبغى أن يلف عليه قطعة صغيرة من رصاص يكون وزنها درهم إلى درهمين ويترك الرصاص معلقًا من الساق، وكلما خرج منه شيء إلى خارج لففته فى الرصاص وعقدته، فإن طال كثيرًا فاقطع بعضه ولف الباقى، ولا تقطعه من أصله قبل أن يخرج كله، لأنك إن قطعته تقلص ودخل فى اللحم وأحدث ورمًا وعفنًا فى الموضع وقرحة ردية، فلذلك ينبغى أن يداوى ويجرّ قليلاً حتى يخرج كله. ومن هذا العرق فى بعض الناس ما يكون طوله خمسة أشبار وعشرة أشبار، فإن انقطع فى حين علاجك له، فأدخل مرودًا فى ثقبه وبطه بطًا طويلاً مع البدن حتى يتفرغ كل ما فيه من مادة وحاول تعفين الموضع بالأدوية».

.. وطريقة العلاج هذه ما زالت هى التى نستعملها حتى وقتنا هذا.

ومن ذلك كله يتبين لنا كيف كان الزهراوى جراحًا عظيمًا نفخر به دائمًا كرائد من رواد الجراحة فى تاريخ الطب فى الدولة الإسلامية، وكتابه «التصريف» وبخاصة «الجزء الثلاثون» يعد مفخرة من مفاخر الجراحة والطب فى الدولة الإسلامية لأنه يتضمن سائر النواحى الجراحية المعروفة فى عصره وقد عرضها بأسلوب علمى فريد بالإضافة إلى ما تضمنه من صور وأشكال موضحة للجراحة والأدوات والآلات المستخدمة فيها. وفى كتابه هذا رفع من شأن الجراحة رفعة لعائلة بما قدمه من معلومات مفيدة للعاملين فى هذا المجال. وكان من أبرز من فرقوا بين الجراحة وغيرها من فروع الطب، وجعل الجراحة تؤسس على علم التشريح وبين أهمية معرفة وظائف الأعضاء. ولهذا نلاحظ أنه

ليس من الغريب أن يصبح كتاب «التصريف» الكتاب الأساسي لجراحي الغرب حتى القرن السابع عشر. وظل المرجع الكبير لدارسي الطب في بعض جامعات أوربا مثل جامعة «سالرنو» و«مونبليه» في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين. والحقيقة التي ينبغي ألا تغفل أن الجراحين الذين عُرفوا في إيطاليا في عصر النهضة وما تلاه من قرون اعتمدوا اعتمادًا كبيرًا على كتاب «التصريف» للزهراوي.

ومن زاوية أخرى ينبغي ألا ننسى أن الزهراوي يعد بحق أول من وصف الاستعداد الخاص لدى بعض الأجسام للنزيف «Heamophilia» بعد أن شاهد عدة أفراد قد أصيبوا بالنزيف من عائلة واحدة.

كما أن الزهراوي يعد أول طبيب استطاع أن يحول مجرى البول إلى الشرج في الرجال، وإلى المهبل في النساء.

ولا زالت بعض إرشاداته في الطب والجراحة تجري بنفس طريقته القديمة حتى يومنا هذا.

ولاشك عندنا أنه يعد الجراح الكبير في تاريخ الطب في الدولة الإسلامية.

ابن جُلْجُل

هو أوبو داود سليمان بن حسان المعروف بابن جُلْجُل. وُلد بقرطبة حوالى عام ثلاث وثلاثين وثلاثمائة هجرية. وسمع الحديث وهو ابن عشر سنين بجامع قرطبة، والزهراء. وأخذ العربية عن محمد بن يحيى الرباحى النحوى المعروف المتوفى سنة ٣٥٨ هـ.

وقد عنى ابن جلجل بدراسة الطب ونبغ فيه نبوغًا واضحًا وعاصر عهد عبد الرحمن الناصر، والحكم المستنصر، والمؤيد بالله هشام الثانى.

وأبرز مؤلفاته «طبقات الأطباء والحكماء».

ويعد ابن جلجل أول أبناء الأندلس ممن كتبوا عن طبقات الأطباء[1] واعتمد فى كتابه هذا على تراجم عربية لأصول لاتينية تاريخية حيث استفاد من الترجمات لكتب الطب والفلسفة التى تمت فى عصر الترجمة وازدهار العلم.

وكتاب طبقات الأطباء والحكماء لابن جُلْجُل كما قال عنه القفطى هو «تصنيفٌ صغير فى تاريخ الحكماء» لكنه فى الحقيقة يفيد الباحثين فى إلقاء بعض الضوء على الجوانب الهامة فى أخبار الأطباء.

ومن مؤلفات ابن جُلْجُل المعروفة كتابه «تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدس».

---

(١) أول من ترجم للأطباء والحكماء فى دولة الإسلام فى كتاب خاص بهم هو إسحق بن حنين المتوفى سنة ٢٩٨ هـ ووضع لذلك كتابًا هو «تاريخ الأطباء والحكماء». لكنّا نجد شذرات قبل ذلك تتضمن ترجمة لعدد من الأطباء دون أن يخصصوها فى كتاب مستقل بهم لعدد من المؤلفين مثل حنين بن إسحق المتوفى عام ٢٦٠هـ واليعقوبى المتوفى سنة ٢٨٤.

وكتاب ديسقوريدس يضم حوالى ستمائة عشبة وعددًا من الأدوية المعدنية والزيوت والأدهان ذات الفائدة الطبية. وقد أضاف تلاميذه فيما بعد مقالتين خاصتين بالسموم ونسبوها إلى ديسقوريدس ولكتاب ديسقوريدس منزلة رفيعة فى تاريخ التصوير وبخاصة تصوير الأعشاب. وقد شرح ابن جلجل الكتاب شرحًا جيدًا فى مؤلفه «تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدس».

وفى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة يحكى لنا المؤلف قصة شرح ابن جُلْجُلْ لكتاب ديسقوريدس فيقول فى نص طويل هام نعرضه لأهميته لمن يريد معرفة علاقة ابن جُلْجُلْ بهذا الكتاب.

[قال ابن جلجل]: «إن كتاب ديسقوريدس ترجم بمدينة السلام (بغداد) فى الدولة العباسية، فى أيام جعفر المتوكل، وكان المترجم له «اصطفين بن بسيل» الترجمان، من اللسان اليونانى إلى اللسان العربى، وتصفح ذلك حنين بن إسحق المترجم، فصحح الترجمة وأجازها، فما علم اصطفن من تلك الأسماء اليونانية فى وقته له إسمًا فى اللسان العربى، فَسَّره بالعربية، وما لم يعلم له فى اللسان العربى اسمًا تركه فى الكتاب على اسمه اليونانى، اتكالاً منه على أن يبعث الله بعده، من يعرف ذلك ويفسره باللسان العربى، إذ التسمية لا تكون إلا بالتواطؤ من أهل كل بلد على أعيان الأدوية بما رأوا، وأن يسموا ذلك إما باشتقاق وإما بغير ذلك من تواطئهم على التسمية، فاتكل اصطفن على شخوص يأتون بعده ممن قد عرف أعيان الأدوية التى لم يعرف هو لها إسمًا فى وقته، فيسميها على قدر ما سمع فى ذلك الوقت، فيخرج إلى المعرفة.

قال ابن جُلْجُلْ: وورد هذا الكتاب إلى الأندلس وهو على ترجمة «اصطفن» منه ما عرف له اسمًا بالعربية ومنه ما لم يعرف له اسمًا، فانتفع الناس بالمعروف منه بالمشرق وبالأندلس، إلى أيا الناصر عبد الرحمن بن محمد وهو يومئذ صاحب الأندلس، فكاتبه أرمانيوس الملك ملك

القسطنطينية أحسب فى سنة ٣٣٧ هـ. وهاداه بهدايا لها قدر عظيم، فكان فى جملة هديته كتاب «ديسقوريدس» مصور الحشائش بالتصوير الرومى العجيب. وكان الكتاب مكتوبًا بالإغريق الذى هو اليونانى...

قال ابن جُلْجُل: ولم يكن يومئذ بقرطبة من نصارى الأندلس يقرأ اللسان الإغريق الذى هو اليونانى القديم، فبقى كتاب «ديسقوريدس» فى خزانة عبد الرحمن الناصر باللسان الإغريق، ولم يترجم إلى اللسان العربى، وبقى الكتاب بالأندلس، والذى بأيدى الناس بترجمة «اصطفن» الواردة من مدينة السلام، فلما جاوب الناصر مارينوس الملك، سأله أن يبعث برجل يتكلم بالإغريقى واللاطينى، ليعلم له عبيدًا يكونون مترجمين. فبعث أرمانيوس الملك إلى الناصر براهب كان يسمى نيقولا، فوصل إلى قرطبة سنة ٣٤٠ هـ. وكان يومئذ بقرطبة من الأطباء، قوم لهم بحث وتفتيش وحرص على استخراج ما جهل من أسماء عقاقير ديسقوريدس العربية...

قال ابن جُلْجُل: وكان هؤلاء النفر كلهم فى زمان واحد مع نقولا الراهب. أدركتهم وأدركت نقولا الراهب فى أيام المستنصر، وصحبتهم فى أيام المستنصر الحكم، وفى صدر دولته مات نقولا الراهب، فصح ببحث هؤلاء النفر الباحثين عن أسماء عقاقير كتاب ديسقوريدس. وتصحيح الوقوف على أشخاصها بمدينة قرطبة خاصة بناحية الأندلس. ما أزال الشك فيها عن القلوب، وأوجب المعرفة بها والوقوف على أشخاصها، وتصحيح النطق بأسمائها بلا تصحيف إلا القليل منها الذى لا بال به ولا خطر له، وذلك يكون فى مثل عشرة أدوية.

قال ابن جُلْجُل: وكان لى فى معرفة تصحيح هيولى الطب الذى هو أصل الأدوية المركبة، حرص شديد وبحث عظيم، حتى وهبنى الله من ذلك بفضله بقدر ما اطلع عليه من نيتى، فى إحياء ما خِفْتُ أن يُدْرس، وتذهب منفعته لأبدان الناس، فالله قد خلق الشفاء وبَثَّهُ فيما

أبنته من الأرض واستقر عليها من الحيوان المشاء، والسابح فى الماء والمنساب، وما يكون تحت الأرض فى جوفها من المعدن، كل ذلك فيه شفاء ورحمة ورفق».

ومن خلال النص الذى ذكره ابن أبى أصيبعة يتبين لنا الدور الواضح لابن جلجل فى كتاب «الحشائش» لديسقوريدس فقد وضع له تفسيرًا، كما أنه أدرك «نقولا الراهب» الذى ترجم كتاب «ديسقوريدس» من اليونانية إلى اللاتينية، وأسهم ابن جلجل مع غيره من علماء قرطبة آنذاك فى تصحيح أسماء العقاقير المذكورة فى كتاب «ديسقوريدس» وظهرت جهوده واضحة قوية من خلال شرحه لكتاب الحشائش.

ابن زهر

من الأطباء المشهورين بالأندلس:
أبو مروان عبد الملك بن أبى العلاء زهر.
المولود فى أشبيليه حوالى ١٠٩١ م والمتوفى بها حوالى ١١٦٢ م.
هو واحد من أشهر الأطباء فى الأندلس. توارث الطب عن آبائه وأجداده وهو الثالث من ستة أجيال توارثوا الطب من أسرته الطبية الشهيرة فى تاريخ الطب بالأندلس[1].

ويذكر التاريخ أيضًا أن من أسرته بنتًا لابن زهر، اشتغلت بطب النساء والتمريض وأن بنتًا أخرى لهذه السيدة اشتغلت بالطبابة النسائية والتمريض.

مجهودات ابن زهر الطبية:

لعل أبرز مجهودات ابن زهر الطبية أنه كان من أوائل الذين وصفوا خراج الحيزوم والتهاب التامور الناشف والإنسكابى.

ولعل ذلك يرجع بالدرجة الأولى إلى أن ابن زهر كان عالمًا بالتشريح ويدل على ذلك وصفه للالتهابات وخراجات الصدر، وتشخيصه بأن ذلك

(١) يقول الدوميلى فى العلم عند العرب ص ٣٩٧. أن أسرة ابن زهر انجبت سلسلة كاملة من مشاهير الأطباء، وأول شخصية مشهورة من هذه الأسرة، التى استقرت فى شاطبة منذ أوائل القرن العاشر، هو الفقيه أبو بكر محمد بن مروان، الذى توفى فى تل أعفر «Talavera» سنة ١٠٣١ م. عن ستة وثمانية علمًا.

وكان ابنه أبو مروان عبد الملك طبيبًا مشهورًا، أقام بعض الزمن بالقاهرة، فلما رجع إلى أسبانيا أقام فى دانية، حيث توفى سنة ١٠٧٨ م.

الخراج مرض يختلف عن التهاب البلورة أى غشاء الرئة، وعن استسقاء تامور القلب.

وعالج ابن زهر حالات الشلل الذى يصيب البلعوم بثلاث طرق نقلها عنه الأطباء :

الأولى : أن يحفظ حيوية المريض بأن يوضع فى ماء فاتر به بعض الأملاح المغذية، فتتشرب إلى جثمانه عن طريق الامتصاص الجلدى. غير أنه لم يُحبِّذ هذه الطريقة.

والثانية : أن يغذى المريض بأنبوب من فضة ينقل الطعام إلى معدته عن طريق البلعوم.

والثالثة : الحقن الشرجى بمادة مغذية.

وابن زهر تخصص فى الطب ولم يشتغل بغير الطب. ولهذا فقد كانت مؤلفاته فى الطب فقط. وقد فقدت معظم مؤلفاته ولم يبق منها سوى كتاب الاقتصاد فى إصلاح الأنفس والأجساد الذى ألفه ابن زهر لإبراهيم بن يوسف بن تاشفين، وكتاب الأغذية وكتابه الشهير التيسير فى المداواة والتدبير.

وقد صنف ابن زهر الكتاب بناء على رغبته وطلب ابن رشد صديقه ومعاصره وقد ذكر ابن رشد فى كتابه « الكليات » أن أعظم طبيب بعد جالينوس ابن زهر.

والمعروف أن ابن رشد لما ألف كتاب « الكليات »، طلب من صديقه ابن زهر تأليف كتاب الأمور الجزئية، ليكون تتمة لكتابه فى الكليات، ويدرس الأمراض واحدًا بعد واحد، والأعضاء عضوًا بعد عضو.

ويقسم ابن رشد كتابه إلى ثلاثة أجزاء فى كل جزء عدد من الرسائل، تختص كل رسالة بعدد من الأمراض، ويتضمن الكتاب الأول

ست عشرة رسالة أهم ما تتناوله قروح الرأس خاصة بالأطفال، من قراع، وداء الثعلب، والصلع، وتشقق الشعر، والسعفة وتبييض موضع من الشعر، وإنبات الشعر فى غير موضعه.

وينسب لابن زهر وصف لعلاج قمل الجرب[1] وفى الرسالة الثانية يتحدث ابن زهر عما يعرض للرأس من الجراحات، وفى الثالثة أمراض الرأس، وفى الرابعة أمراض الأذنين وفى الخامسة أمراض الأنف وهكذا يستمر ابن زهر فى بقية رسائله متحدثًا عن أمراض الفم والشفاه والأسنان والعين والقلب والكبد والمعدة وأمراض الصدر، والأمراض الوبائية والعديد من الأمراض المعروفة فى عصره، وفى ختام الكتاب يتحدث عن قوائم بالوصفات الطبية سماها ابن زهر «الجامع» ووصايا فى تركيب الأدوية واستعمالاتها.

وقد ترجم كتاب التيسير إلى اللاتينية فى «بادوا» سنة ١٩٨٠ م. وتذكر الموسوعة البريطانية أن «بارافيشيوس» نقله إلى اللاتينية عن العبرية وأنه طبع فى البندقية سنة ١٤٩٠.

أما كتاب الأغذية لابن زهر ففيه يدرس الأغذية حسب تصوره ويتحدث عن أنواع الخبز المصنوعة من الحبوب ومن طحين الحمص والفول والفاصوليا والعدس، ثم تحدث بعد ذلك عن أنواع الأغذية من اللحوم وأنواع اللبن ومشتقاته، والسمك وأنواعه وأنواع الفواكه والخضروات والعسل والسكر والحلويات والمشروبات والزيوت والتوابل والأشربة. وبعد ذلك يتحدث عن مواقيت الأكل والنوم والاغتسال والرياضة ومبادئ الصحة العامة.

---

(١) الحقيقة أن قمل الجرب عُرفَ على أنه السبب المباشر فى الجرب سنة ١٦٨٧ على أثر الدراسات التى عملها كل من بونو وتشستوني وقد ذكر أيضًا أحمد الطبرى فى كتابه المعالجة البقراطية قمل الجرب والمرض الذى يسببه.

وبعد: فلا زلت أقول مع العماد الأصفهانى: «إنى رأيت أنه لا يكتب أحد كتابًا فى يومه إلا قال فى غده، لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يُسْتَحْسَنْ، ولو قُدِّمَ هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العِبَر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر».

ثم يبقى أن: أحمدك ربى كثيرًا على سابغ نعمائك وعطاياك علىَّ وأسألك الهداية والتوفيق وأسألك الشكر على العافية والغنى عن الناس وأسألك الجنة يا رب العالمين.. وأسألك قبول هذا العمل وأن تجعله خالصًا لوجهك الكريم.

وختامًا: فإن كنت قد وفقت فلله تعالى المِنَّة والشكر، وإن أكن قد قصرت فإن الكمال لله وحده، ومنه أستمد العون لدرك ما فاتنى، وهو الموفق والهادى سواء السبيل.

عامر النجار


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ملحق الكتاب

أقدم رسالة علمية فى العالم

بردية «إدوين سميث» فى الجراحة

عام ٣٠٠٠ ق.م

نقلاً عن ترجمة بريستد للأصل الهيروغليفى

نقلها إلى العربية العالم المصرى الكبير

الأستاذ الدكتور محمد كامل حسين فى كتابه «متنوعات»

مدخل للتعريف بالرسالة :

الرسالة ورقة من البردى أولها مقطوع وفيها وصف لثمان وأربعين حالة وصفها طبيب مصرى قديم لم يُعرف اسمه. وقد عثر على البردية عالم آثار إمريكى من المهتمين بالآثار المصرية هو « ادوين سميث » وكان عثوره عليها بأحد المقابر الفرعونية بمصر عام ١٨٦٢، وَضُمت البردية بعد وفاة صاحبها « أدوين سميث » إلى جمعية تاريخية فى نيويورك فعهدت الجمعية إلى « بريستد » وهو أحد العلماء المهتمين بالتاريخ الفرعونى بدراستها وترجمتها إلى الإنجليزية. وقام بترجمتها إلى العربية العالم المصرى الكبير الأستاذ الدكتور محمد كامل حسين فى كتابه « متنوعات » كما وضع هوامش هامة للترجمة العربية ويقول الدكتور كامل حسين عن هذه الرسالة[1] « والرسالة فذة لأنها أول رسالة علمية فى العالم ولأنها أول رسالة تدرس موضوعا بعينه ولأنها أول رسالة بها مصطلحات علمية تخفى على عين المختصين وهى فذة فى تبويبها فقد جَعَلَ وصفه للحالات مرتبا من قمة الرأس إلى الوجه إلى الصدغ إلى الرقبة ثم الترقوة والعضد ولا شك أنه استمر بمثل هذا التبويب ووصف الحالات مبتدئا بأبسطها وأسهلها علاجا وأملى عليهم عدة فحوص للحالة الواحدة حسب تطورها.

وبردية إدوين سميث الطبية طولها حوالى ٤,٦٨ مترا وعرضها يقرب من ثلاثة وثلاثين سنتيمترا. وفى البردية اثنتا عشرة لوحة وفيها اثنان وعشرون عامودا من النقوش المصرية القديمة منها سبعة عشر عامودا رأسيا والخمسة الباقية أفقية، ولعل عدة أفراد كتبوا هذه البردية لا فردا واحدا لاختلاف واضح فى الخط.

---

(١) متنوعات : ص ٩١.

والبردية وثيقة هامة تبين لنا مدى تقدم الجراحة عند المصريين القدماء. والوثيقة يرجع تاريخها إلى ما بين المملكة الوسطى وعهد الامبراطورية ولعل تاريخها يرجع إلى عهد بناة الأهرام أى حوالى عام ٢٥٠٠ أو ٣٠٠٠ ق. م.

بردى أدوين سميث
نقلاً عن ترجمة بريستد للأصل الهيروغليفى

الحالة الأولى:

إرشادات خاصة بجرح فى رأسه نافذ إلى عظمة جمجمته.

إذا فحصت رجلاً عنده جرح فى رأسه نافذ إلى عظم جمجمته دون قطع فيجب أن تضع يدك عليه فإذا وجدت جمجمته سليمة دون نفاذ أو كسر أو شق فيجب أن تقول عنه رجل عنده جرح فى رأسه وجرحه ليست له شفتان وليس به شق مع أنه نافذ إلى عظم رأسه، مرض سأعالجه.

يجب أن تربط عليه لحمًا طريًا فى اليوم الأول، وعالجه بعد ذلك بالدهن والعسل والكتان كل يوم حتى يبرأ.

شرح ١:

* قوله إذا «فحصت» رجلا يعنى العد كأنك تعد أشياء بالكيل أما عن الفحص (حرفيًا العد) فهو مثل عد كمية معينة. بالكيل أو عد شىء على الأصابع لتعلم... عد شىء بالكيل هو مثل قياس عد المرأة وقياس مرض رجل هو لأجل أن تعلم علم القلب لأن هناك قنوات أو (عروق) فيه (القلب) لكل عضو وإذا وضع كاهن سخمت أو أى طبيب يديه أو اصابعه على الرأس أو مؤخر الرأس على اليدين أو على النبض أو على القدمين فإنه يقيس القلب لأن نبضه فى كل عرق فى كل عضو. وقوله يقيس قلبه يعنى من أجل الأوعية.

ويقول العالم الكبير الدكتور محمد كامل حسين:

* هذا الشرح على أهميته غامض لنقص بعض أجزائه الهامة ولم أحاول أن أجعله أوضح ولم أشأ أن أجعل عبارته أكثر استقامة خوفًا من تشويه الأصل على أن ما بقى من هذا الشرح يدل على علم بالعروق والقلب وعد النبض لمعرفة عمل القلب (م. ك. ح).

التى تذهب إلى رأسه ومؤخرة رأسه وقدميه.. قلبه حتى يعرف العلامات التى نشأت هناك يعنى يقيسه ليعرف ما حدث له.

شرح ٢ :

وجرحه ليست له شفتان يعنى أن جرحه ضيق دون إنفراج شفته عن الأخرى.

شرح ٣ :

نافذ إلى عظمة جمجمته دون شق يعنى أن اللحم به جرح ولو أن... فوق عظمة جمجمته دون إنفراج شفة عن الأخرى أى ضيق غير واسع.

الحالة الثانية :

إرشادات خاصة بجرح منفرج فى رأسه نافذ إلى العظم.

إذا فحصت رجلًا عنده جرح منفرج فى رأسه نافذ إلى العظم فيجب أن تضع يدك عليه ويجب أن تفحص بأصابعك (جرحه) فإذا وجدت جمجمته سليمة ليس بها نفاذ. فيجب أن تقول عنه رجل عنده جرح منفرج فى رأسه فيجب أن تقول عنه رجل عنده جرح منفرج فى رأسه، مرض سأعالجه يجب عليك أن تربط عليه لحمًا طريًا من اليوم الأول وأن تضع عليه قطعتين من الكتان وتعالجه بعد ذلك بالدهن والعسل والكتان حتى يبرأ.

شرح ١ : عن (جرح منفرج فى رأسه نافذ إلى العظم) يعنى.... جرحه.

شرح ٢ : قوله قطعتان من الكتان يعنى رباطين من الكتان يضعهما على شفتى الجرح المنفرج ليجعل احداهما تقرب الأخرى.

شرح ٣ : قوله ليس به شق أو نفاذ أو فيه كسر يعنى...

الحالة الثالثة :

إرشادات خاصة بجرح منفرج فى رأسه نافذ إلى العظم خارق لجمجمته.

إذا فحصت رجلاً عنده جرح منفرج فى رأسه نافذ إلى العظم خارق لجمجمته فيجب أن تجس جرحه فإذا وجدته لا يستطيع أن ينظر إلى كتفيه وصدره وهو يشكو تصلبًا فى رقبته فيجب أن تقول عنه رجل عنده جرح منفرج فى رأسه نافذ إلى العظم خارق لجمجمته وهو يشكو تصلبًا فى رقبته مرض سأعالجه. الآن بعد أن تخيط الجرح يجب أن تضع على جرحة لحمًا طريًا فى اليوم الأول ويجب أن لا تربطه ويجب أن تشد المريض إلى عصى مرساه حتى تنتهى مدة إصابته ويجب أن تعالجه بعد ذلك بالدهن والعسل والكتان كل يوم حتى يبرأ.

شرح ٢ - قوله لا يستطيع أن ينظر إلى كتفيه وصدره يعنى ليس من السهل عليه أن ينظر إلى كتفيه وليس من السهل عليه أن ينظر إلى صدره.

شرح ١ : قوله نافذ إلى جمجمته يعنى... جمجمته مكسوره من جراء حدوث كسر لها كما يكسر الأناء من الفخار... الذى حدث له.

شرح ٣ : قوله يشكو تصلبًا فى رقبته يعنى أن رقبته مرفوعه نتيجة حدوث الإصابة التى إنتقلت إلى رقبته حتى أن رقبته تأثرت.

شرح ٤ : قوله أشده إلى عصى مرساه[١] يعنى أعطه غـذاءه العـادى دون إعطاءه دواء.

الحالة الرابعة.

إرشادات خاصة بجرح منفرج فى رأسه نافذ إلى العظم كاسر لجمجمته

إذا فحصت رجلاً به جرح منفـرج فى رأسـه نـافذ إلى العـظم كاسر لجمجمته فيجب أن تجس جرحه فإذا وجدت داخلـه شيئًا يتحـرك تحـت أصابعك وهو يرتعش بشدة والورم فوقه بارز والدم يخرج من منخريه ومن أذنيه ويشكو تصلبًا فى رقبته حتى أنه لا يستطيع أن ينظر إلى كتفيـه وإلى صدره.

فيجب أن تقول عنه رجل به جرح منفرج فى رأسه نـافذ إلى العـظم كاسر لجمجمته والدم يسيل من منخريه وأذنيه وهو يشكو تصلبًا فى رقبته، مرض سأجاهد فيه[٢] الآن عندما تجد جمجمته مكسورة يجب أن لا تـربطه بل أشده إلى عصى مرساه حتى تنتهى مدة إصابته وعلاجه جالسًا وأجعل له مسندين من اللبن حتى تعلم أنه وصل إلى نقطة حاسمة ويجب أن تضع على رأسه الدهن ورطب رقبته بـه وكذلك كتفيـه ويجـب أن تعمـل ذلك بكل مصاب بكسر فى جمجمته.

شرح ١ : قوله كاسر لجمجمته يعنى إنفصـال شـقفه عـن شـقفه فى جمجمته وتبقى القطع لاصقة باللحم دون إنفصال.

شرح ٢ : قوله الورم فوقه بارز يعنى الورم فوق الكسر كبير وعال.

شرح ٣ : حتى يبلغ نقطة حاسمة يعنى حـتى تعـلم أنـه سـيموت أو سيعيش لأنها حالة سأجاهد فيها.

---

(١) تعبير غامض جدًا رغمًا من الشرح واصل التعبير هو ربط سفينة إلى القـوائم التى تـربط إليها السفن عند رسوها (محمد كامل حسين).

(٢) تعبير يستخدمه المؤلف حين يكون العلاج غير مؤكد النجاح.

الحالة الخامسة :

إرشادات خاصة بجرح منفرج فى رأسه كاسر لجمجمته :

إذا فحصت رجلاً به جرح منفرج فى رأسه نافذ إلى العظم كاسر لجمجمته فيجب أن تجس جرحه فإذا وجدت الكسر الذى فى جمجمته عميقًا غائرًا تحت أصابعك والورم فوقه بارزًا والدم يسيل من منخريه وأذنيه وهو يشكو تصلبًا فى رقبته وهو لذلك لا يستطيع أن ينظر إلى كتفيه وصدره.

فيجب أن تقول عنه رجل عنده جرح منفرج فى رأسه نافذ إلى العظم كاسر لجمجمته وهو يشكو تصلبًا فى رقبته، مرض لا يعالج. يجب أن لا تربط جرحه بل يجب أن تشده إلى عصى مرساه حتى تنتهى مدة إصابته.

شرح ١ : قوله كاسر لجمجمته يعنى أن تكسر جمجمته جعل العظام تتخف داخل جمجمته جاء فى (رسالة عن ما يتعلق بجروحه) إن هذا يعنى أن هذا الكسر أحدث قطعًا كثيره دخلت فى جمجمته.

الحالة السادسة :

إرشادات خاصة بجرح منفرج فى رأسه نافذ إلى العظم كاسر لجمجمته فاتح مخ جمجمته.

إذا فحصت رجلاً به جرح منفرج فى رأسه نافذ إلى العظم كاسر لجمجمته فاتح مخ جمجمته:

فيجب أن تجس جرحه فإذا وجدت الكسر الذى فى جمجمته مثل التموجات التى تتكون فوق النحاس المصهور وان شيئًا ينبض فى داخله يرجف تحت أصابعك مثل الجزء الضعيف فى أعلى رأس الطفل قبل أن يصبح كاملاً - إذا حدث فلا نبض ولا حركة تحت أصابعك حتى تفتح مخ جمجمته - والدم يسيل من منخريه وهو يشكو من تصلب فى عنقه. فيجب أن تقول عنه مرض لا يعالج.

ويجب أن تضع على الجرح الدهن ولا تربطه ولا تضع عليه قطعتى الكتان حتى تعلم أنه وصل إلى نقطة حاسمة.

شرح ١ : قوله كاسر لجمجمته فاتح لمخ جمجمته يعنى أن الكسر كبير فاتح لداخل الجمجمة واصل إلى الغشاء المحيط بمخه حتى أنه ليخرج منه السائل الذى هو داخل رأسه.

شرح ٢ : قوله مثل التموجات التى تتكون فوق النحاس المصهور يعنى النحاس الذى يرمى به قبل الصب فى القالب تكون فوقه من شىء غريب عنه كالتجاعيد يقال فيه أنه يشبه الصديد المتموج.

الحالة السابعة :

إرشادات خاصة بجرح منفرج فى رأسه نافذ إلى العظم خارق تضاريس جمجمته إذا فحصت رجلاً به جرح منفرج فى رأسه نافذ إلى العظم خارق تضاريس جمجمته فيجب أن تجس جرحه وأن أرتعش بشدة ويجب أن تجعله يرفع وجهه فإذا وجدت فتح فمه مؤلمًا له وقلبه يدق ضعيفًا ووجدت لعابه معلقًا بين شفتيه لا يسقط والدم يسيل من منخريه وأذنيه وبه تصلب فى عنقه ولا يستطيع أن ينظر إلى كتفيه وصدره.

فيجب أن تقول عنه رجل عنده جرح منفرج فى رأسه نافذ إلى العظم خارق تضاريس جمجمته وحبل فكه الأسفل متقلصا، والدم يسيل من منخريه وأذنيه وبه تصلب فى عنقه مرض أجاهد فيه.

والآن متى وجدت حبل فكه الأسفل متقلصًا فيجب أن تكون قد عملت له شيئًا ساخنًا حتى يستريح فيفتح فمه ويجب أن تضع عليه الدهن والعسل والكتان حتى تعلم أنه قد وصل إلى نقطة حاسمة.

فإذا وجدت أن هذا الرجل قد أصابته حمى من هذا الجرح الذى فى تضاريس جمجمته وانه قد عرض له (ق) من جرحه فضع يديك فوقه

فإذا وجدت وجهه يندى عرقًا وأربطة رقبته متوترة ووجهه محتقنًا وأحسانه وظهره... ورائحة صندوق رأسه كبول الغنم وفمه مطبقًا وحاجبيه مشدودين ووجهه كأنه يبكى. فيجب أن تقول عنه رجل به جرح منفرج فى رأسه نافذ إلى العظم خارق تضاريس جمجمته وأصابه (ق وفمه مطبق وبه تصلب فى رقبته، مرض لا يعالج - فإذا وجدت هذا الرجل قد امتقع وهو منهوك القوة فيجب أن تكون قد أعددت له خشبة حولها كتان تضعها فى فمه ويجب أن تكون قد أعددت له شرابًا من فاكهة (ويع) وعلاجه جالسًا مسندًا بين قائمين من اللبن حتى تعلم أنه وصل إلى نقطة حاسمه.

شرح ١ : قوله خارق تضاريس جمجمته يعنى ما بين شقفة جمجمته وأخرى وأن التضاريس من الجلد[1].

شرح ٢ : قوله حبل فكه الأسفل متقلص يعنى تصلبًا فى الأربطة التى فى طرف فرع الفك التى تربطه بعظمة الصدغ التى هى فى آخر فكه، دون تحرك من ناحية لأخرى، حتى أنه ليس من السهل عليه أن يفتح فمه من الألم.

شرح ٣ : قوله حبل فكه الأسفل يعنى الأربطة التى تربط طرف فكه كما لو سمى الأنسان شيئًا كالجبيرة حبلاً.

شرح ٤ : قوله جبينه يندى عرقا يعنى أن رأسه به عرق قليل كما تقول شىء (مبلول).

شرح ٥ : قوله أربطة رقبته متوترة يعنى أن أربطة رقبته متصلبة من أثر الإصابة.

شرح ٦ : قوله وجهه محتقن (تمش) يعنى أن لونه أحمر كلون صبغة (التمش).

---

(١) من غشاء سميك كالجلد. (م. ك. ح).

شرح ٧ : قوله رائحة صندوق رأسه مثل (بكن) الغنم أى أن قمة رأسه لها رائحة بول الغنم.

شرح ٨ : قوله صندوق رأسه يعنى منتصف قمة رأسه بجوار المخ شبهها بالصندوق.

شرح ٩ : قوله فمه مطبق وحاجباه مشدودان ووجهه كأنه يبكى يعنى أنه لا يفتح فمه ليتكلم وحاجباه غير مستويين أحدهما مرتفع والآخر منخفض كالذى يرمق بعينه وهو يبكى.

شرح ١٠ : قوله امتقع وهو منهوك القوى يعنى أنه اصفرّ لونه وهى حالة نتولاها ولا نتركها وإن كان منهوك القوة.

الحالة الثامنة :

إرشادات خاصة بكسر فى جمجمة تحت جلد رأسه :

إذا فحصت رجلاً به كسر فى جمجمة رأسه تحت جلد رأسه وليس فيه شىء ظاهر فوقه فيجب أن تجس موضع إصابته فإذا وجدت ورمًا بارزًا فوق كسر جمجمته وعينه منحرفة من أثر ذلك فى الجهة التى بها الإصابة فى جمجمته وهو يمشى يجر قدمه فى الجهة التى بها الأصابة التى فى جمجمته.

فيجب أن تعده رجلاً أصابه شىء من الخارج فهو لا يستطيع أن يبعد كتفه ولا تقع أصابعه وسط كفه ويسيل الدم من منخريه وأذنيه ورقبته متصلبة مرض لا يعالج.

علاجه جالسًا حتى يعود إليه لونه وحتى تعلم أنه وصل إلى نقطة حاسمة. فمتى وجدت كسر جمجمته مثل التموجات التى توجد فوق النحاس المصهور ووجدت داخله شيئًا ينبض ويرجف تحت أصابعك مثل المكان الضعيف فى قمة رأس الطفل قبل أن يصبح كاملاً - إذا حدث فلا

يكون نبض ولا تكون هناك حركة تحت أصابعك حتى يفتح مخ جمجمته - والدم يسيل من منخريه وأذنيه وبه تصلب فى رقبته فيجب أن تقول عنه مرض لا يعالج.

شرح ١ : قوله كسر فى جمجمته تحت الجلد رأسه دون أن يكون فوقه جرح أبدًا يعنى كسرًا فى شقفة جمجمته دون أن يصاب جلد رأسه.

شرح ٢ : قوله يمشى يجر قدمه يعنى أنه يمشى وقدمه تحك فى الأرض وبذلك يصعب عليه المشى لأن قدمه ضعيفة وملتوية وأطراف أصابع قدمه منكمشة تجاه الكعب وأنها تتخبط عند المشى وهو معنى قوله يجر.

شرح ٣ : قوله رجل أصابه شىء من الخارج فى الجهة التى فيها الإصابة. يعنى أن شيئًا من الخارج ضغط على الجهة التى وقعت فيها الإصابة.

شرح ٤ : قوله شىء دخل من الخارج يعنى ريحًا من الخارج جاءه من إله خارجى أى من الموت لا شيئًا من داخل جسمه.

شرح ٥ : قوله رجلًا لا يبعد كتفه ولا تقع أصابعه وسط كفه يعنى أن رأس كتفه لا يتحرك ولا تقع أصابعه وسط كفه.

الحالة التاسعة(١) :

إرشادات خاصة بجرح فى جبهته كاسر شقفة رأسه :

إذا فحصت رجلًا عنده جرح فى جبهته كاسر شقفة رأسه فيجب أن تعد له بيضة نعامة مسحوقه مع دهن وضعها فى فتحة جرحه وبعد ذلك أعد له بيضة نعامة واسحقها واعملها لبخة لتجفيف الجرح ويجب أن

(١) هذه الحالة دخيلة على الرسالة فأسلوبها وموضوعها وتفكيرها أشبه برسالة بردى أيبرس. (م. ك. ح).

تضع عليه غطاء مما يستعمله الطبيب وتكشفه فى اليوم الثالث فإنك تجد الشقفه قد التأمت ولونها مثل بيضة النعامة.

* وأقرأ عليه تعويذه :

ليصد العدو الذى فى الجرح، وليطرد الشر الذى فى الدم، عدو هوروس على جانبى فم أيزيس، فهذا الهيكل لن يتهدم، وليس هناك عدو للوعاء داخله، فإنى تحت حماية إيزيس، ومنقذى ابن أوزوريس.

ويجب أن تربط الجرح بالتين والدهن والعسل تطبخها وتتركها تبرد وتضعها عليه.

شرح ١ : غطاء يستعمله الطبيب يعنى رباطًا مما عند المحنطين وهو (الطبيب) يربط به الدواء الذى يضعه على الجرح الذى فى جبهته.

الحالة العاشرة :

إرشادات خاصة بجرح فوق حاجبيه :

إذا فحصت رجلًا عنده جرح فوق حاجبه نافذ إلى العظم فيجب أن تجس الجرح وتقرب حافتى الجرح بالخياطة - يجب أن تقول عنه رجل عنده جرح فى حاجبه، مرض سأعالجه والآن بعد خياطته يجب أن تربط لحما طريًا عليه أول يوم فإذا وجدت خياطة الجرح قد أصبحت مفككه فقرب الحافتين بقطعتى كتان وعالجه بالدهن والعسل كل يوم حتى يبرأ.

شرح ١ : قطعتى كتان يعنى قطعتى الكتان اللتين توضعان على حافتى الجرح المنفرج لتقرب احداهما من الأخرى.

الحالة الحادية عشرة :

إرشادات خاصة بكسر فى عمود أنفه إذا فحصت رجلًا به كسر فى عمود أنفه وأنفه مشوه وبه إنخساف والورم الذى فوقه بارز والدم يسيل

من منخريه. فيجب أن تقول عنه رجل به كسر فى عمود أنفه، مرض أعالجه. يجب أن تنظف أنفه بقطعتين من الكتان وضع قطعتين أخريين مشبعتين بالدهن داخل منخريه واشدده إلى عصا مرساة حتى يهبط ورمه وضع فوقه لفات صلبه من الكتان الجاف تمسك أنفه وعالجه بعد ذلك بالدهن والعسل والكتان كل يوم حتى يبرأ.

شرح ١ : قوله عمود أنفه يعنى حافة أنفه الخارجية حتى جانبيه من أعلى أنفه ومن داخل أنفه وسط منخريه.

شرح ٢ : منخريه يعنى جنبى أنفه حتى الخدين إلى ظهر أنفه أما أعلى أنفه فيكون مفككًا.

الحالة الثانية عشرة :

إرشادات خاصة بكسر فى فجوة أنفه :

إذا فحصت رجلاً به كسر فى فجوة أنفه وأنفه منحرف. ووجهه مشوه والورم فوقه بارز.

فيجب أن تقول عنه رجل عنده كسر فى فجوة أنفه، مرض أعالجه يجب أن تضغط عليه حتى يعود محله ونظف منخريه من الداخل بقطعتى كتان حتى تخرج كل دودة من الدم تكونت داخل منخريه ثم ضع قطعتين من الكتان مشبعتين بالدهن فى داخل منخريه وضع له قطعتين صلبتين من الكتان وأشددها عليه ثم عالجه بعد ذلك بالدهن والعسل والكتان كل يوم حتى يبرأ.

شرح ٢ : قوله أنفه منحرف ووجهه مشوه يعنى أن أنفه معوج وبه ورم كبير يشمله كله وخديه كذلك والتشوه ناشىء من ذلك الورم ومن أنه ليس فى وضعه العادى لأن كل منخفضات الوجه مغطاه بالورم ولذلك وجهه مشوه.

شرح ١ : قوله كسر فى فجوة أنفه يعنى وسط أنفه حتى مؤخر الأنف ممتدًا إلى ما بين حاجبيه.

شرح ٢ : كل دودة دم متجمدة داخل منخريه يعنى أن الدم تجمد داخل منخريه وشبهها بدودة (عنعرة) التى تعيش فى الماء.

الحالة الثالثة عشرة :

إرشادات خاصة بكسر فى منخره :

إذا فحصت رجلاً به كسر فى منخره فضع يدك فوق الكسر نفسه فإذا احسست فرقعة تحت أصابعك والدم يسيل من منخره ومن أذنه فى الجانب الذى فيه الكسر وهو يتألم حين يفتح فمه من أثر ذلك وهو لا يستطيع الكلام. فيجب أن تقول عنه مرض لا يعالج.

الحالة الرابعة عشرة :

إرشادات خاصة بجرح فى منخره :

إذا فحصت رجلاً به جرح فى منخره نافذًا وحافتا الجرح بعيدة إحداهما عن الأخرى فيجب أن تقربهما بالخياطة.

ويجب أن تقول عنه رجل به جرح فى منخره نافذ، مرض أعالجه. يجب أن تعمل له قطعتين من الكتان. ويجب أن تنظف كل دودة دموية تجمدت داخل منخره ويجب أن تربط عليه لحمًا طريًا فى اليوم الأول فإذا تفككت الخياطة. فارفع اللحم الطرى واربط عليه الدهن والعسل والكتان كل يوم حتى يبرأ.

شرح ١ : قوله جرح فى منخره نافذ معناه أن حافتى جرحه رخوتان والجرح فاتح داخل أنفه كما تقول نافذ وتعنى الأشياء الرخوه.

الحالة الخامسة عشرة :

إرشادات خاصة بخرق فى خده :

إذا فحصت رجلاً به خرق فى خده فإذا وجدت به ورمًا بارزًا ولـونه أسود والأنسجة فوق خده مريضة فيجب أن تقول عنه به خرق فى خده، مرض أعالجه ويجب أن تربط عليه (الأيمـرو) ونعـالجه بعـد ذلك بـالدهن والعسل كل يوم حتى يبرأ.

الحالة السادسة عشرة :

إرشادات خاصة بشق فى خده.

إذا فحصت رجلاً به شق فى خده وبه ورم بارز ولونه أحمر فوق هذا الشق فيجب أن تقول عنه رجل به شق فى خده، مرض أعالجه.

ويجب أن تربط عليه لحمًا طريًا فى اليوم الأول وعـلاجه جـالسًا حـتى يهبط ورمه وعالجه بعد ذلك بالدهن والعسل والكتان كل يوم حتى يبرأ.

الحالة السابعة عشرة :

إرشادات خاصة بكسر فى خده.

إذا فحصت رجلاً به كسر فى خده فيجب أن تضع يدك على مـوضع الكسر فإذا احسست قرقعة تحت أصابعك والدم يسيل مـن منخـره ومـن الأذن التى فى جهة الأصابة وفى الوقت نفسه يخرج الدم من فمه ويؤلمه أن يفتح فمه من جراء ذلك فيجب أن تقول عنـه رجـل بـه كسر فى خـده والدم يسيل من منخره ومن أذنه ومن فـمه وهـو لا يتـكلم، مـرض لا يعالج.

ويجب أن تربط عليه اللحم الطرى فى اليوم الأول وراحته فى الجلوس حتى يهبط الورم وعلاجه بعد ذلك بالدهن والعسل والكتان حتى يبرأ.

الحالة الثامنة عشرة :

إرشادات خاصة بجرح فى صدغه.

إذا فحصت رجلاً به جرح فى صدغه وليس به شق وهذا الجرح نافذ إلى العظم فيجب أن تجس جرحه فإذا وجدت عَظْمة صدغه غير مصابة وليس بها شرخ أو ثقب أو كسر.

فيجب أن تقول عنه رجل به جرح فى صدغه، مرض أعالجه. ويجب أن تربط عليه لحماً طرياً فى اليوم الأول وعالجه بعد ذلك بالدهن والعسل كل يوم حتى يبرأ.

شرح ١ : قوله جرح ليس به شق وهو نافذ إلى العظم يعنى أن الجرح ضيق واصل إلى العظم وإن لم يكن به شق فهو يتكلم عن أنه ضيق ليت له حافتان.

شرح ٢ : قوله صدغ يعنى ما بين زاوية عينه وفتحة أذنه فى آخر فكه الأسفل.

الحالة التاسعة عشرة :

إرشادات خاصة بثقب فى صدغه.

إذا فحصت رجلاً به ثقب فى صدغه فوقه جرح فيجب أن تفحص جرحه وتقول له أنظر إلى كتفيك فإذا كان هذا يؤلمه ورقبته لا تدور إلا قليلاً وعينه التى فى جانب الإصابة محمرة.

فيجب أن تقول عنه رجل عنده ثقب فى صدغه وهو يشكو من تصلب فى رقبته، مرض أعالجه.

ويجب أن تشده إلى عصى مرساه حتى تنتهى مدة إصابته، ويجب أن تعالجه بالدهن والعسل والكتان كل يوم حتى يبرأ.

شرح ١ : قوله عيناه محمرتان يعنى لون عينيه أحمر مثل زهر (الشس) وكتاب (ما يتعلق بالمحنط) يقول عن ذلك (عيناه حمراوان من المرض كالعين فى آخر ضعفها).

الحالة العشرون :

إرشادات خاصة بجرح فى صدغه نافذ إلى العظم خارق لعظم الصدغ. إذا فحصت رجلاً به جرح فى صدغه نافذ إلى العظم خارق لعظم الصدغ وعيناه محمرتان والدم يسيل من منخريه ويسقط نقطًا فإذا وضعت أصابعك على فم هذا الجرح فإنه يرتعش بشدة وإذا سألته عن مرضه فإنه لا يرد عليك والدموع تسيل بغزارة من عينيه حتى أنه ليضع يده إلى وجهه كثيرًا ليمسح عينيه بظهر يده كما يفعل الطفل وهو لا يدرى أنه يعمل ذلك.

★ فيجب أن تقول عنه أنه رجل به جرح فى صدغه نافذ إلى العظم خارق لعظم الصدغ والدم يسيل من منخريه ورقبته متصلبة وهو لا يتكلم، مرض لا يعالج؟؟ والآن إذا وجدت هذا الرجل لا يتكلم فإن راحته فى الجلوس، وضع على رأسه ما يطريه من الدهن وأفرغ فى أذنيه لبنًا.

الحالة الحادية والعشرون :

إرشادات خاصة بشق فى صدغه.

إذا فحصت رجلاً عنده شق فى صدغه ووجدت به ورمًا بارزًا فوق هذا الشق والدم يسيل من منخره ومن أذن واحدة هى التى فيها الإصابة وهو من جراء ذلك يتألم عندما يسمع كلامًا.

فيجب أن تقول عنه أنه رجل عنده شق فى صدغه والدم يسيل من منخره ومن أذنه التى بها الإصابة، مرض أجاهد فيه.

ويجب أن تشده إلى عصى مرساه حتى تعلم أنه وصل إلى نقطة حاسمة :

الحالة الثانية والعشرون :

إرشادات خاصة بكسر في صدغه :

إذا فحصت رجلاً عنده كسر في صدغه فيجب أن تضع إبهامك على ذقنه وإصبعك على طرف فرع فكه بحيث يسيل الدم من منخريه ومن داخل أذنه التي بها الكسر ونظف له بالكتان حتى ترى قطع العظم المكسور داخل أذنه وإذا كان لا يتكلم إذا ناديته ولا يستطيع الكلام.

فيجب أن تقول عنه رجل به كسر في صدغه والدم يسيل من منخريه ومن أذنه وهو لا يتكلم ورقبته متصلبه، مرض لا يعالج.

شرح ١ : قوله طرف فرع فكه يعنى آخر الفك أما فرعه فهو آخره في الصدغ كمخلب الطائر الذى يمسك بك الأشياء.

شرح ٢ : قوله حتى ترى قطع العظم المكسور داخل أذنه يعنى أن بعض هذه القطع تخرج لاصقة بالكتان التى تمسح به أذنه.

شرح ٣ : قوله لا يتكلم يعنى أنه ساكت من الحزن لا يتكلم مثل الرجل ليشكو من الضعف لأن شيئًا أصابه من الخارج.

الحالة الثالثة والعشرون :

إرشادات خاصة بجرح في أذنه.

إذا فحصت رجلاً به جرح في أذنه قاطع للحم والإصابة في أسفل أذنه مقصورة على اللحم فيجب أن تقرب الحافتين بالخياطة وراء فجوة أذنه، ويجب أن تقول عنه رجل عنده جرح في أذنه قاطع اللحم، مرض أعالجه.

فإذا وجدت الخياطة مفككة لاصقة فى حافتى الجرح فيجب أن تعمل له قطعتين صلبتين من الكتان وضعهما خلف أذنه ويجب أن تعالجه بعد ذلك بالدهن والعسل والكتان كل يوم حتى يبرأ.

الحالة الرابعة والعشرون :

إرشادات خاصة بكسر فى الفك الأسفل.

إذا فحصت رجلاً به كسر فى فكه الأسفل فضع يدك فوقه فإذا وجدت قرقعة تحت أصابعك فيجب أن تقول عنه رجل به كسر فى الفك فوقه جرح وعنده حمى منه، مرض لا يعالج.

الحالة الخامسة والعشرون.

إرشادات خاصة بخلع الفك الأسفل.

إذا فحصت رجلاً عنده خلع فى فكه الأسفل ووجدت فمه مفتوحًا ولا يستطيع قفله فضع إبهاميك على طرفى فرعى الفك داخل فمه، وأصابع يديك تحت ذقنه ويجب عليك بذلك أن ترده إلى الخلف فيعود إلى مكانه.

ويجب أن تقول عنه رجل به خلع فى فكه، مرض أعالجه.
ويجب أن تربطه (بالأيمرو) وبالعسل كل يوم حتى يبرأ.

الحالة السادسة والعشرون :

إرشادات خاصة بجرح فى شفته :

إذا فحصت رجلاً به جرح فى شفته نافذ إلى داخل فمه فيجب أن تفحص جرحه حتى عمود أنفه ويجب أن تقرب حافتى الجرح بالخياطة.

ويجب أن تقول عنه رجل عنده جرح فى شفته نافذ إلى داخل فمه،

(مرض أعالجه) والآن بعد خياطته يجب أن تضع عليه لحمًا طريًا فى اليوم الأول وعالجه بعد ذلك بالدهن والعسل كل يوم حتى يبرأ.

شرح ١ : قوله جرح فى شفته نافذ إلى داخل فمه يعنى أن الحافتين رخوتان فاتحتان إلى داخل الفم كما تقول «نافذ» عند الكلام عن الأشياء الرخوة.

الحالة السابعة والعشرون:

إرشادات خاصة بجرح منفرج فى ذقنه.

إذا فحصت رجلًا عنده جرح منفرج فى ذقنه نافذ إلى العظم فيجب أن تجس جرحه فإذا وجدت العظم سليمًا ليس به شلخ أو ثقب.

فيجب أن تقول عنه رجل عنده جرح منفرج فى ذقنه نافذ إلى العظم، مرض اعالجه، يجب أن تضع قطعتين من الكتان على الجرح واربط عليه لحمًا طريًا فى اليوم الأول ويجب أن تعالجه بعد ذلك بالدهن والعسل والكتان كل يوم حتى يبرأ.

الحالة الثامنة والعشرون:

إرشادات خاصة بجرح فى رقبته.

إذا فحصت رجلًا به جرح فى رقبته نافذ إلى المرئ فإذا شرب الماء شرق به وخرج من جرحه والجرح ملتهب حتى أنه به حمى منه فيجب أن تقرب حافتيه بالخياطة.

ويجب أن تقول عنه رجل به جرح فى رقبته نافذ إلى المرىء، مرض أجاهد فيه ويجب أن تضع عليه اللحم الطرى فى اليوم الأول وعالجه بعد ذلك بالدهن والعسل والكتان كل يوم حتى يبرأ.

فإذا وجدت أن الحمى مستمرة من جرحه.

فيجب أن تضع الكتان الجاف على فم الجرح وشده إلى عصى مرساة حتى يبرأ.

الحالة التاسعة والعشرون:

إرشادات خاصة بجرح منفرج فى فقرة فى رقبته: إذا فحصت رجلاً به جرح منفرج فى فقرة فى رقبته نافذ إلى العظم مخترق فقرة فى رقبته، إذا فحصت هذا الجرح ووجدت المريض يرتعش بشدة ولا يستطيع أن ينظر إلى كتفيه وصدره. فيجب أن تقول عنه رجل به جرح فى رقبته نافذ إلى العظم مخترق فقرة فى رقبته وهو يشكو تصلبًا فى رقبته، مرض أجاهد فيه.

ويجب أن تربط عليه لحمًا طريًا فى اليوم الأول وأن تشده بعد ذلك إلى عصى مرساه حتى تنتهى مدة اصابته.

الحالة الثلاثون:

إرشادات خاصة بمعص فى فقرة فى رقبته. إذا فحصت رجلاً عنده معص فى فقرة فى رقبته فيجب أن تقول له أنظر إلى كتفيك وصدرك فإذا وجدت أنه إذا فعل ذلك فإن الالتفات الممكن له يؤلمه. فيجب أن تقول عنه رجل عنده معص فى فقرة فى رقبته، مرض أعالجه. ويجب أن تربط عليه لحمًا طريًا فى اليوم الأول وبعد ذلك (عالجه بالأيمرو) والعسل كل يوم حتى يبرأ.

شرح ١: قوله معص يعنى انفصال عضوين مع بقاء كل منهما فى موضعه.

الحالة الحادية والثلاثون:

إرشادات خاصة بخلع فقرة فى رقبته: إذا فحصت رجلاً عنده خلع

فى فقرة فى رقبته ووجدته لا يحس بذراعيه ولا برجليه من أثر ذلك وقضيبه منتشر من أثر ذلك وبوله يسيل من عضوه وهو لا يدرى وجسمه اصابته ريح وعيناه محمرتان فهى حالة خلع فى فقرة فى رقبته ممتدة إلى السلسلة تجعله لا يحس بذراعيه ولا برجليه أما إذا كان الخلع فى منتصف رقبته فإنه يصاب بالإمناء فى قضيبه يجب أن تقول عنه رجل عنده خلع فى فقرة فى رقبته وهو لا يحس برجليه ولا بذراعيه وبوله يسيل منه، مرض لا يعالج.

شرح ١ : قوله خلع فى فقرة فى رقبته يعنى انفصال فقرة فى رقبته من أخرى دون أن يصاب اللحم الذى فوقها كما يقال (خلعت) عن أشياء كانت ملتصقه ثم انفصل بعضها عن بعض.

شرح ٢ : قوله مصاب بالإمناء من قضيبه يعنى أن قضيبه منتشر ويخرج من آخره سائل وقوله منتشر يعنى لا يسقط إلى أسفل ولا يرتفع إلى أعلى.

شرح ٣ : قوله بوله يسيل يعنى يسقط من قضيبه ولا يمكنه منعه.

الحالة الثانية والثلاثون :

إرشادات خاصة بخلع فى فقرة فى رقبته.

إذا فحصت رجلاً به خلع فى فقرة فى رقبته ووجهه ثابت ورقبته لا تدور معه فيجب أن تقول له أنظر إلى صدرك وكتفيك فإذا وجدت أنه لا يستطيع أن يدير وجهه لينظر إلى صدره وكتفيه. فيجب أن تقول عنه رجل عنده خلع فى رقبته، مرض أعالجه.

ويجب أن تربط عليه لحماً طريًا فى اليوم الأول ويجب أن تحل أربطته وتدهن رأسه حتى رقبته وتربط عليه (الايمرو) ويجب أن تعالجه بعد ذلك بالعسل كل يوم وعلاجه جالسًا حتى يبرأ.

شرح ١ : قوله خلع فقرة فى رقبته يعنى أن فقرة ساخت فى داخل رقبته كما تسيخ القدم فى الأرض المنزرعة. فهى تنفذ إلى أسفل.

الحالة الثالثة والثلاثون :

إرشادات خاصة بهرس فى فقرة فى رقبته.

إذا فحصت رجلاً به هرس فى فقرة فى رقبته فوجدت أن فقرة قد سقطت فى الفقرة التى تليها وهو لا صوت له ولا يستطيع الكلام فإن سقوطه ورأسه إلى أسفل جعل الفقرة تدخل فى التى تليها فإذا وجدت مع ذلك أنه لا يحس بذراعيه، ولا برجليه من جراء ذلك.

فيجب أن تقول عنه رجل عنده هرس فى فقرة فى رقبته ولا يحس بذراعيه ولا برجليه وهو لا يتكلم، مرض لا يعالج.

شرح ١ : قوله هرس فى فقرة فى رقبته يعنى أن فقرة فى رقبته غاصت فى التى تليها فدخلت إحداهما فى الأخرى حتى انعدمت كل حركه بينهما.

شرح ٢ : قوله أن سقوطه ورأسه إلى أسفل جعل فقرة تدخل فى اخرى يعنى أنه سقط فوق رأسه وهى إلى أسفل فبذلك تدخل فقرة رقبته فيى التى تليها.

الحالة الرابعة والثلاثون :

إرشادات خاصة بخلع فى الترقوتين

إذا فحصت رجلاً عنده خلع فى الترقوتين ووجدت كتفيه متحولتين وترقوتيه متجهتين إلى وجهه.

فيجب أن تقول عنه رجل عنده خلع فى ترقوتيه، مرض أعالجه.

ويجب أن تضغطها إلى الخلف حتى يستقرا فى موضعهما كما يجب أن تربطه بلفات صلبه من الكتان وعالجه بعد ذلك بالدهن والعسل كل يوم

حتى يبرأ. ولكن إذا وجدت الأنسجة فوق الترقوتين ممزقة والجرح نافذ إلى الداخل فيجب أن تقول عنه مرض لا أعالجه[1].

شرح ١ : قوله خلع فى ترقوتيه يعنى انفصال فى رؤوس عظمتى رقبته بأعلى عظم الصدر الممتد إلى زوره وفوق لحم زوره صدره ووراءه قناتان واحدة إلى يمين الزور وأخرى إلى يسار الزور والصدر تنتهيان إلى الرئتين.

الحالة الخامسة والثلاثون :

إرشادات خاصة بكسر فى ترقوته.

إذا فحصت رجلاً عنده كسر فى ترقوته ووجدت ترقوته قصيرة ومنفصلة أجزاؤها فيجب أن تقول عنه رجل عنده كسر فى ترقوته مرض أعالجه.

ويجب أن تضعه مستلقيًا على ظهره وضع شيئًا ملفوفًا بين لوحى كتفيه وشد كتفيه حتى يبتعد جُزْءا ترقوته ويرجع الكسر إلى موضعه. ثم اعمل له جبيرتين من الكتان وضع واحدة منها على عضده من الداخل والأخرى على عضده من تحت وأربطه (بالايمرو) وعالجه بعد ذلك بالعسل كل يوم حتى يبرأ.

الحالة السادسة والثلاثون :

إرشادات خاصة بكسر فى عضده.

إذا فحصت رجلاً به كسر فى عضده ووجدت عضده معلقًا بجانبه منفصلاً بعضه عن بعض.

فيجب أن تقول عنه رجل عنده كسر فى عضده مرض أعالجه.

ويجب أن تضعه مستلقيًا على ظهره وَضَعْ شيئًا ملفوفًا بين عظمتى

(١) فى الأصل مرض أعالجه ولكن بريستد يرى أن هذا خطأ من الناسخ وذلك تفصيلاً الأسباب التى تدعوه لهذا الرأى (م.ك.ح.).

اللوح وشد كتفيه حتى يبتعد جزءا عضده ويرجع الكسر إلى موضعه واعمل له جبيرتين من الكتان وضع أحداهما على العضد من الداخل والأخرى على عضده من تحت ويجب أن تربط (بالايمرو) وعالجه بعد ذلك بالعسل كل يوم حتى يبرأ.

الحالة السابعة والثلاثون :

إرشادات خاصة بكسر فى عضده فوقه جرح.

إذا فحصت رجلاً به كسر فى عضده فوقه جرح ووجدت أن الكسر به قرقعة تحت أصابعك.

فيجب أن تقول عنه رجل عنده كسر فى العضد فوقه جرح مرض أجاهد فيه ويجب أن تعمل له جبيرتين من الكتان واربطه (بالأيمرو) وعالجه بعد ذلك بالدهن والعسل كل يوم والكتان حتى تعلم أنه وصل إلى نقطة حاسمة.

ولكن إذا وجدت الجرح الذى فوق الكسر يسيل منه الدم وهو نافذ إلى داخل الإصابة فيجب أن تقول عنه رجل عنده كسر فى العضد فوقه جرح نافذ إلى الداخل مرض لا يعالج.

الحالة الثامنة والثلاثون :

إرشادات خاصة بشلخ فى عضده.

إذا فحصت رجلاً به شلخ فى عضده ووجدت الورم بارزًا فوق الشلخ الذى فى عضده فيجب أن تقول عنه رجل عنده شلخ فى عضده، مرض أعالجه.

ويجب أن تربط عليه (الايمرو) وعالجه بعد ذلك بالعسل كل يوم حتى يبرأ.

الحالة التاسعة والثلاثون:

إرشادات عن أورام أو (قروح) لها رأس بارز فى صدره.

إذا فحصت رجلاً به أورام لها رأس بارز فى صدره ووجدت هذه الأورام تمتد فوق صدره وبها صديد واحمرار وحرارة شديدة عندما تلمسه بيدك.

فيجب أن تقول عنه رجل عنده ورم له رأس بارز فى صدره وبه صديد مرض أعالجه بالكى.

ويجب أن تكويه فى صدره فوق هذه الأورام التى فى صدره ويجب أن تعالجه بعلاج الجروح ولا تمنعها أن تنفتح من تلقاء نفسها حتى لا يبقى فى جرحه (مينهيو) لأن كل جرح يوجد فوق صدره يجف متى انفتح من تلقاء نفسه.

شرح ١: قوله أورام لها رأس بارز فى صدره يعنى أورامًا ممتدة فوق صدره من أثر الاصابة وهى تحدث صديدًا واحمرارًا فى الصدد كما تتعدد الألوان حيث يتكون الصديد.

الحالة الأربعون:

إرشادات خاصة بجرح فى صدره.

إذا فحصت رجلاً عنده جرح فى صدره نافذ إلى العظم خارق لأعلى عظمة القص.

فيجب أن تضغط إلى أعلى عظم القص بأصابعك وإن ارتعش بشدة.

يجب أن تقول عنه رجل عنده جرح فى صدره نافذ إلى العظم خارق لأعلى عظم القص مرض أعالجه. ويجب أن تربط عليه لحمًا طريًا فى اليوم الأول ويجب أن تعالجه بعد ذلك بالدهن والعسل والكتان كل يوم حتى يبرأ.

شرح ١ : قوله أعلى عظم القص يعنى رأس عظم القص الذى كأنه القنفذ.

الحالة الحادية والأربعون :

إرشادات خاصة بشلخ فى عضده.

إذا فحصت رجلاً به جرح متقيح فى صدره والجرح ملتهب وحوله دوائر من الالتهاب تمتد من فم هذا الجرح عندما تلمسه وحافتا الجرح محمرتان ووجدت هذا الرجل عنده حمى مستمرة ولحمه لا يحتمل الرباط وأن هذا الجرح ليس له حافة من الجلد والأزرار التى فى فم الجرح رطبة (مائية) وسطحه حار وإفرازاته تسقط منه نقطًا كالزيت.

فيجب أن تقول عنه رجل عنده جرح متقيح فى صدره وهو ملتهب ويسبب له حُمى مستمرة.

* مرض أعالجه، ويجب أن تعمل له دواء ملطفًا ليزول الالتهاب من فم الجرح :

١ - ورق صفصاف، أوراق شجرة (نَبش)، (قسنتى) ضعها عليه.

٢ - أوراق شجرة (أم)، روث، (هنيت)، (قسنتى) ضعها عليه.

* يجب أن تعمل له دواء يجفف جرحه من :

(أ) مسحوق صبغة خضراء، و(شَبَّة)، (تهنه)، (دهن). إسحقها وضعها عليه.

(ب) [ملح الشمال]، [دهن ماعز] اسحقها وضعها عليه.

* ويجب أن تعمل له لبخًا من :

[شبن (أحمر)] (لسان الحديقة)، (ظهره)، أوراق (جين). أربطها عليه.

وإذا حدث مثل هذا لأى عضو فيجب أن تعالجه حسب هذه الارشادات.

شرح ١ : قوله جرح متقيح من صدره ملتهب معناه أن الجرح الذى فى صدره بطىء لا يلتئم والحمى تخرج منه وحافتاه محمرتان ولحمه متسع، وكتاب [ما يتعلق بالجروح] يقول فى ذلك يعنى أن هناك ورمًا كبيرًا جدًا، وملتهب يعنى ارتفاع الحرارة فيه.

شرح ٢ : قوله دوائر من الالتهاب فى الجرح يعنى دوائر ملتهبة تدور فى داخل الجرح كله.

شرح ٣ : قوله حافتاه محمرتان أى شفتاه حمراوان مثل لون شجرة (المشه).

شرح ٤ : قوله لحمه لا يحتمل رباطًا يعنى أن لحمه لا يحتمل العلاج من أثر الالتهاب الذى فى لحمه.

شرح ٥ : قوله والحرارة تنبعث باستمرار من فم جرحه عندما تلمسه يعنى أن الحرارة تخرج من جرحه عند اللمس كما نقول عن شىء خرج كله إنبعث.

الحالة الثانية والأربعون :

إرشادات خاصة برَضٍّ فى أضلاع صدره.

إذا فحصت رجلاً له رَضّ فى أضلاع صدره وليس بها خلع ولا كسر وهو مع ذلك مستمر فى شكواه ويرتعش بشدة.

فيجب أن تقول عنه رجل عنده رِضّ فى أضلاع صدره (مرض أعالجه).

ويجب أن تربط عليه الأيمرو) وعالجه بعد ذلك بالعسل كل يوم حتى يبرأ.

شرح ١ : قوله أضلاع صدره يعنى عظام قصه التى لها فقرات مثل فقرات الشواء.

الحالة الثالثة والأربعون :

إرشادات خاصة بخلع فى أضلاع صدره.

إذا فحصت رجلاً عنده خلع فى أضلاع صدره ووجدت أضلاع صدره بارزه ورؤوسها حمراء والرجل يشكو دائمًا من ورم جنبيه فيجب أن تقول عنه رجل عنده خلع فى أضلاع صدره، مرض أعالجه. ويجب أن تربط عليه (الأيمرو) وعالجه بعد ذلك بالعسل حتى يبرأ.

شرح ١ : قوله خلع فى أضلاع صدره يعنى رؤوس أضلاع صدره المربوطة فى عظمة القص.

شرح ٢ : قوله يشكو ورمًا فى جنبيه يعنى أنه يشكو من المفاصل التى فى صدره ممتدة إلى جانبه.

شرح ٣ : قوله جنبيه يعنى القطنين.

الحالة الرابعة والأربعون :

إرشادات خاصة بكسر فى أضلاع صدره.

إذا فحصت رجلاً عنده كسر فى أضلاع صدره فوقه جرح ووجدت قرقعة فى أضلاع صدره تحت اصابعك.

فيجب أن تقول عنه رجل عنده كسر فى أضلاع صدره فوقه جرح مرض لا يعالج.

الحالة الخامسة والأربعون :

إرشادات خاصة بأورام بارزة فوق صدره.

إذا فحصت رجلاً عنده ورم بارز فوق صدره ووجدت الأورام ممتدة

على صدره وإذا وضعت يدك على الصدر فوق هذه الأورام وجدتها باردة جدًا ليس فيها حرارة أبدًا عندما تحسها بيدك وليست بها أزرار ولا بها سائل وليست بها إفرازات وهى بارزة تحت يدك.

فيجب أن تقول عنه أنه رجل عنده أورام بارزة، مرض أجاهد فيه وليس له علاج. وإذا وجدت أورامًا بارزة فى أى عضو فعالجه حسب هذه الارشادات.

شرح ١ : قوله ورم بارز فى صدره يعنى أورامًا فى الصدر كبيرة عنده وصليه وملمسها كملمس كرة من الأربطة وهى تشبه فاكهة (الهبات) الخضراء فهى فى صلابتها ورطوبتها عند اللمس مثل هذه الأورام التى فوق صدره.

الحالة السادسة والأربعون :

إرشادات خاصة بخراج له رأس بارزة فى صدره.

إذا فحصت رجلاً عنده خراج بارز فى صدره ووجدت ورمًا كبيرًا جدًا فوق صدره كالزيت كأن به سائلاً تحت يدك وبه رطوبة فوق سطحه ووجهه غير محمر.

فيجب أن تقول عنه رجل عنده خراج له رأس بارز فى صدره، مرض أعالجه بما يرطب هذا الخراج الذى فى صدره.

(أ) فاكهة (سخة)، (نترة)، (قسنتى)، إسحقها وضعها عليه.

(ب) فاكهة (شس)، [قسنتى] (مونة البناء)، (ماء) إسحقها وضعها عليه.

فإذا لم تنجح هذه المرطبات فاتركها حتى يخرج السائل من الخراج ذى الرأس.

وبعد ذلك يجب أن تعالجه بعلاج الجروح أى بأدوية تخرج الالتهاب

من فم الجرح الذى فى صدره .[ورق سنط]، [جميز]، [عصير ورق شجر (ام)] (روث ثور)، (هنيت) واربطها عليه. ويجب أن تعمل له مجففات لصدره.

مسحوق صبغة (خضراء)، (ظهره)، [دهن مرهم]، [ملح الشمال]، [دهن ماعز] وأربطها عليه. ويجب أن تعمل له* لبخا من :

(شبن) أحمر، جميز.

شرح ١ : قوله خراج له رأس بارز فى صدره يعنى ورمًا كبيرًا من الاصابة التى فى صدره رخوًا كأن هناك سائلاً تحت يدك.

شرح ٢ : قوله رطوبة فوق السطح يعنى أن الجلد غير حار.

شرح ٣ : قوله ليس به احرار يعنى أنه لا احرار فوقه.

الحالة السابعة والأربعون :

إرشادات خاصة بجرح منفرج فى كتفه.

إذا فحصت رجلاً به جرح منفرج فى كتفه واللحم منحسر عنه وحافتاه متباعدتان وهو يشكو ورمًا فى كتفه فيجب أن تجس الجرح فإذا وجدت حافتيه منفصلتين على هيئة لفة الكتان حين تفك ويؤلمه أن يرفع ذراعه من جراء ذلك فيجب أن تقرب الحافتين بالخياطة.

ويجب أن تقول عنه رجل به جرح فى كتفه منفرج واللحم منحسر عنه وحافتاه متباعدتان وهو يشكو ورمًا فى كتفه، (مرض أعالجه) ويجب أن تربط عليه لحمًا طريًا فى اليوم الأول.

فإذا وجدت بعد ذلك الجرح مفتوحًا والخياطة مفككة فقرب حافتيه بقطعتى الكتان وعالجه بعد ذلك بالدهن والعسل حتى يبرأ.

وإذا وجدت جرحًا فى أى عضو لحمه منحسر وحافتاه متباعدتان فعالجه حسب هذه الارشادات.

فإذا وجدت أن لحم الجرح الذى فى كتفه التهب والجرح ملتهب مفتوح والخياطة مفككة فضع يدك عليه فإذا وجدت الحرارة تصدر من فم الجرح عند لمسك إياه والافرازات تخرج منه باردة كعصير (الونش).

فيجب أن تقول عنه رجل عنده جرح منفرج فى الكتف والحمى لا تزال تخرج منه، مرض أجاهد فيه.

فإذا حدث أنك وجدت الحمى مستمرة والجرح ملتهبًا.

فيجب أن لا تربطه ويجب أن تشده إلى عصى مرساه حتى تنتهى مدة إصابتة أما إذا هدأت الحرارة وزال الالتهاب من الجرح تمامًا فيجب أن تعالجه بالدهن والعسل والكتان كل يوم حتى يبرأ.

الحالة الثامنة والأربعون:

إرشادات خاصة برَضٍ فى فقرة فى ظهره.

إذا فحصت رجلاً عنده رضّ فى فقرة فى ظهره فقل له أمدد رجليك ثم أثنيهما فإذا وجدت حين يمدهما أنه يثنيهما بسرعة من جراء الألم الذى يصيب فقرات ظهره التى يشكو منها فيجب أن تقول عنه رجل عنده رضّ فى فقرة فى ظهره، مرض أعالجه.

ويجب أن تضعه على ظهره. وأن تعمل له..

بعض المراجع الهامة

● **ابن النفيس :** تأليف الدكتور بول غليونجى - سلسلة أعلام العرب العدد ٥٧.

● **الأغانى :** لأبى الفرج الأصبهانى. طبعة الشعب ١٩٦٦ القاهرة.

● **أثر العرب فى الحضارة الأوروبية :** لعباس محمود العقاد. طبعة دار المعارف.

● **تاريخ الأدب العربى :** كارل بروكلمان - ترجمة د. رمضان عبد التواب ود. يعقوب بكر. دار المعارف ١٩٧٧.

● **تاريخ الطب والصيدلة عند العرب :** تأليف الدكتور سامى حمارنة. طبعة القاهرة سنة ١٩٦٧.

● **تاريخ العلم تأليف :** جورج سارتون. ترجمة لفيف من العلماء ونشر دار المعارف سنة ١٩٧٠.

● **تاريخ العلوم عند العرب :** للدكتور عمر فروخ. طبعة بيروت سنة ١٩١٨.

● **حضارة العرب :** تأليف جوستاف لوبون. ترجمة عادل زعيتر. نشر عيسى البابى الحلبى ١٩٤٨.

● **الحاوى فى الطب :** لأبى بكر الرازى - خمسة عشر مجلدًا طبعة مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن بالهند سنة ١٩٥٥.

● **رسالة لأبى بكر الرازى إلى أحد تلاميذه :** ضمن مجموعة خطية تحت رقم ١١٩ طب تيمور.

● رسالة فى الجدرى والحصبة لأبى بكر الرازى طبعة المدرسة الكلية السورية الإنجيلية - بيروت سنة ١٨٧٢م.

● شمس العرب تسطع على الغرب: تأليف الدكتورة زيجريد هونكه. نقله إلى العربية فاروق بيضونه، كمال دسوقي. منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت ١٩٨١.

● الشيخ الرئيس ابن سينا: تأليف عباس محمود العقاد. دار المعارف سنة ١٩٤٦.

● الطب الروحانى: لأبى بكر الرازى - تحقيق عبد اللطيف العبد. النهضة المصرية ١٩٧٨.

● طبقات الأطباء والحكماء: لابن جُلجل. تحقيق فؤاد السيد. طبعة للمعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة سنة ١٩٦٥.

● العشر مقالات فى العين: لحنين بن إسحق تحقيق ماكس مايرهوف. طبعة المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩٢٨.

● العلم عند العرب وأثره فى تطور العلم العالمى: تأليف ألدوميلى ترجمة الدكتور محمد يوسف موسى والدكتور عبد الحليم النجار مراجعة الدكتور حسين فوزى. دار القلم ١٩٦٢.

● العلوم عند العرب: تأليف قدرى طوقان. سلسلة الألف كتاب طبعة مكتبة مصر ١٩٧٧.

● عيون الأبناء فى طبقات الأطباء: لابن أبى أصيبعة طبعة بيروت منشورات دار مكتبة الحياة تحقيق الدكتور نزار رضا.

● فى تراثنا العربى والإسلامى: للدكتور توفيق الطويل. عالم المعرفة بالكويت - ٧٨ - ١٩٨٥.

● فردوس الحكمة : لعلى بن ربن الطبرى نشرة الدكتور محمد زبير الصديق الهند سنة ١٩٢٨م.

● الفهرست لابن النديم : تصوير دار المعرفة ببيروت ١٩٧٨.

● القانون فى الطب : لابن سينا فى ثلاثة مجلدات طبعة مصورة صورتها دار صادر ببيروت عن طبعة بولاق سنة ١٨٧٧م.

● كامل الصناعة أو الكتاب الملكى : لعلى بن العباس المجوسى طبعة القاهرة ١٢٩٤ هـ.

● كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون : لحاجى خليفة.

تصوير منشورات مكتبة المثنى : بيروت.

● المأمون الخليفة العالم : تأليف الدكتور محمد مصطفى هدارة سلسلة أعلام العرب العدد ٥٩ - ١٩٦٦.

● متنوعات : للدكتور محمد كامل حسين. نشر النهضة المصرية الطبعة الثانية.

● مجموعة رسائل فلسفية : لأبى بكر الرازى تحقيق بول كراوس - مطبوعات كلية الآداب جامعة القاهرة. المؤلف رقم ٣٢ سنة ١٩٣٩.

● محنة الطبيب : لأبى بكر الرازى - تحقيق الدكتور البير زكى اسكندر منشور بمجلة المشرق عدد ٥٤.

● المرشد أو الفصول : لأبى بكر الرازى تحقيق الدكتور ألبير زكى اسكندر.

● مجلة معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية : المجلد الأول عدد مايو سنة ١٩٦١.

● المذاهب الفلسفية : مجموعة محاضرات ألقاها سانتلانا بالجامعة المصرية من سنة ١٩١٠ - ١٩١١. مجلدان تصوير شمسي.

● محاضرات فى العلوم عند العرب : للدكتور عبد الحليم منتصر طبعة جامعة الدول العربية.

● مقدمة ابن خلدون : طبعة الشعب.

● من تاريخ الطب عند العرب : للدكتور فهمى أبادير طبعة القاهرة.

● منهج البحث العلمى عند العرب : فى مجال العلوم الطبيعية والكونية. تأليف الدكتور جلال محمد عبد الحميد موسى. نشر دار الكتاب اللبنانى. بيروت ١٩٧٢.

● موجز القانون لابن سينا : تأليف ابن النفيس طبعة لكنو بالهند سنة ١٣٢٣ هـ فى أربعة فنون.

● الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب : بإشراف الأستاذ الدكتور محمد كامل حسين رحمه الله نشر جامعة الدول العربية.

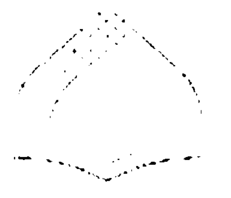
الفهرس

الصفحة

الصفحة

الصفحة

* * *



كتب أخرى للمؤلف

التصوف النفسى	طبعة أولى – دار المعارف
الطرق الصوفية فى مصر	طبعة رابعة – دار المعارف
الطهارة فى الإسلام	طبعة ثالثة – دار المعارف
فى تاريخ الطب فى الدولة الإسلامية	طبعة ثالثة – دار المعارف
علم الكلام	طبعة أولى – دار المعارف
كتاب الصلاة	طبعة ثالثة – دار المعارف
حركة الترجمة وأهم أعلامها فى العصر العباسى	طبعة أولى – دار المعارف
نظرات فى فكر الغزالى	طبعة ثانية – دار المعارف
الإباضية ومدى صلتها بالخوارج	طبعة أولى – دار المعارف
الشيعة وإمامة على	طبعة أولى – دار المنار

تحت الطبع

- الدروز .. عقيدة وفكرًا .. وفلسفة
- الزكاة فى الإسلام

رقم الإيداع		١٩٩٤ / ٨٠٨٧
الترقيم الدولى	977 - 02 - 4679 - 4	ISBN

٣ / ٩٤ / ٣٤

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)